إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام

يوم الحسين عليه السلام

عرض وتحليل أهم أحداث ثورة الحسين (ع)
منذ انطلاقتها حتى فجر عاشوراء

لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل

الجزء الأول

الدكتور علاء السالم

إصدارات أنصار الإمام المهدي / العدد ٢٢٠

يَوْمُ الحُسَيْن

عرض وتحليل أهم أحداث ثورة الحسين(ع) منذ انطلاقتها
حتى فجر عاشوراء

الجزء الأول

علاء السالم

الفهرست الإجمالي

البشرية بين خطين دائماً: ٥

تمهيد: ٧

وصايا الرسول (ص) بأهل بيته وبيان فضلهم: ٧

منزلة الحسين عند الرسول(ص) وإخباره بمصيبته: ١١

علي(ع) أيضاً يخبر بما يجري على الحسين(ع): ١٣

الحسين (ع) الثائر المصمّم على ملاقاة الوعد: ١٨

مملكة آل أبي سفيان ٢٥

سياسة معاوية في أيام خلافة علي(ع): ٣٤

سياسة معاوية بعد شهادة علي(ع): ٤٩

حواضر المسلمين قُبيل الثورة: ٦٩

ما قبل يوم عاشوراء الحسين(ع) ٩٣

بيعة يزيد وموقف الحسين(ع) منها: ٩٣

الحسين(ع) الثائر الفاتح: ١٠٧

الحسين(ع) في مكة وشهادة مسلم في الكوفة: ١٤٤

الحسين(ع) يغادر مكة إلى العراق: ١٧٨

مسيرة الركب الحسيني من مكة إلى كربلاء: ٢٠١

الاستعداد لحرب الحسين(ع): ٢٦٤

المصادر ٣٢٧

الفهرست التفصيلي ٣٣٧

البشرية بين خطين دائماً:

منذ يوم الرسالة الإلهية الأول على هذه الأرض اختار الله سبحانه آدم عليه السلام ونصّبه علماً وهادياً لعباده وحجة له عليهم، ثم طلب من الخلق طاعته والانصياع له ولما يصدر منه.

قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" البقرة: ٣٠ - ٣٤.

اسجدوا: أي طيعوا وسلّموا.

ولشدة رحمته سبحانه - ولأنّ دار الامتحان لا تنتهي بموت آدم - شاء الله تعالى أن يستمر الحجّة والخليفة الإلهي مع الخلق دائماً و أبداً حتى اليوم الأخير على هذه الأرض؛ ليقطع عذرهم ولئلّا يكون للناس على الله حجّة يوم القيامة والحساب فيعتذروا لضلالهم بعدم وجود الهادي والرسول الإلهي وأن لو كان لاهتدوا ولم يضلّوا!

قال تعالى: "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" النساء: ١٦٥. وقال الإمام الصادق عليه السلام: (الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق) [١].

١- الكافي، الكليني: ١ / ١٧٧.

الفرمان الإلهي الأول (الأهم) القاضي بتنصيب آدم عليه السلام حجة على الخلق أدّى إلى انقسام الخلق إلى خطين متقابلين متنافرين على طول المسير: طائعين مسلّمين لأمر الله ومعترضين متكبرين عليه، أو قل: (خط الساجدين) و(خط المتكبرين).

خط الساجدين الإلهي: هو خط رسل الله و أتباعهم، يرأس هذا الخط الإلهي دائماً خليفة وحجة إلهي (نبي، رسول، إمام) منصّب من قبل الله، وقد ابتدأ - كما عرفنا - بآدم عليه السلام ومن تبعه وأطاع أمره، ثم الرسل من ولده تباعاً ومن تبعهم؛ كلٌ في زمانه كإدريس ونوح و إبراهيم وموسى وعيسى؛ وصولاً إلى خاتمهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وآله ثم الأوصياء من بعده ومن تبعهم وأطاعهم.

خط المعترضين الشيطاني: ابتدأ بإبليس لعنه الله؛ المعترض الأول على استخلاف آدم وتنصيبه، ثم تمثل في كل زمان بشيطان يجسد موقف إبليس ويكرره تماماً كقابيل ونمرود وفرعون والطغاة الظلمة وعلماء الدين غير العاملين الذين وقفوا (ويقفون دائماً) بالضد من دعوات الأنبياء والمرسلين. وللأسف فإنّ الغالبية العظمى من الناس تسلك هذا الدرب لأسباب كثيرة لست في مقام استعراضها الآن.

لهذا، فإنّ المتتبع لأحداث بعثة الأنبياء والرسل يجد الحقيقة التالية ماثلة أمام عينيه: ما من رسول ومصلح إلهي إلا وقابله شيطان من الإنس وقف بالضد منه وحمل الناس على تكذيبه وحربه، وبالنسبة للمسلمين فلا أقل أنّ الكثير منهم مطلع على أحداث بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وما لاقاه من صنوف الأذى من قبل عتاة قريش وعلى رأسهم أبي سفيان بن حرب.

والحال نفسه استمر مع ورثة خط الرسول وأوصيائه الشرعيين، فكان لأمير المؤمنين عليه السلام من عداء وأذى معاوية بن أبي سفيان نصيب، وما أصاب الحسين عليه السلام من أذى يزيد واضح للجميع، و أيضاً: ما سيلاقيه المهدي الموعود من عداء وأذى السفياني والسفيانيين أمر بيّن وموعود به، لكن يبقى يوم الحسين عليه السلام لا نظير له ولا يوم كيومه.

تمهيد:

نتناول في التمهيد أربعة أمور:

١- وصايا الرسول صلى الله عليه وآله بأهل بيته وبيان فضلهم.
٢- منزلة الحسين عند الرسول صلى الله عليه وآله وإخباره بمصيبته.
٣- إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بما يجري على الحسين عليه السلام.
٤- الحسين عليه السلام الثائر المصمّم على ملاقاة الوعد الإلهي.

وصايا الرسول (ص) بأهل بيته وبيان فضلهم:

دخول علي وفاطمة و أبنائهما في مصطلح: (آل محمد) أو (أهل البيت) أمر يقيني لا يشك فيه مسلم على اختلاف طوائف المسلمين ومشاربهم، والخلاف الذي أثاره البعض كان فيما زاد على ذلك كالزوجات مثلاً.

لست بصدد الخوض في هذا الجدل، بقدر ما أردت التنويه إلى أنّ كل وصايا الرسول بآله وأهل بيته وبيان فضلهم وقدرهم الحقيقي، تعني - أولاً وبالذات - علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، بل وكثير من الروايات قد خصّتهم بالاسم والتعيين؛ مجتمعين أحياناً ومتفرّقين أحياناً أخرى، وليس بوسع مسلم التنصّل عن ذلك والتنكّر للكم الهائل من الأحاديث إلا أن يدين بغير دين محمد صلى الله عليه وآله.

ولأنّ الأمر واضح وضوح الشمس في كتب المسلمين (الشيعة) سأكتفي بالتذكير ببعض الروايات الواردة في كتب المسلمين (السنة):

- أهل البيت أمان للأمة من الضلال.
- لن يفترقوا عن القرآن.

- "يزيد ابن حيان قال انطلقت انا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ..... قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله و أثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا أيها الناس فإنما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فأجيب و انا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده" [١].

- "عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما" [٢].

- "عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: يا أيها الناس إني تركت فيكم من [ما] إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي" [٣].

- "عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم خليفتين كتاب الله عزوجل حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" [٤].

١- صحيح مسلم: ٧ / ١٢١ - ١٢٢، باب من فضائل علي.

٢- سنن الترمذي: ٥ / ٣٢٩، صححه الألباني في "صحيح سنن الترمذي": ٣٧٨٨.

٣- سنن الترمذي: ٥ / ٣٢٣؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٣ / ٦٦. صححه الألباني في "صحيح سنن الترمذي": ٣٧٨٦.

٤- مسند أحمد: ٥ / ١٨١ - ١٨٢، قال الهيثمي: "أخرجه أحمد وإسناده جيد" مجمع الزوائد: ٩ / ١٦٣.

الرسول صلى الله عليه وآله بيّن لأمته: أنّ الهادي بعده هو علي عليه السلام وفسّر قول ربّه: "إنما أنت منذرولكل قوم هاد" به [١]. وقال في حقه: "من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" [٢]، وقال له: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" [٣].

وعن أهل بيته، أوضح لأمته أنهم:

- "مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق" [٤].
- طاهرون مطهّرون بشهادة الله ورسوله [٥].
- قرن الصلاة عليهم بالصلاة عليه [٦].

١- انظر الأحاديث التي ذكرت ذلك على سبيل المثال: جامع البيان، ابن جرير الطبري: ١٣ / ١٤٢، بسنده عن ابن عباس وقال ابن حجر عنه: "إسناد حسن" فتح الباري: ٨ / ٢٨٥. والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين: ٣ / ١٣٠ بسنده عن علي عليه السلام وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢- ورد في مصادر عديدة منها: مسند أحمد: ١ / ٨٤ ومواطن أخرى كثيرة من المسند، قال الألباني: "حديث: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وهو حديث صحيح غاية، جاء من طرق جماعة من الصحابة خرجت أحاديث سبعة منهم، ولبعضهم أكثر من طريق واحد، وقد خرجتها كلها وتكلمت على أسانيدها في "سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٥٠)" السنة - ابن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة - محمد ناصر الألباني: ص٥٥٢.

٣- انظر: صحيح البخاري: ٤ / ٢٠٨ باب مناقب المهاجرين وفضلهم، صحيح مسلم: ٧ / ١٢٠ باب من فضائل علي.

٤- ورد الحديث في مصادر وطرق كثيرة، منها: فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل: ٢ / ٨٥ رقم الحديث ١٤٠٢؛ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٥٠، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

٥- وهذه نماذج من الأحاديث:

- "قالت عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن بن علي فادخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فادخله ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" صحيح مسلم: ٧ / ١٣٠.

- "قال (ابن عباس) وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" مسند أحمد: ١ / ٣٣١.

٦- قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" الأحزاب: ٥٦، سأل المسلمون الرسول صلى الله عليه وآله أنهم يعرفون السلام عليه فكيف يصلون عليه قال: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد" صحيح البخاري: ٦ / ٢٧؛ صحيح مسلم: ٢ / ١٦ باب الصلاة على النبي بعد التشهد.

- أولي القربى الذين تجب مودتهم على الجميع [١].
- هم المقصودون بآية المباهلة، فهم نفس النبي و أبنائه [٢].
- راضٍ عنهم ورضاه رضا الله [٣].
- سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم [٤].
- إنهم معه في موضع واحد يوم القيامة [٥].
- هم ومحبّوهم من أهل الجنة [٦].

تنبيه: ذكر الآل في التشهد واجب عند بعض طوائف المسلمين (الشيعة، والشافعية وبعض الحنابلة)، وهو الاتم والأكمل عند آخرين مع عدم جواز التعمد بحذف ذكر الآل عند جمهور المسلمين.

١- "عن بن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى قالوا يا رسول الله ومن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة و ابناهما" المعجم الكبير، الطبراني: ٣ / ٤٧. قال الهيثمي: " رواه الطبراني وفيه جماعة ضعفاء وقد وثقوا" مجمع الزوائد: ٩ / ١٦٨.

٢- قال تعالى: "فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ" آل عمران: ٦١ ولم يخرج النبي صلى الله عليه وآله معه غيرهم لمباهلة نصارى نجران: "عن عامر بن سعد عن أبيه قال لما نزلت هذه الآية ندع أبناءنا و أبناءكم ونسائنا ونساءكم و أنفسنا و أنفسكم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فقال اللهم هؤلاء أهلي" المستدرك، الحاكم: ٣ / ١٥٠، قال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

٣- "عن علي أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وقد بسط شملة فجلس عليها هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين ثم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمجامعه فعقد عليهم ثم قال اللهم ارض عنهم كما أنا عنهم راض" المعجم الأوسط، الطبراني: ٥ / ٣٤٨. قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبيد بن طفيل وهو ثقة" مجمع الزوائد: ٩ / ١٦٩.

٤- "عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم" صحيح ابن حبان: ١٥ / ٤٣٤، المعجم الصغير، الطبراني: ٢ / ٣. قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وفيه تليد بن سليمان وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد: ٩ / ١٦٩.

٥- "عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة ذات يوم وعلي قائم وهي مضطجعة و أبنائها إلى جنبها فاستسقى الحسن فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقحة فحلب لهم فأتى به فاستيقظ الحسين فجعل يعالج أن يشرب قبله حتى بكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخاك استسقى قبلك فقالت فاطمة كأن الحسن آثر عندك قال ما هو بآثر عندي منه و إنما هما عندي بمنزلة واحدة و إني و إياك وهما وهذا النائم لفي مكان واحد يوم القيامة" المعجم الكبير، الطبراني: ٢٢ / ٤٠٦. قال الهيثمي: "رواه الطبراني وفيه كثير بن يحيى وهو ضعيف ووثقه ابن حبان" مجمع الزوائد: ٩ / ١٧١.

٦- "عن علي رضي الله عنه قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله ان أول من يدخل الجنة انا وفاطمة والحسن والحسين قلت يا رسول الله فمحبونا قال من ورائكم" المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٥١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

- يقول عنه وأخيه الحسن: "هما ريحانتاي من الدنيا" [١].
- بضعة منه يبكيه منذ ولادته ويخبر بما يجري عليه [٢].
- ثمرة فؤاده [٣].
- يخبره أهل السماء "الملائكة" بمقتله ويروه تربته [٤].
- يعلو نشيج الرسول لمصيبته ويلعن قاتله [٥].

١- صحيح البخاري: ٧ / ٧٤.

٢- "عن أم الفضل بنت الحارث انها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا رسول الله اني رأيت حلما منكرا الليلة قال وما هو قالت إنه شديد قال وما هو قالت رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري فقال رسول الله صلى الله عليه وآله رأيت خيرا تلد فاطمة إن شاء الله غلاما فيكون في حجرك فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلت يوما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فوضعته في حجره ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهريقان من الدموع قالت فقلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما لك قال اتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني ان أمتي ستقتل ابني هذا فقلت هذا فقال نعم و أتاني بتربة من تربته حمراء" المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٧٦، قال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

٣- "عن ابن عباس قال كان الحسين جالساً في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم أتحبه فقال وكيف لا أحبه وهو ثمرة فؤادي فقال أما إن أمتك ستقتله الا أريك من موضع قبره فقبض قبضة فإذا تربة حمراء" مجمع الزوائد، الهيثمي: ٩ / ١٩١ - ١٩٢، قال: "رواه البزاز ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف".

٤- "عن عائشة أو أم سلمة ... ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأحدهما لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل على قبلها فقال لي ان ابنك هذا حسين مقتول وان شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها قال فأخرج تربة حمراء" مسند أحمد: ٦ / ٢٩٤، قال الهيثمي: " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد: ٩ / ١٨٧.

٥- "عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ذات يوم في بيتي قال لا يدخل على أحد فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي فأطلت فإذا حسين في حجره والنبي صلى الله عليه وسلم يمسح جبينه وهو يبكي فقلت والله ما علمت حين دخل فقال إن جبريل عليه السلام كان معنا في البيت قال أفتحبه قلت أما في الدنيا فنعم قال إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء فتناول جبريل من تربتها فأراها النبي صلى الله عليه وسلم فلما أحيط بحسين حين قتل قال ما اسم هذه الأرض قالوا كربلاء فقال صدق الله ورسوله كرب وبلاء ، وفي رواية صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض كرب وبلاء" مجمع الزوائد، الهيثمي: ٩ / ١٨٨ - ١٨٩، قال: "رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها ثقات". والنشيج: البكاء بصوت عالٍ.

"قالت أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم نائماً فجاء حسين يدرج قالت فقعدت على الباب فسبقته مخافة أن يدخل فيوقظه قالت ثم غفلت في شيء فدب فدخل فقعد على بطنه قالت فسمعت نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت فقلت يا رسول الله والله ما علمت به فقال إنما جاءني جبريل عليه السلام وهو على بطني قاعد فقال لي أتحبه فقلت نعم قال إن أمتك ستقتله ألا أريك التربة التي يقتل بها قال فقلت بلى قال فضرب بجناحه

علي(ع) أيضاً يخبر بما يجري على الحسين(ع):

الروايات كثيرة، أكتفي بنموذج منها:

"عن نجى الحضرمي انه سار مع علي رضي الله عنه وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى على اصبر أبا عبد الله اصبر أبا عبد الله بشط الفرات قلت وما ذاك قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وإذا عيناه تذرفان قلت يا نبي الله أغضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان قال بل قام من عندي جبريل عليه السلام قيل حدثني ان الحسين يقتل بشط الفرات قال فقال هل لك ان أشمك من تربته قلت نعم قال فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني ان فاضتا" [1].

"عن ابن عباس قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرجته إلى صفين، فلما نزل بنينوى وهو بشط الفرات، قال بأعلى صوته: يا بن عباس أتعرف هذا الموضع؟ قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي.

قال: فبكى طويلاً حتى اخضلت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا معا وهو يقول: أوه أوه مالي ولآل أبي سفيان؟ مالي ولآل حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر (والطغيان)؟ صبراً يا أبا عبد الله فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم. ثم دعا بماء فتوضأ

فأتى بهذه التربة قلت فإذا في يده تربة حمراء وهو يبكي ويقول يا ليت شعري من يقتلك بعدي" تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ١٩٤.

ملاحظة: هذا الحديثان بنفس المضمون ويؤكدان أنّ البكاء والنحيب على الحسين عليه السلام سنّة نبوية.

أما لعن قاتله: روى الطبراني بسنده عن الرسول صلى الله عليه وآله: "قال يزيد لا يبارك الله في يزيد ثم ذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال نعي إلي حسين و أتيت بتربته وأخبرت بقاتله والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهر اني قوم لا يمنعوه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلط عليهم شرارهم وألبسهم شيعا ..." المعجم الكبير: ٣ / ١٢٠.

١- مسند أحمد: ١ / ٨٥. قال الهيثمي: "رواه أحمد و أبو يعلى والبزار والطبراني ورجاله ثقات" مجمع الزوائد: ٩ / ١٨٧. ورواها ابن أبي شيبة عن الحضرمي أيضاً بالنحو التالي: "أنه سافر مع علي، وكان صاحب مطهرته، حتى حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى: صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله! فقلت: ماذا أبا عبد الله! قال: دخلت على النبي وعيناه تفيضان، قال: قلت: يا رسول الله! ما لعينيك تفيضان؟ أغضبك أحد؟ قال: قام من عندي جبريل فأخبرني أن الحسين يقتل بشط الفرات، فلم أملك عيني أن فاضتا" المصنف: ٨ / ٦٢٢.

وضوء الصلاة فصلى ما شاء الله أن يصلي ثم ذكر نحو كلامه الأول إلا أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة، ثم انتبه فقال: يا بن عباس، فقلت: ها أنا ذا فقال: ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفا عند رقدتي، فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين.

قال: رأيت كأني برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض قد تقلدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطوا حول هذه الأرض خطة ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط، وكأني بالحسين عليه السلام سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه يستغيث فيه فلا يغاث، وكأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبرا آل الرسول صلى الله عليه وآله فإنكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة ثم يعزونني ويقولون: يا أبا الحسن أبشر، فقد أقر الله به عينك [يوم القيامة] يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ثم انتبهت هكذا والذي نفس علي بيده، لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم أني سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء يدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلا من ولدي وولد فاطمة عليهما السلام وإنها لفي السماوات معروفة تذكر أرض كرب وبلاء، كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس" [١].

"عن عبد الله بن يحيى قال: دخلنا مع علي إلى صفين، فلما حاذى نينوى نادى صبرا يا أبا عبد الله، فقال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تفيضان، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، اما لعينيك تفيضان؟ أغضبك أحد؟ قال: لا، بل كان عندي جبرئيل، فأخبرني أن الحسين عليه السلام يقتل بشاطئ الفرات، وقال: هل لك أن أشمك من تربته؟ قلت: نعم، فمد يده وأخذ قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا، واسم الأرض كربلا.

فلما أتت عليه سنتان خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى سفر فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: هذا جبرئيل يخبرني

١- الأمالي، الصدوق: ٦٩٤ – ٦٩٥.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وسفك دمك، و انتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، و انتهاب ثقلك، فعندها تحل ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كل شئ حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار" [١].

ومسألة حصول آيات عند مقتل الحسين وردت عند المسلمين (السنة) بكثرة [٢].

و أيضاً: كان علي عليه السلام يخبر بأنّ عمر بن سعد قاتل ولده الحسين عليه السلام: "عن الأصبغ بن نباتة، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلا أنبأتكم به. فقام إليه سعد بن أبي وقاص، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال له: أما والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وإن في بيتك لسخلا يقتل الحسين ابني، وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه" [٣].

١- الأمالي، الصدوق: ١٧٧ – ١٧٨.

٢- هذه نماذج من الروايات في مصادرهم:

- "عن بن شهاب قال ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن علي إلا عن دم رضي الله عنه" المعجم الكبير: ٣ / ١١٣، قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح" ٩ / ١٩٦.

- "عن الزهري قال قال لي عبد الملك أي واحد أنت ان أعلمتني أي علامة كانت يوم قتل الحسين فقال قلت لم ترفع حصاة ببيت المقدس الا وجد تحتها دم عبيط" المعجم الكبير: ٣ / ١١٣، قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله ثقات" ٩ / ١٩٦.

- "عن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي انكسفت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا انها هي" المعجم الكبير: ٣ / ١١٤، قال الهيثمي: "رواه الطبراني وإسناده حسن" ٩ / ١٩٧.

- "عن دويد الجعفي عن أبيه قال لما قتل الحسين انتهبت جزور من عسكره فلما طبخت إذا هي دم. رواه الطبراني ورجاله ثقات" مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٦.

٣- الأمالي، الصدوق: ١٩٦.

وروى المسلمون أنّ أصحاب أمير المؤمنين كانوا يعلمون بأنّ ابن سعد قاتل الحسين، وأكيد أنّ ذلك كان بإخبار وإعلام منه [١]. أيضاً: أخبر علي عليه السلام عن حامل راية ضلال تخرج لحرب الحسين [٢]، وكذلك أخبر بعض شيعته أنه لا ينصر ولده الحسين [٣].

ونحن إذا عقلنا هذه الروايات وضممناها لما تواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله في الإخبار عن شهادة ولده الحسين وبكائه عليه وبيان فضله ومنزلته عند الله، فإننا ننتهي إلى حقيقة مفادها: أنّ أمر الحسين مخطط له إلهياً، ولم يكن خروجه على انحراف الأمويين ورفضه بيعة يزيد إلا لتنفيذ مراد الله، وقد كشف الرسول مراد ربه ودراه الحسين دراية امتلكت كل وجوده الشريف، فصمّم على إنفاذه بكل ما أوتي من قوة.

١- الشيخ المفيد: "روى عبد الله بن شريك العامري قال: كنت أسمع أصحاب علي إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين عليه السلام وذلك قبل أن يقتل بزمان طويل" الإرشاد: ٢ / ١٣٢ – ١٣٣.

ابن الأثير وابن عساكر: "عن عبد الله بن شريك قال أدركت أصحاب الأردية المعلمة وأصحاب البرانس من أصحاب السواري إذا مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله" انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٢؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٥ / ٤٨ – ٤٩.

٢- "عن سويد بن غفلة قال: إنا عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين جئتك من وادي القرى وقد مات خالد بن عرفطة، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنه لم يمت فأعادها عليه، فقال علي عليه السلام: لم يمت والذي نفسي بيده لا يموت، فأعادها عليه الثالثة، فقال: سبحان الله أخبرك أنه مات، وتقول: لم يمت، فقال له علي عليه السلام: لم يمت والذي نفسي بيده، لا يموت حتى يقود جيش ضلالة يحمل رايته حبيب بن جماز. قال: فسمع بذلك حبيب فأتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أناشدك في وإني لك شيعة، وقد ذكرتني بأمر لا والله ما أعرفه من نفسي. فقال له علي عليه السلام: إن كنت حبيب بن جماز فتحملنها، فولى حبيب بن جماز وقال: إن كنت حبيب بن جماز لتحملنها. قال أبو حمزة: فوالله ما مات حتى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليهما السلام وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته وحبيب صاحب رايته" بصائر الدرجات، الصفار: ٣١٨.

٣- "عن إسماعيل بن زياد قال: إن عليا عليه السلام قال للبراء بن عازب يوما يا براء، يقتل ابني الحسين وأنت حي لا تنصره، فلما قتل الحسين بن علي عليهما السلام كان البراء بن عازب يقول: صدق - والله - علي بن أبي طالب، قتل الحسين ولم انصره. ثم يظهر الحسرة عل ذلك والندم" الإرشاد، المفيد: ١ / ٣٣١.

الحسين (ع) الثائر المصمّم على ملاقاة الوعد:

ابتداءً، ينبغي الإشارة إلى مسألة مهمة:

يمكننا تصنيف عموم المسلمين في تعاملهم مع شخصية الحسين عليه السلام إلى صنفين؛ الأول: يتعامل معه بوصفه إماماً معصوماً وثالث أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله بعد أبيه أمير المؤمنين وأخيه الحسن عليهما السلام. والعصمة باختصار تعني: الاعتصام والامتناع بالله عن جميع محارم الله، ومن ثمّ فالمعصوم لا يخرج الناس من هدى ولا يدخلهم في باطل دائماً و أبداً [١].

والثاني: يتعامل معه على مستوى الإجلال والتعظيم والحب (بدون الاعتقاد بالعصمة والوصاية)؛ استناداً لسيرة الرسول - قولاً وفعلاً - التي أبانت فضل الحسين الذي لا يدانيه فيه أحد غير أبيه وأمه وأخيه، وليست المسألة تتعلق بنسبه الشريف فقط. فمثلاً: ماذا بوسع المسلم أن يقول وهو يسمع نبيه صلى الله عليه وآله الذي يعتقد به يقول: "حسين مني و أنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً"، "الحسين ثمرة فؤادي، ريحانتي من الدنيا"، "الحسين سيد شباب أهل الجنة"..... إلخ مما تقدم ذكره وتواتر أو صح نقله!

وعموماً، نحن إذا استحضرنا بعض المضامين النبوية التي تقدمت، سواء التي جمع فيها الرسول ولده الحسين مع أبويه وأخيه عليهم السلام بعنوان "أهل بيته، آله، عترته"، أو التي أفرده فيها بالذكر، فإننا - لا محال - سننتهي إلى الخلاصة التالية:

[الحسين: أمان للأمة من الضلال + الحسين: لن يفترق عن القرآن + الحسين: طاهر مطهر من الله، ومن أولي القربى الذين تجب مودتهم والصلاة عليهم + الحسين: سفينة النجاة + الحسين: سيد شباب أهل الجنة + الحسين: حبيب الله وحبيب رسوله وثمرة فؤاده وبضعته وسبطه وريحانته + الحسين: من الرسول والرسول منه + الرسول راض

١- عن الصادق عليه السلام، قال: "المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم" معاني الأخبار، الصدوق: ١٣٣.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الحزن والبكاء على مصيبته التي أخبره بها أهل السماء وأمناء وحي الله في ساعة ولادته، واستمر الرسول في بيان فضل الحسين ومنزلته وعظيم قدره وإعلان ذلك لجميع أمته طيلة حياته التي قضاها مع الحسين، ولم يصدر منه أي شيء يوهم نسخ ما فعله أو قاله بخصوص ولده.

الحقيقة، إنّ من يتهم الحسين عليه السلام بالخروج عن شرع جده وطلب الدنيا وحاشاه، فهو يتهم جده الرسول قبله؛ لأن قوله - ببساطة - يعني أنّ الرسول (بكل ما صدر عنه بحق الحسين) كان يغري أمته ويخدعهم (وحاشاه) بتعظيم رجل سيكون مآله طلب الدنيا التافهة ومخالفة دين الله لا غير، أو يعني أنّ ما بيّنه الرسول بحق ولده الحسين كان مجرد عاطفة طفحت من أب تجاه ولده لا أكثر وليس لها رصيد حقيقي عند الله، والعياذ بالله! ويا لها من نتيجة منكرة وقبيحة لا ينتهي إليها إلا من سوّد الله قلبه وأعلن النصب والعداء لله ورسوله وآل الرسول. علماً، إني لاحظت أنّ أول من استعمل كلمة "شق عصا المسلمين" بوجه الحسين عليه السلام ومشروعه الإلهي هو يزيد بن معاوية ثم تبعه على ذلك شريح القاضي في فتواه التي حمل الناس فيها على قتال الحسين، وسار على نهجهم النواصب في كل زمان.

قلت: إنّ الحسين كان لله بكله، فهو - بكل ما يصدر عنه قولاً وفعلاً - لا يبتغي شيئاً غير تنفيذ مراد ربه الذي أخبر به الرسول و أبوه صلوات الله عليهما، ولهذا كان يستحضر ذلك دائماً في مجمل مسيرته حتى يوم شهادته [1].

١- هذه نماذج من الأحاديث التي توضح ذلك:

- "عن المطلب ابن عبد الله بن حنطب قال لما أحيط بالحسين بن علي قال ما اسم هذه الأرض قال كربلاء قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم إنها أرض كرب وبلاء" مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٢، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب وهو ضعيف وقد وثق. وعن علي بن الحسين قال قال لي الحسين ابن علي قبل قتله بيوم ان بني إسرائيل كان لهم ملك قال وذكر الحديث. رواه الطبراني واسناده جيد".

- "عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرتني أم سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت به المرة الأولى ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها فقلت ما هذه التربة يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه الصلاة والسلام ان

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الحسين عليه السلام يعلم أنه مقتول لا محال: عن الصادق عليه السلام: "أتى جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: السلام عليك يا محمد الا أبشرك بغلام تقتله أمتك من بعدك، فقال: لا حاجة لي فيه، قال: فانقض إلى السماء ثم عاد إليه الثانية فقال له مثل ذلك، فقال: لا حاجة لي فيه، فانعرج إلى السماء ثم انقض إليه الثالثة فقال مثل ذلك، فقال: لا حاجة لي فيه، فقال: ان ربك جاعل الوصية في عقبه، فقال: نعم، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل على فاطمة عليهما السلام فقال لها: ان جبرئيل عليه السلام أتاني فبشرني بغلام تقتله أمتي من بعدي، فقالت: لا حاجة لي فيه، فقال لها: ان ربي جاعل الوصية في عقبه، فقالت : نعم اذن. قال: فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية: (حملته أمه كرها ووضعته كرها)، لموضع اعلام جبرئيل إياها بقتله، فحملته كرها بأنه مقتول، ووضعته كرها لأنه مقتول" [١].

وفي هذه الرواية إشارة إلى أنّ العطاء لله والتضحية في سبيله هو خير عظيم يتفضّل به الله على صاحبه، وصاحبه يُبشّر به وإن كان ثمن العطاء فاجعة تدمي القلوب وتهتزلها الجبال الرواسي. و أيضاً: إذا عظم الله في قلب العبد هان كل شيء سواه، فالرسول و ابنته فاطمة صلوات الله عليهما بمجرد أن علما بأنّ المولود الموعود ليس كأي ولد ينتظره الأبوان عادة، و إنما هو ولد له علاقة بدين الله وحاكميته وخلافته في أرضه قبلا على الفور بالرغم من أنّ القتل هو المصير المحتوم الذي ينتظر ولدهم المبشر به، وواضح أنّ قتله له علاقة بدين الله واستمرار الإمامة والخلافة الإلهية: "جاعل الوصية في عقبه".

- "قال عمر ابن سعد للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، إنّ قبلنا ناساً سفهاء يزعمون أني أقتلك، فقال له الحسين عليه السلام: إنهم ليسوا سفهاء، ولكنهم حلماء، أما إنه يقر عيني أن لا تأكل بر العراق بعدي إلا قليلاً" الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٣٢.

- "عن الحسين بن علي عليهما السلام، قال: قال: والذي نفس حسين بيده لا ينتهي بني أمية ملكهم حتى يقتلوني وهم قاتلي، فلو قد قتلوني لم يصلوا جميعاً ابداً، ولم يأخذوا عطاء في سبيل الله جميعاً ابداً، إنّ أول قتيل هذه الأمة انا وأهل بيتي، والذي نفس حسين بيده لا تقوم الساعة وعلى الأرض هاشمي يطرف" كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٦.

- عن حذيفة بن اليمان قال: "سمعت الحسين بن علي عليهما السلام يقول: والله ليجتمعن على قتلي طغاة بني أمية، ويقدمهم عمر بن سعد" دلائل الإمامة، الطبري: ١٨٣.

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٢٣.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

فما حداك على الخروج عاجلاً؟ قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله [١] بعد ما فارقتك فقال: يا حسين اخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً فقال محمد ابن الحنفية: إنا لله و إنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك و أنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال: فقال [لي صلى الله عليه وآله]: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا، فسلم عليه ومضى" [٢].

و أيضاً: لعل أحد أسباب تحوّل موقف زهير بن القين وتصميمه أخيراً على الالتحاق بالحسين عليه السلام أثناء مسيره من مكة إلى العراق والانضمام إلى ركبه هو ما سمعه من سلمان الفارسي رضوان الله عليه [٣]، كما سيتضح لاحقاً.

أعتقد صارواضحاً الآن سبب سوق الحسين عليه السلام نفسه إلى القتل والشهادة في سبيل الله وبلوغ مصيره الموعود به من الله ورسوله، وما ذاك إلا لإنفاذ مراد الله وإعلاء ذكره وحاكميته و إتمام دينه وحجّته على عباده، وكان عليه السلام موطّناً نفسه على ملاقاة حتفه بعزم وتصميم لا يلين ولو كان وحده فقط، وكأنه يتمثل قول القائل:

إن كان دينُ محمدٍ لم يستقمْ إلا بقتلي فيا سيوف خُذيني

وأكيد أنّ الأمة لها يد في بلوغ مشروع الله في هداية عباده إلى حد التضحية بأحب الخلق إلى الله من أجل إتمام الحجة عليهم وتخليصهم من الضلال والانحراف والظلام الذي أوقعوا أنفسهم فيه. أما سبب اصطحاب العيال وبيان وجه المشيئة الإلهية "شاء الله أن يراهن سبايا" التي أخبر بها الحسين عليه السلام فستتضح في قادم البحوث.

١- أي: في الرؤيا.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٦٤.

٣ - قال زهير لأصحابه: (إني سأحدثكم حديثاً: إنا غزونا البحر، ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسي رضي الله عنه: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم مما أصبتم اليوم من الغنائم) الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٣.

(١)

مملكة آل أبي سفيان

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عام ١١ هـ وحدوث الانقلاب الذي ذكره الله تعالى في كتابه: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ" آل عمران: ١٤٤، آلت الخلافة (الحكم) إلى أبي بكر (١١ – ١٣ هـ)، ثم عمر (١٣ – ٢٣ هـ) ثم عثمان (٢٣ – ٣٥ هـ)، وبعد خمسة وعشرين عاماً بويع علي عليه السلام؛ خليفة رسول الله الشرعي المنصوص عليه من قبل الرسول بعد مقتل عثمان في نهاية سنة ٣٥ هـ [١].

لم يكن الأصل والأساس الذي يضبط حركة الحاكم (الخليفة) طيلة الـ ٢٥ عاماً التي سبقت أمير المؤمنين عليه السلام هو الكتاب والعترة، ولا حتى الكتاب والسنة (أعني: قول وفعل الرسول)، وإنما استحدث بعد الرسول ما يسمى بـ (سيرة / سنة الشيخين) كميزان في التقييم والمفاضلة وأحد ضوابط العمل التنفيذي لمن يستلم الحكم والخلافة، وهو ما رفضه أمير المؤمنين لما عرض عليه عمر تولّي الأمر بعده [٢]؛ لأن دين الله الذي يعرفه علي عليه السلام هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله لا غير.

عموماً، كانت واحدة من نتائج سيرة الشيخين - وتحديداً عمر - هو التمهيد للدولة السفيانية الأموية من خلال تعيين معاوية والياً على الشام من قبل عمر سنة ٢١ هـ بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان، وزاد الأمر رسوخاً في زمن عثمان الذي لم يكتفِ بإقرار

١- لم تدم خلافة أمير المؤمنين عليه السلام سوى خمس سنوات (٣٥ – ٤٠ هـ) غير مكتملة.

٢- "عن أبي وائل قال قلت لعبد الرحمن بن عوف كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا رضي الله عنه قال ما ذنبي قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قال فقال فيما استطعت قال ثم عرضتها على عثمان رضي الله عنه فقبلها" مسند أحمد: ١ / ٧٥.

معاوية على ما كان عليه في أيام عمرو إنما وسّع من سلطته وضم لولايته بلاداً أخرى، وبهذا تمكّن معاوية من بسط سيطرته ونفوذه على الشام كلها.

لا يخفى أنّ معاوية - وكذا أبوه وأمه - من الطلقاء الذين أسلموا (ظاهراً) عام الفتح سنة ٨ هـ عنوة لحقن دمائهم، بعد أن لاقى الرسول صلى الله عليه وآله من أذاهم ما لم يلقه رسولاً ولا نبياً قبله، فكل حياة الرسول في الإسلام - بعد بعثته - كانت ثلاثة وعشرين عاماً، قضى واحداً وعشرين عاماً منها وهو يتجرّع الويل والأذى الذي يخيط رداءه أبو سفيان وعائلته وحزبه! تهم: (ساحر، كذاب، مجنون، يعلمه بشر، ... إلخ)، محاولات اغتيال الرسول في مكة والمدينة، تعذيب المسلمين الأوائل ومصادرة أموالهم ودورهم، الإغارة على أتباع الرسول وهم في مدنهم وقراهم آمنون وقتلهم وسلب أموالهم، قيادة الجيوش في الحروب التي تهدف للقضاء على الإسلام ورسوله، قتل المسلمين وهم يدافعون عن دين الله ورسوله، تحشيد العرب واليهود في الجزيرة العربية والزحف بهم نحو المدينة ومحاصرتها للقضاء على الرسول ومن آمن به، إلى غير ذلك من فصول الأذى الذي تعرّض له الرسول ودعوته الفتية، كلها كانت تتم بقيادة أبي سفيان بن حرب [١].

هذا إرث معاوية من جهة الأب، وأما من جهة الأم فيكفي أن نعرف أنّ لقب (ابن آكلة الأكباد) الذي يُطلق عليه إنما كان بسبب ما فعلته أمه (هند بن عتبة) بكبد حمزة بن عبد المطلب (عم الرسول) بعد وقعة بدر للثأر من الرسول على مقتل أبيها وأخيها وعمها (عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة) في معركة بدر [٢].

١- ما تعرّض له الرسول صلى الله عليه وآله من أبي سفيان وحزبه يمكن ملاحظته في جميع كتب السيرة النبوية بما في ذلك كتب المتعصبين لبني أمية كابن كثير مثلاً.

٢- على سبيل المثال: (قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة، كما حدثني صالح بن كيسان، والنسوة اللاتي معها، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يجدعن الآذان والآنف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خدما وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا، غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها، ثم علت على صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ... ولا أخي وعمـــه وبكـــري
شفيت نفسي وقضيت نذري ... شفيت وحشى غليل صدري

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

والصحابة - لما قيل له: (ألا تخرج فضائل معاوية؟ فقال: أي شيء أخرج؟ "اللهم لا تشبع بطنه"! وسكت، وسكت السائل) [١].

قلت: إنّ تمهيداً حصل لبلوغ الأمويين لحظة إعلان مملكتهم الكسروية، فقد عمد عثمان بن عفان طيلة ثلاثة عشر عاماً من عمر خلافته إلى تعيين الأمويين عمّالاً له في حواضر المسلمين المهمة وتسليم زمام الأمور فيها لهم [٢].

وهذه أسماء بعض ولاته حتى سنة ٣٤ هـ، أي قبل مقتله بسنة:

١- معاوية بن أبي سفيان، واليه على الشام.
٢- سعيد بن العاص بن أمية، واليه على الكوفة [٣].

١- تاريخ الإسلام، الذهبي: ٢٣ / ١٠٧.

٢- قال ابن عبد البر، والمقريزي: (وروى عن الحسن أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: قد صارت إليك بعد تيم وعديّ، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك، ولا أدري ما جنّة ولا نار. فصاح به عثمان، قم عني، فعل الله بك وفعل) الاستيعاب: ٤ / ١٦٧٩؛ النزاع والتخاصم: ٦٠. بحسب الرواية، إنّ عثمان زجر أبا سفيان، لكن يبدو أنه أخذ بنصيحته عملياً.

٣- سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية (٢ – ٥٩ هـ)، قتل أبوه يوم بدر كافراً، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، نشأ في حجر عثمان بن عفان، كان فيه غلظة وتجبر وشدة، ولّاه عثمان على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة وكان غير محمود السيرة عندهم فطلبوا تغييره فلم يقبل عثمان ثم اضطر إلى ذلك. كان ممّن خرج مع طلحة والزبير وعائشة في مسيرهم إلى البصرة ثم انفرد عنهم. ولّاه معاوية المدينة سنة ٤٩ هـ بعد مروان بن الحكم وبقي فيها سبع سنين ثم عزله وأعاد مروان. انظر: الاستيعاب: ٢ / ٦٢١؛ البداية والنهاية: ٨ / ٩٠ – ٩١. وقال ابن سعد: (لم يزل سعيد بن العاص في ناحية عثمان بن عفان للقرابة فلما عزل عثمان الوليد بن عقبة بن أبي معيط عن الكوفة دعا سعيد بن العاص واستعمله عليها فلما قدم الكوفة قدمها شابا مترفا ليست له سابقة فقال لا أصعد المنبر حتى يطهر فأمر به فغسل ثم صعد المنبر فخطب أهل الكوفة وتكلم بكلام قصر بهم فيه ونسبهم إلى الشقاق والخلاف فقال إنما هذا السواد بستان لأغيلمة من قريش فشكوه إلى عثمان فقال كلما رأى أحدكم من أميره جفوة أرادنا أن نعزله وقدم سعيد بن العاص المدينة... ثم انصرف سعيد بن العاص إلى الكوفة فأضر بأهلها إضرارا شديدا وعمل عليها خمس سنين إلا شهرا) الطبقات الكبرى: ٥ / ٣٢.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وهذا نص يرويه المؤرخون ضمن أحداث سنة ٣٤ هـ يوضح كيفية تعاطي هؤلاء الولاة مع مطالب الناس المحقة والعادلة في رفض الظلم والفساد المالي والإداري الذي كان عليه الولاة [١]:

(قال أبو معشر: ..... وفي هذه السنة تكاتب المنحرفون عن طاعة عثمان وكان جمهورهم من أهل الكوفة - وهم في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص منفيون عن الكوفة، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة، وتألبوا عليه، ونالوا منه ومن عثمان، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه، وأغلظوا له في القول، وطلبوا منه أن يعزل عماله ويستبدل أئمة غيرهم من السابقين ومن الصحابة، حتى شق ذلك عليه جدا، وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم، فاجتمع إليه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام، وعمرو بن العاص أمير مصر، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير المغرب،

١- بل إشكال المسلمين كان على عثمان بالأساس، وهذا نص للبلاذري يوضح نقمة بعض المسلمين على عثمان بما فيهم عائشة وعمرو بن العاص بعد عزله عن مصر، يقول: (قال الزهري: وكان في الخزائن سفط فيه حلي فأخذ منه عثمان فحلّى به بعض أهله فأظهروا عند ذلك الطعن عليه، وبلغه ذلك فخطب فقال: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم، فقال عمّار: أنا والله اوّل من رغم أنفه من ذلك، فقال عثمان: لقد اجترأت عليّ يا ابن سميّة، وضربه حتى غشي عليه، فقال عمّار: ما هذا بأوّل ما أوذيت في الله، وأطلعت عائشة شعراً من شعر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونعله وثيابا من ثيابه، فيما يحسب وهب، ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم، وقال عمرو بن العاص: هذا منبر نبيّكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبل فيكم وقد بدّلتم وغيّرتم، فغضب عثمان حتى لم يدر ما يقول، والتجّ المسجد واغتنمها عمرو بن العاص، وقد كان عثمان قال لعمرو قبل ذلك وقد عزله عن مصر: إن اللقاح بمصر قد درّت بعدك ألبانها، فقال: لأنّكم أعجفتم أولادها، فقال له عثمان: قملت جبّتك مذ عزلت عن مصر، فقال: يا عثمان إنّك قد ركبت بالناس نهابير وركبوها بك فإما أن تعدل وإمّا أن تعتزل، فقال: يا ابن النابعة و أنت أيضا تتكلّم بهذا لأنّي عزلتك عن مصر؟! وتوعّده) أنساب الأشراف: ٥ / ٥٨٠ – ٥٨١. توضيح بعض المفردات:

- سفط: وعاء توضع فيه أمور خاصة بالنساء. التجّ المسجد: أي اضطرب وهاج. نهابير: الأرض المرتفعة والعالية.

- قول عثمان لابن العاص: "اللقاح بمصر قد درّت بعدك ألبانها": اللقاح جمع لقحة وهي الناقة االغزيرة اللبن، وقد شبّه مصر بها، درّت: أي أخرجت لبنها وهو كناية عن زيادة خراجها، وقصد عثمان: إنّ مصر بعد ابن العاص زاد خراجها الذي صار ابن أبي سرح يبعث به بخلاف ابن العاص الذي كان يحتكره لنفسه وأهل مصر.

- قول ابن العاص لعثمان: "لأنكم أعجفتم أولادها": أي جعلتم أولادها ضعافاً هزالاً، وقصده: أنك يا عثمان صرت تأخذ كل خراج مصر وهذا يؤدي إلى إرهاق أهلها وضعفهم.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

مروان بن محمد بن مروان، مروراً بيزيد ومروان بن الحكم [١] وعبد الملك ولده، وهكذا توريثاً [٢].

كان معروفاً عن معاوية انكبابه على الدنيا وملذاتها بشكل كبير منذ أول أيام إمارته على الشام حتى إنّ عمر بن الخطاب عاتبه لما رآه في الشام وقد أعدّ موكبين للاستقبال، فقال له: (يا معاوية! تروح في موكب وتغدو في مثله، وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك! قال: يا أمير المؤمنين إن العدو بها قريب منا ولهم عيون وجواسيس،

١- مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ابن عم عثمان بن عفان، ولد عام ٢ هـ في مكة، أسلم أبوه عام الفتح، خرج مع أبيه من المدينة إلى الطائف بعد أن طرده الرسول منها إثر استهزائه بالرسول ونقل أخباره إلى مشركي قريش. أرجعه عثمان إلى المدينة في خلافته وقرّبه إليه وقلّده مناصب وكان عثمان يطيع رأيه. شهدت عائشة أن الرسول لعن مروان و أباه إثر الخلاف الذي نشب بينه وبين أخيها عبد الرحمن. كان مع الخارجين على علي عليه السلام يوم الجمل. قتل طلحة بن عبيد الله وهو واقف إلى جنب عائشة بالرغم من كونه معه في صف واحد؛ ثأراً لعثمان الذي يرى مروان أنّ طلحة من ضمن المشتركين في قتله. نظر إليه علي عليه السلام يوماً وقال: "ويلك وويل أمة محمد منك ومن وبنيك!". شهد صفين مع معاوية، ثم ولّاه على المدينة سنة ٤٢ هـ وأضاف له مكة والطائف، ثم عزله عن المدينة وأعاده عليها سنة ٥٤ هـ. تولى حكم المسلمين بعد يزيد سنة ٦٤ هـ ولم يدم ملكه غير سنة واحدة بل أقل، مات عام ٦٥ هـ وكان يعد ممن قتلته النساء خنقاً. انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر: ١/ ٣٥٩ – ٣٦٠، ٢ / ٧٦٧ – ٧٦٩، ٣ / ١٣٨٧ – ١٣٨٩، الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٣ / ٢٢٣، ٥ / ٣٥ – ٤٣.

ذكر المؤرخون طريقة موت مروان، وملخصها: إنه لما بويع لمروان كان قد أطمع خالد بن يزيد بن معاوية في أن يكون له نصيب من أمر الملك من بعده وكان يجلسه معه على سريره، لكنه بدأ ينحاز إلى توريث ولده عبد الملك، فجاء خالد يوماً وأراد الجلوس في مكانه المخصوص فزبره مروان وأهانه قائلاً: "تنحَ يبن رطبة الأست"، فانصرف خالد إلى أمه (وكان مروان قد تزوجها بعد هلاك يزيد) مغضباً ووعدته أن تأخذ له بحقه شرط أن لا يعلم أحد بإخباره لها، ولما جاء مروان وسألها إن كان ابنها خالد حكى لها شيئاً فنفت وذكرت له أن خالداً يجله ويعظمه ويراه بمنزلة الوالد، فاطمئن مروان لجانبها ونام في بيتها، فعمدت هي وجواريها إلى غلق أبواب البيت والانقضاض عليه وخنقه بوسادة حتى مات، ثم صرخت وشقت جيبها مع جواريها وادعت أنه مات فجأة. انظر على سبيل المثال: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥ / ٤٢ – ٤٣.

٢- مسألة التوريث في الحكم الأموي كانت من ضمن نصائح أبي سفيان لولده معاوية، لما ولّاه عمر الشام بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان، إذ قال له: "يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله، وقصربنا تأخيرنا فصاروا قادة وسادة. وصرنا أتباعاً، وقد ولوك جسيماً من أمورهم فلا تخالفهم، فإنك تجري إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك"، قال ابن كثير معقباً: (فلم يزل معاوية نائباً على الشام في الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان) البداية والنهاية: ٨ / ١٢٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

ذكره تماماً بمختلف السبل، ويمكننا أن نجمل خطوات معاوية في تحقيق هذا الهدف الخبيث عبر مرحلتين:

سياسة معاوية في أيام خلافة علي(ع):

الزمان: (٣٦ – ٤٠ هـ):

كل مجريات الأحداث التي أعلن فيها معاوية العداء لخليفة رسول الله علي عليه السلام - وسأقتصر على أهمها - تمت تحت شعار "الطلب بدم عثمان". و أيّاً تكن أسباب النقمة على عثمان، فإنّ علياً عليه السلام لا يد له فيها ولا في قتله من قريب أو بعيد، ومن ثار عليه في المدينة والعراق ومصر معروفون. نعم، كانت سيرة أمير المؤمنين عليه السلام مع عثمان كسيرته مع سابقيه تتلخص في النصح وبيان الحق إن استنصحه أحد منهم.

من جانب آخر: لم تكن صفحة معاوية بريئة، بل لم تكن سلامة عثمان تعنيه أصلاً، وهذا يتضح بملاحظة ما يلي:

أولاً: إنّ معاوية كان يعلم جيداً بما يجري في مدن المسلمين وبوادر نقمتهم على عثمان بسبب سياسته المالية مع ولاته و أقربائه و إيثارهم بالمال دون غيرهم من المسلمين الذين يشتكي الكثير منهم العوز والحرمان، ومع هذا كان معاوية يطلب من عثمان أن يزيد له العطاء وأن يقتطع له الأراضي لاستثمارها، ولما أذن له في زراعتها والانتفاع بثمرها، وبدل أن يرسل وارد تلك الأراضي لبيت مال المسلمين لصرفها في مصالحهم العامة - وبذلك يخف الضغط على عثمان لو كان فعلاً تهمه سلامته - حبسها معاوية على نفسه وأهل بيته وحاشيته، وكل من يعترض على سياسته المالية ينفيه إلى خارج الشام [١].

١- ذكر ابن عساكر الأراضي والمزارع التي استغلها معاوية فقال: (... فلم تزل تلك المزارع موقوفة مقبلة تدخل قبالتها بيت المال فيخرج نفقة مع ما يخرج من الخراج حتى كتب معاوية في إمرته على الشام إلى عثمان أن الذي أجراه عليه من الرزق في عمله ليس يقوم بمؤن من يقدم عليه من وفود الأجناد ورسل أمرائها ومن يقدم عليه من رسل الروم ووفودها ووصف في كتابه هذه المزارع الصافية وسماها له يسأله أن يقطعه إياها ليقوى ها على ما وصف له وإنها ليست من قرى أهل الذمة ولا الخراج فكتب إليه عثمان بذلك كتاباً ...) تاريخ مدينة دمشق: ٢ / ٢٠٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

قد أخذ أموال بيت المال وترك البصرة قبل مقتل عثمان لما ساءت أوضاعه وترك منصبه بالبصرة شاغراً [١] وممكن أن يكون قد التقى معاوية ونسق معه الأمر في الفترة الفاصلة بين تركه البصرة وبين اجتماع الثلاثة في مكة، فمعاوية لا يهمه أصلاً سلامة أحد أو الطلب بثأر أحد بقدر ما يهمه ملك الدنيا، بل ومن مصلحته اصطدام الطرفين فيما بينهم خارج حدود ملكه و أيّاً تكن نتيجة الحرب بينهم فهي تصبّ في مصلحة ملكه بالنهاية.

ثالثاً: يؤكد ما قلناه، النصيحة التي أسداها معاوية لعثمان لما استشاره في الخروج من المأزق الذي هو فيه واختلاف الناس عليه بما فيهم المهاجرين والأنصار، إذ نصحه بمجموعة من الأمور كلها تصب في مصلحته وتؤكد أنه كان يريد توريط عثمان، إذ قال له: (الرأي أن تأذن لي بضرب أعناق هؤلاء القوم، قال من؟ قال: علي وطلحة والزبير، قال عثمان: سبحان الله أقتل أصحاب رسول الله بلا حدث أحدثوه ولا ذنب ركبوه) [٢]!

معاوية يريد تخليص عثمان من ورطته فيقترح أن يقتل علياً عليه السلام مع أنه لا يد له في الحال الذي وصل إليه عثمان بشهادة عثمان نفسه، ولا منتفع من هذا الاقتراح غير معاوية الذي يريد إزاحة علي عليه السلام (وكل من يراه منافساً) من المشهد مبكراً ليستقيم له أمر المملكة التي يترقب توسعتها والإعلان عنها.

ثم بعد أن رفض عثمان هذا الاقتراح، اقترح معاوية عليه ثلاثة أمور تباعاً:

١- أن يأتيه بأربعة آلاف من خيل الشام يحرسونه. رفض عثمان ذلك لعدم وجود مال يغطي نفقتهم.
٢- إبعاد علي عليه السلام وكبار الصحابة عن المدينة ونفيهم في مدن شتى والتفريق بينهم وبين أهاليهم. رفض عثمان هذا الاقتراح أيضاً.

١- انظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٤٤٥.

٢- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٣٤.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

قال: أنت وعثمان كما قال الشاعر: لا ألفينك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زودتني زادي) [١].

علماً، إنّ أهم أسباب نقمة المسلمين على عثمان هو سيرة ولاته الأمويين الذين تسلّطوا على الناس؛ وفي مقدمتهم معاوية ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وأمثالهم، وما كان يغدقه عثمان عليهم وعلى أهله وخاصّته دون سائر المسلمين، وبالتالي لا شك في أنّ معاوية ومروان بن الحكم والأمويين عموماً كانوا سبباً في نقمة الناس على عثمان وبلوغه المآل الذي انتهى إليه [٢] ويتحمّلون جزءاً من المسؤولية كحد أدنى.

مع هذا كله، فإنّ معاوية ما فتئ يصوّرللناس أنّ علياً عليه السلام هو السبب في مقتل عثمان، و أنه الوريث الشرعي لدم عثمان، ولذا فمن حقه أن يعلن الحرب على علي عليه السلام، ومن حقه أن يزعزع أمن واستقرار كل ولايات المسلمين التي بايع أهلها علياً بعد موت عثمان ويفعل بها ما يشاء، و انضم الأمويون ومن على شاكلتهم لمشروع معاوية المعادي لأمير المؤمنين (خليفة رسول الله الشرعي)، و اتفقت كلمتهم على عدم مبايعته، ولا حجة لمعاوية في ذلك غير شعار: "الطلب بدم عثمان"!

ومن العجب حقاً، إنّ طلحة والزبير كانا من ضمن الناقمين على عثمان وصرّحا بعد مقتله ودفنه أنهما كانا كارهين لولايته لتغييره وتبديله السنن وأنّ أمره إلى الله، وطلبا من علي عليه السلام أن يمد يده للبيعة فأبى، لكن لما بايعه المهاجرون والأنصار- في شهر ذي الحجة سنة ٣٥ هـ - وهما معهم طلبا منه أن يشركهما في الأمر ويولّيهما العراق واليمن؛ ظناً منهما أنّ سيرته كسيرة من سبقه، فرفض عليه السلام حتى إنّ بعض المسلمين اقترح عليه

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٢٦ / ١١٦.

٢- كتب مجموعة من الصحابة كتاباً لعثمان ذكروا فيه ما خالف فيه سنّة الرسول وسنة أبي بكر وعمر؛ منها: هبته خمس أفريقيا لمروان بن الحكم وفيه حق الله ورسوله وقد بنى بها مروان القصور بالمدينة، بناء الأبنية المرتفعة لأهله وبناته، تعيينه الولاة من بني عمومته الامويين وفيهم غلمان وأحداث صغار ممن لا صحبة لهم ولا سابقة ولا دراية بالأمور، صلاة الوليد (واليه على الكوفة) بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران وقوله لهم: إن شئتم زدتكم وتعطيل إقامة الحد عليه، اختصاص خاصته بالأقطاع والاعطيات دون سائر المسلمين، ... إلى غير ذلك. انظر: الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٣٥.

أن يوليهما البصرة والكوفة لكسب ودهما فلم يقبل [١]. ولما آيس طلحة والزبير منه خرجا من المدينة بداعي العمرة ولحقا بعائشة التي كانت تؤدي العمرة في مكة وقد دعت إلى المطالبة بدم عثمان لما بلغها خبر مقتله وبيعة الناس لعلي عليه السلام، فاجتمع الثلاثة على المطالبة بدم عثمان وعصبوا الأمر برأس علي عليه السلام ظلماً، والتحق بهم سائر بني أمية كعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم الذي هرب من المدينة إلى مكة ولم يبايع علياً [٢].

وكم حاول علي عليه السلام - كعادته في الحروب دائماً - أن يصرفهم عن قصدهم ويمنحهم الفرصة تلو الأخرى عسى وأن يثوبوا إلى رشدهم ويكفّوا عن خروجهم عليه قبل أن تسيل الدماء لكن دون فائدة، حتى إنه أرسل ابن عباس وطلب منه أن يأتي الزبير وينقل له قوله عليه السلام: "يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فما عدا مما بدا" [٣]! وكتب إلى طلحة أيضاً، كما كتب إلى عائشة قائلاً: "إن الله قد أمرك أن تقرّي في بيتك فاتقي الله وارجعي" [٤]، ولكن دون جدوى أيضاً إلى أن بلغته كتبهم الأخيرة، فأما طلحة فختم كتابه بقوله: "فاعتزل هذا الأمر، ونجعله شورى بين المسلمين" [٥]، وأما

١- كان ابن عباس اقترح على أمير المؤمنين عليه السلام توليتهما، فقال له: "ويحك، إن العراقين بهما الرجال والأموال، ومتى تملّكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع، ويضربا الضعيف بالبلاء، ويقويا على القوي بالسلطان، ولو كنت مستعملاً أحداً لضرّه ونفعه لاستعملت معاوية على الشام، ولولا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية، لكان لي فيهما رأي" الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٥١.

و أيضاً اقترح عليه المغيرة بن شعبة توليتهما وأضاف لهما معاوية، فقال: (يا أمير المؤمنين، إن أردت أن يستقيم لك الأمر فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة، والزبير بن العوام على البصرة، و ابعث معاوية بعهده على الشام حتى تلزمه طاعتك، فإذا استقرت لك الخلافة فأدرها كيف شئت بر أيك. قال علي: "أما طلحة والزبير فسأرى رأيي فيهما، وأما معاوية فلا والله لا أراني الله مستعملاً له، ولا مستعيناً به، ما دام على حاله، ولكني أدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون، فإن أبى حاكمته إلى الله"، و انصرف عنه المغيرة مغضباً لمّا لم يقبل عنه نصيحته. فلما كان الغد أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، نظرت فيما قلت بالأمس وما جاوبتني به، فرأيت أنك وفّقت للخير، فاطلب الحق) الاستيعاب، ابن عبد البر: ٤ / ١٤٤٧.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٤٦٩ - ٤٧٠؛ الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٤٦ – ٤٧، ٥١، ٥٣.

٣- عيون الأخبار، ابن قتيبة: ١ / ٢٩٢.

٤- أنساب الأشراف، البلاذري: ٢ / ٢٣٩.

٥- الامامة والسياسة: ١ / ٧٠.

عائشة فقالت: "جل الأمر عن العتاب، والسلام" [١]. فلما يئس منهم رفع يديه عليه السلام على طلحة والزبير قائلاً: "اللهم إنهما قطعاني وظلماني، ونكثا بيعتي، وألّبا الناس عليّ فاحلل ما عقدا، ولا تحكم لهما ما أبرما، وأرهما المساءة فيما أمّلا وعملا. ولقد استثبتهما قبل القتال، واستأنيت بهما أمام الوقاع، فغمطا النعمة، وردّا العافية" [٢].

وبقي الطرفان ثلاثة أيام مصطفّين للقتال في البصرة وعلي عليه السلام لم يأذن لأصحابه أن يبدؤوهم بقتال، بالرغم من أنهم أثاروا فتنة في البصرة عند وصولهم لها وقاتلوا عامله فيها "عثمان بن حنيف" وطردوه منها بعد أن ضربوه ونتفوا شعر رأسه ولحيته وكتبوا إلى القبائل فيها يألّبونها على علي عليه السلام ونكث بيعته [٣]، ومع هذا كله لم يبدأهم أمير المؤمنين عليه السلام بقتال حتى رموا أحد أصحابه بسهم وهو واقف بين الصفين يحمل مصحفاً فقتلوه، فعندها إذن لجيشه بالقتال، وحدثت معركة الجمل في جمادي الآخرة سنة ٣٦ هـ، وقد خلّفت آلاف القتلى من الطرفين، وكانا طلحة والزبير من بين المقتولين، فاستراح معاوية من نصف من كان وجودهم يؤرقه، وكان مروان بن الحكم هو من قتل طلحة؛ لأنه يراه من ضمن المحرّضين على قتل عثمان، ولما قتله قال مقولته الشهيرة لأبان بن عثمان وكان معه: "لقد كفيتك أحد قتلة أبيك" [٤].

وفي أثناء سيره عليه السلام من المدينة إلى البصرة كتب لأبي موسى [٥] أن يحث أهل الكوفة بالسير إليه فلم يفعل، وبلغه كتاب أخيه عقيل يخبره فيه بخروج الثلاثة لحربه، وأنه رأى ابن أبي سرح ومعه جماعة ينشرون الضلال لمعاوية، فأجابه: "دع ابن أبي سرح

١- الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٦٧.

٢- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩ / ٣٨، استثبتهما: أ طلبت منهما التوبة، واستأنيت بهما: أي انتظرتهما.

٣- انظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٣ / ٣٣٢ – ٣٣٧.

٤- ممّن ذكر قتل مروان لطلحة: الحاكم في المستدرك: ٣ / ٣٧١، محمد بن سعد في الطبقات الكبرى: ٣ / ١٦٧، ابن حجر العسقلاني في الإصابة: ٣ / ٤٣٢، بطرق وأسانيد متعددة، وغيرهم أيضاً.

٥- كان والي عثمان على الكوفة عند مقتله هو أبو موسى الأشعري، ولم يبايع علياً عليه السلام، ولم يعزله أمير المؤمنين بعدُ عن الكوفة، كتب إليه أن يحث الناس للجهاد والسير بهم للحوق به في البصرة، لكنه منع أهل الكوفة من الذهاب إلى البصرة، فكتب له كتاباً بعزله وأرسله بيد ابن عباس ومحمد بن أبي بكر، ثم أمر عليه السلام مالك الأشتر بالذهاب إلى الكوفة لإقالة الأشعري، فوصل مالك ودخل عليه قصر الإمارة وطرده منه.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الشاميين من الماء لم يقبل عليه السلام وقال لهم: "خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكركم وحلوا عنهم فإن الله عزوجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم" [١].

حرب صفين كان يتخللها فترات للسكون ثم الهدنة بعد دخول محرم سنة ٣٧ هـ، استغلها أمير المؤمنين لإرسال رسله إلى معاوية ودعوتهم إياه للطاعة ولزوم جماعة المسلمين، لكن بدون فائدة وهو لا زال يصر بأنّ علياً عليه السلام مشترك بقتل عثمان ويأوي قتلته وأن ليس بينه وبينهم إلا السيف [٢]، وبالمقابل كان علي عليه السلام ينصح رسل معاوية ويذكرهم بحقه [٣].

ثم عادت الحرب بعد محرم ولا زال أمير المؤمنين يوصي جيشه بعدم البدء بقتال وعدم قتل المدبر أو الاجهاز على جريح ونهى عن المثلة وكشف العورة وعن دخول الدور وأخذ الأموال منها وعدم التعرض للنساء، واشتد القتال لأيام وقُتل عماربن ياسر رضوان الله عليه فنزل علي عليه السلام ساحة الحرب بنفسه وحمل بجيشه حملة رجل واحد ونادى على معاوية يدعوه للبراز فأبى [٤]، وزحف الأشتر من الميمنة وتقدم حتى بلغ معسكر

١- تاريخ الطبري: ٣ / ٥٦٩.

٢- كان بشير بن عمرو الانصاري وشبث بن ربعي ومعهم جماعة ممن أرسلهم علي عليه السلام إلى معاوية يدعونه إلى الله والطاعة ولزوم الجماعة، قال له شبث: "والله لا يخفي علينا ما تطلب إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا قولك قتل إمامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب... فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله"، فكان جواب معاوية: "انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف". وذكّره شبث قائلاً: أيسرّك يا معاوية أن تقتل عمار؟ فقال: "وما يمنعني من ذلك لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان"! انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ٢٨٦.

٣- قال عليه السلام مبيّناً حاله بعد مقتل عثمان: ".. ثم أتاني الناس و أنا معتزل أمورهم فقالوا لي بايع فأبيت فقالوا بايع فإن الأمة لا ترضي إلا بك و إنا نخاف إن لم تفعل أن يتفرق الناس فبايعتهم فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية الذي لم يجعل له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، حزب من الأحزاب، لم يزل حربا لله ورسوله هو و أبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين ولا عجب إلا من اختلافكم معه و انقيادكم له وتتركون آل بيت نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإماتة الباطل وإحياء الحق ومعالم الدين" انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ٢٩١ – ٢٩٢.

٤- قال لمعاوية: "علام يقتتل الناس بيننا هلم أحاكمك إلى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور فقال له عمرو: أنصفك فقال معاوية: ما أنصفت، إنك لتعلم أنه لم يبرز له أحد إلا قتله، فقال عمرو: ما يحسن بك ترك مبارزته، فقال معاوية: طمعت فيها بعدي" انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ٣١٢.

أهل الشام واخترق أربعة من الصفوف الخمس الأخيرة المحيطة بخيمة معاوية وكان الظفر أقرب من "عدو الفرس" كما قال، لكن عمرو بن العاص لما أيقن الهلاك والهزيمة اقترح على معاوية حيلة رفع المصاحف على رؤوس الرماح فاستحسن الرأي، وبمجرد رفعها دبَّ الخلاف في جيش علي عليه السلام وقال كثير منهم أجيبوهم، فحذّرهم أمير المؤمنين من أنها مكيدة [١] فهدّدوه إما القبول أو القتل وأصرّوا عليه أن يبعث على الاشتر بالرجوع فبعث يزيد بن هانئ والأشتر يقول بيني وبين النصر ساعة، فقال له ابن هانئ: "أتحب أن تظفر وأمير المؤمنين يُسلّم إلى عدوه أو يقتل، قال لا والله"، فرجع.

ولما توقّف القتال و انتهى الأمر إلى التحكيم اختار أهل الشام عمرو بن العاص حكماً يمثلهم، واختار علي عليه السلام حكماً من طرفه لكن الأحنف بن قيس ومن معه (الخوارج لاحقاً) أصرّوا على أن يكون الحكم أبا موسى الأشعري، فرفضه علي عليه السلام؛ لأنه ليس ثقة عنده وكان يخذّل الناس عنه ولم يكن قد خرج معه إلى صفين، ونصحهم بأن لا يعصوه ثانياً بعد أن عصوه بخدعة رفع المصاحف أولاً، فلم ينفعهم نصحه ولما رأى إصرارهم عليه قال لهم: "افعلوا ما أردتم" [٢].

وفعلاً، حضر أبو موسى و اتفق الطرفان - في صفر سنة ٣٧ هـ - على أن يكون الأمر إلى الحكمين اللذين أقرّا مؤقتاً بقاء علي عليه السلام في العراق ومعاوية في الشام ريثما ينظرا لاحقاً في الكتاب والسنة - حسب زعمهما والاتفاق الذي جرى بينهما - ويقررا القرار الأخير في شهر رمضان و انتهت القصة في دومة الجندل بمكيدة ابن العاص المعروفة للأشعري الذي تكلّم أولاً و أقر بخلع الطرفين وتكلم ابن العاص بعده فو افقه في خلع علي عليه السلام و أثبت خلافة صاحبه، وكانا قد اتفقا في السر على خلع الطرفين وجعل الأمور شورى، فانصرف أهل الشام وهم يسلّمون على معاوية بالخلافة [٣].

١- قال لهم: "عباد الله أمضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فإنّ معاوية وعمرا و ابن أبي معيط وحبيبا و ابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالا ثم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعة ووهناً ومكيدة" انظر: الكامل في التاريخ: ٣ / ٣١٦.

٢- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ٢٧٦ – ٣٢١.

٣- انظر: وقعة صفين، ابن مزاحم: ٥٤٤ – ٥٤٦.

والمؤلم أنّ من حالوا بين علي عليه السلام والظفر بمعاوية وأصرّوا على قبول التحكيم وعلى أبي موسى الأشعري، كانوا أول من اعترض على بنود وثيقة الأشعري و ابن العاص، واتهموا علياً بتحكيم الرجال في دين الله ورفعوا شعار"لا حكم إلا لله" بوجهه ثم خرجوا عليه في النهروان سنة ٣٨ هـ! لله صبرك يا علي.

ثم إنّ معاوية استغل أيام صفين - التي استمرت من ذي الحجة سنة ٣٦ هـ حتى صفر سنة ٣٧ هـ - وأرسل رسائل إلى شخصيات لم تكن قد بايعت علياً عليه السلام يحرّضهم فيها عليه؛ منهم: عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص [١].

وما إن وضعت حرب صفين أوزارها، وعلي عليه السلام (المظلوم؛ المعتدى على حقه) بعدُ لم ينفض غبار ترابها عن وجهه، إلا وبلغه استفحال العثمانية في مصر سنة ٣٨ هـ بتوجيه من معاوية وتحريضه رؤوس الفتنة فيها [٢] على رفض والي علي عليه السلام على مصر (محمد بن أبي بكر)؛ خصوصاً بعد أن دبَّ الخلاف في معسكر علي عليه السلام وظهرت بوادر الخذلان في صفوفهم، فعزم على إبدال محمد بن أبي بكر بمالك الأشتر للسيطرة على الأوضاع هناك، ولما بلغ معاوية الخبر خاف على ذهاب مصر من يده بوصول الأشتر إليها فنسق مع الجايستار (رجل من أهل الخراج) لاغتيال مالك وهو في طريقه إلى مصر ووعده بإسقاط الخراج عنه إن فعل ذلك، وفعلاً دسَّ له سمّاً فقتله. ولما بلغ معاوية خبر موته فرح وقام خطيباً فقال: (أما بعد، فإنه كانت لعلي ابن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفين يعني عمار بن ياسر وقطعت الأخرى اليوم يعني الأشتر) [٣].

١- كتب إلى عبد الله بن عمر: " أما بعد فإنه لم يكن أحد من قريش أحب إلى أن يجتمع عليه الأمة بعد قتل عثمان منك. ثم ذكرت خذلك إياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك، وقد هون ذلك عليّ خلافك على علي، ومحا عنك بعض ما كان منك فأعنا - رحمك الله - على حق هذا الخليفة المظلوم، فإني لست أريد الإمارة عليك، ولكني أريدها لك. فإن أبيت كانت شورى بين المسلمين".

وكتب إلى سعد بن أبي وقاص: "أما بعد فإن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش، الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره، وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك في الأمر، ونظيراك في الإسلام، وخفت لذلك أم المؤمنين. فلا تكرهن ما رضوا، ولا تردن ما قبلوا، فإنا نردها شورى بين المسلمين" انظر: وقعة صفين، ابن مزاحم: ٧١، ٧٤.

٢- مثل: مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج، وهما من رؤوس العثمانية في مصر.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٧١ – ٧٢.

فهّد مقتله أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنه كان من أطوع الناس له وأشجعهم في الدفاع عن حقه [١].

في هذه الأثناء، اجتمع معاوية - على وجه السرعة - بأمرائه يستشيرهم في غزو مصر وانتزاعها من يد علي عليه السلام فوافقوا وجهّز جيشاً بقيادة عمرو بن العاص، وما إن دخلوا مصر التحق بهم عثمانية مصر فبلغوا ألوفاً. فعمد محمد بن أبي بكر إلى إخبار علي عليه السلام بالحال وطلب المدد منه، فقام عليه السلام يحثُّ الناس على الصبر والمسير لدفع العدو ودعاهم إلى موافاته بالجرعة [٢] فلم يستجب له أحد، فبعث إلى أشرافهم فدخلوا عليه وهو حزين فخطب فيهم وعاتبهم [٣]، ثم انتدب له مالك بن كعب ألفي مقاتل فأمّره عليهم وسيّره إلى مصر، وبعد أيام بعث إليه بالرجوع عندما بلغه مقتل محمد بن أبي بكر وتنصيب معاوية لعمرو بن العاص والياً له على مصر [٤].

في نفس السنة - أي ٣٨ هـ - أيضاً: بدأ معاوية بالتحرك على البصرة لزعزعة الأمن فيها كما فعل في مصر، فأرسل عبد الله الحضرمي يدعو الناس إلى معاوية، وفعلاً أحدث فتنة بمجرد وصوله لها واصطف معه جماعة لكن تمت معالجة الموقف بعد أن قتلوا آمر السرية التي بعثها أمير المؤمنين، ولم يكن والي البصرة (عبد الله بن عباس) حينها موجوداً بالبصرة إذ كان قد ذهب للكوفة لتسلية أمير المؤمنين بمقتل محمد بن أبي بكر [٥].

١- عن صعصعة بن صوحان قال: "فلما بلغ علياً عليه السلام موت الأشتر قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أحتسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر، فرحم الله مالكا فقد وفى بعهده، قضى نحبه، ولقى ربه، مع أنا قد وطنا أنفسنا على أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنها أعظم المصائب" الغارات، الثقفي: ١ / ٢٦٤.

٢- موضع بين الكوفة والحيرة.

٣- جاء في كلامه لهم: "الحمد لله على ما قضى من أمر، وقدّر من فعل، وابتلاني بكم، وبمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، أوليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه بغير عطاء ولا معونة ويجيبونه في السنة المرتين والثلاث إلى أي وجه شاء، وأنا أدعوكم - وأنتم أولو النهى وبقية الناس - على المعونة والعطاء فتتفرقون وتنفرون عني وتعصوني وتختلفون عليّ" انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠ / ٦٦٤.

٤- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠ / ٦٦٤؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٧١ فما بعد.

٥- نفس المصدر: ١ / ٦٦٥؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٨٤.

ثم إنّ معاوية - بعد أحداث صفين ومصر - أكثر من شنّ غاراته على المدن الخاضعة لدولة علي عليه السلام في العراق والحجاز واليمن في عامي (٣٨ – ٤٠ هـ)، فكان يرسل جيوشاً تزيد على الألف مقاتل لقتل كل من صادفوه من أتباع علي عليه السلام ونهب أموالهم، وواضح أنّ الهدف منها زعزعة الأوضاع وإرهاب الناس لإبعادهم عن علي عليه السلام. وهذه بعض غاراته:

١- غارة الضحاك بن قيس على أطراف الكوفة (السماوة والثعلبية) [١].
٢- غارة النعمان بن بشير على عين التمر [٢].

١- قال إبراهيم الثقفي: (دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري وقال له: سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغر عليها ... فسرّحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف جريدة خيل (أي: ليس فيهم راجل) فأقبل الضحاك يأخذ الأموال ويقتل من لقي من الأعراب حتى مر بالثعلبية فأغار خيله على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله فقتله في طريق الحاج وقتل معه ناساً من أصحابه. قال أبو روق: فحدثني أبي أنه سمع عليا عليه السلام وقد خرج إلى الناس وهو يقول على المنبر: "يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس وإلى جيوش لكم قد أصيب منها طرف، اخرجوا فقاتلوا عدوكم وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين". قال: فردوا عليه رداً ضعيفاً ورأى منهم عجزاً وفشلاً فقال: "والله لوددت أن لي بكل مائة منكم رجلاً منهم، ويحكم اخرجوا معي ثم فرّوا عني إن بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي وفي ذلك روح لي عظيم وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تدارى البكار العمدة والثياب المتهتّرة كلما خيطت من جانب تهتك على صاحبها من جانب آخر" ثم نزل. فخرج يمشي حتى بلغ الغريين ثم دعا حجر بن عدي الكندي من خيله فعقد له راية على أربعة آلاف ثم سرّحه) الغارات: ٢ / ٤٢١ – ٤٢٥؛ تاريخ الطبري: ٤ / ١٠٣.

٢- أقبل النعمان بن بشير من الشام بألفي رجل وأغار على عين التمر، وكان بها مالك بن كعب ومعه جماعة كثيرين لكن متفرقين، فاستعان بهم ولم يأته منهم غير خمسين و اقتتلوا معهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لما بلغه الخبر: "يا أهل الكوفة المنسر من مناسر أهل الشام إذا أظل عليكم أغلقتم أبوابكم و انجحرتم في بيوتكم انجحار الضبة في جحرها والضبع في وجارها، الذليل والله من نصرتموه، ومن رمى بكم رمى بأفوق ناصل، أفٍ لكم لقد لقيت منكم ترحاً، ويحكم يوماً أناجيكم ويوماً أناديكم، فلا أجاب عند النداء، ولا إخوان صدق عند اللقاء، أنا والله منيت بكم، صم لا تسمعون، بكم لا تنطقون، عمي لا تبصرون، فالحمد لله رب العالمين، ويحكم اخرجوا إلى أخيكم مالك بن كعب فإنّ النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير فانهضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الظالمين طرفاً"، ثم نزل. فلم يخرجوا، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم فأمرهم أن ينهضوا ويحثوا الناس على المسير، فلم يصنعوا شيئاً ... ولما دخل علي عليه السلام منزله قام عدي بن حاتم فقال: هذا والله الخذلان القبيح، هذا والله الخذلان غير الجميل، ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين ثم دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن معي ألف رجل من طئ لا يعصونني فإن شئت أن أسير بهم سرت؟ قال: ما كنت لأعرض قبيلة واحدة

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الملفت في هذه الأحداث والاعتداءات الأموية الظالمة هو كيفية تعاطي أتباع علي عليه السلام معها ومدى الخذلان والفشل والتلكؤ الذي كانوا عليه في الاستجابة السريعة لأوامر أمير المؤمنين عليه السلام في رد المعتدي ودفع الظلم والدفاع عن الحق، والمطلع على خطبه عليه السلام يجد بوضوح تام مدى الألم الذي كان يعانيه منهم [1]، حتى بلغ به الحال أنه كان يتمنّى إبدال المائة منهم بواحد من أولئك، وأنّ حالهم كالثوب المتهرّئ كلما عالج منه جانب انفتق من جانب آخر، وكان يتمنّى الموت للخلاص منهم؛ خصوصاً بعد ذهاب خيرة صحبه كعمار بن ياسر ومالك الأشتر رضوان الله عليهم.

وفعلاً، كان له ما تمنّى صلوات الله عليه ورحل علي عن الدنيا شهيداً مخضّباً بدمه في مسجد الكوفة عام ٤٠ هـ، وأسدل الستار على أعظم شخصية عرفها التاريخ الإنساني بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله مخلّفاً ولديه الحسنين بين ظهراني أمة لا يعدو حال أغلب أفرادها التأرجح بين ثلاث: (محب مقصّر، عدو مبغض، وصنف لا يعنيه ولا يهمه شيء غير العيش في الدنيا كيفما حصل، وهم الأكثر عدداً بطبيعة الحال)، أما المحب الملازم للحق وصاحبه على الوجه التام - أو المقبول لا أقل - فهو أندر من الكبريت الأحمر.

أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجيبون، وأدعوكم وأنتم لا تصلحون فتراعون! هذا بسر قد صار إلى اليمن وقبلها إلى مكة والمدينة ...". ثم سيّر له جارية بن قدامة السعدي من البصرة بألفين ووهب الخثعمي من الكوفة بألفين وجعل جارية على الجميع وأوصاه بوصايا: "أوصيك يا جارية بتقوى الله، فإنها جموع الخير، وسر على عون الله، فألق عدوك الذي وجهتك له، ولا تقاتل إلا من قاتلك، ولا تجهز على جريح، ولا تسخرن دابة وإن مشيت ومشى أصحابك! ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم، ولا تشربن إلا فضلهم عن طيب نفوسهم، ولا تشتمن مسلما ولا مسلمة فتوجب على نفسك ما لعلك تؤدب غيرك عليه، ولا تظلمن معاهدا ولا معاهدة، واذكر الله ولا تفتر ليلا ولا نهارا، واحملوا رجالكم، وتواسوا في ذات أيديكم، وأجدد السير، وأجل العدو من حيث كان، و اقتله مقبلا وارده بغيظه صاغرا، واسفك الدم في الحق واحقنه في الحق، ومن تاب فاقبل توبته. وأخبارك في كل حين بكل حال، والصدق الصدق، فلا رأي لكذوب". وكان بسر قد وصل اليمن وفرّ منها عبيد الله بن العباس واستخلف مكانه عبد الله الحارثي فقتله بسر، وكان عبيد الله ترك ولديه عبد الرحمن وقثم عند زوجته الكنانية فدعا بسر بهما ليُقتلا فخرجن نسوة من كنانة وقلن: "الرجال يقتلون فما ذنب الولدان، والله ما كانت الجاهلية تقتلهم، إنّ سلطاناً لا يشتد إلا بقتل الصبيان ورفع الرحمة لسلطان سوء"! وأراد بسر قتلهن ثم قدّم الطفلين فذبحهما أمام عيني أمهما. ثم سار إلى منطقة جيشان وهم شيعة لعلي فقتل فيهم قتلاً ذريعاً، ثم رجع إلى صنعاء ومنها إلى الحجاز، ولما سمع بقدوم جارية بن قدامة هرب منه وأخذ جارية يطارده من مكان لآخر، إلى أن بلغ جارية نبأ استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام. انظر: تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٧.

١- نقلت بعضاً منها في الهوامش السابقة، فراجع.

سياسة معاوية بعد شهادة علي(ع):

الزمان: (٤١ – ٦٠ هـ)

بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام اقترب معاوية بن أبي سفيان - أكثر من أي وقت مضى - من تحقيق حلمه، فلم يتبقَ له شيء يحول بينه وبين الإعلان عن مملكته على عموم المسلمين سوى إزاحة الإمام الحسن بن علي عليه السلام (المبايع له بعد أبيه) عن طريقه، وهو أمر ممكن بعد معرفة الحال الذي وصل إليه أهل الكوفة في آواخر حياة أمير المؤمنين من الخذلان والتكاسل عن نصرة الحق ودفع الباطل. وهذا ما حدث فعلاً، فبمجرد أن علم معاوية بخبر بيعة أهل الكوفة للحسن عليه السلام أرسل جواسيسه إلى الكوفة والبصرة ليحرّضوا الناس عليه ويفسدوا الأمور، فكُشف أمرهما وتم القبض عليهما. ثم سار معاوية بنفسه إلى العراق، فاستنفر الحسن عليه السلام الناس لجهاد العدو القادم من الشام فتثاقلوا أول الأمر كما هو المتوقع منهم، ثم - بعد اللتيا والتي - خرجوا وكان فيهم أخلاط (أي لم يكونوا كلهم محبّين للحسن، وإنما كان بعضهم شاكّين أو طلاب دنيا، وبعضهم تجمعهم به حالة العداء لمعاوية لا أكثر كبعض الخوارج)، فسار بهم حتى بلغ ساباط.

إثناء سيرهم معه أراد الإمام الحسن اختبار طاعتهم له، فخطب فيهم قائلاً: "أما بعد فو الله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه وما أصبحت محتملاً على امرئ مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردّوا عليّ رأيي غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا".

وما إن أتم كلامه حتى نظر القوم بعضهم في وجوه بعض وقالوا: ما ترونه يريد، قال بعضهم: نظن أنه يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل فهجموا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته وهو جالس متقلّد سيفه، ثم هجم عليه رجل فنزع مطرفه عن عاتقه، فتدخل أهل بيته وحالوا بينه وبين هؤلاء، وفي الطريق هجم عليه رجل من جيشه وأخذ بلجام فرسه وقال: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل وطعنه في فخذه فبلغت العظم، فحملوه عليه السلام إلى المدائن للعلاج.

في هذه الأثناء كانت مجموعة من زعماء القبائل الكوفية كتبت لمعاوية بالطاعة له في السر وطلبوا منه المسير نحوهم وضمنوا له قتل الحسن أو تسليمه له عند اقترابه من معسكره، و انكشف أمرهم للحسن عليه السلام. و أيضاً: كان الحسن أرسل عبيد الله بن العباس من الكوفة ومعه قيس بن سعد في جيش لملاقاة معاوية وجعل الإمرة لعبيد الله وإذا أصيب فقيس بن سعد، فبلغه كتاب قيس يخبره فيه أنّ معاوية أرسل إلى عبيد الله ورغّبه بالمسير إليه ووعده بمنحة مالية قدرها مليون درهم نصفها معجّل والنصف الآخر عند دخول معاوية الكوفة، فانسل عبيد الله وخاصته ليلاً من المعسكر نحو معاوية تاركاً الجيش بلا أمير[١]! وهي خيانة كبرى بلا شك.

هذه الأمور وغيرها كشفت عن أنّ جبهة الحسن بلغت به عليه السلام حدّ اليأس من إقامة الحق وإماتة الباطل[٢] بافتقادها القدر الكافي من الأنصار الحقيقيين الذين يتمكن بواسطتهم من مناجزة الألوف الكثيرة التي قدم بها معاوية من الشام، فكان عليه السلام يعلم يقيناً بأنّ الأمر - عسكرياً - محسوم لمعاوية الذي لا يتورع عن إبادة آل محمد عليهم السلام وذراريهم وشيعتهم عن آخرهم في حال أصرّ الحسن على الحرب، وبالتالي ذهاب دين محمد صلى الله عليه وآله بذهاب أتباعه الحقيقيين، فكان مضطراً للإقدام على توقيع الصلح مع معاوية[٣]، ووضع شروطاً للصلح[٤]؛ إقامة للحجة على معاوية وعلى الناس لا

١- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩ – ١٣.

٢- أوضح الإمام الحسن عليه السلام هذا الأمر لمعاوية في أحد كتبه له، فقال: "أما بعد: فإنّ خطبي انتهى إلى اليأس من حق أحييه وباطل أميته وخطبك خطب من انتهى إلى مراده، و إنني اعتزل هذا الامر وأخليه لك وإن كان تخليتي إياه شرا لك في معادك ولي شروط أشرطها لا تهظنك إن وفيت لي بها بعهد ولا تخف ان غدرت، وكتب الشرط في كتاب آخر فيه يمينه بالوفاء وترك الغدر، وستندم يا معاوية كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل أو قعد عن الحق حين لم ينفع الندم والسلام" علل الشرائع، الصدوق: ١/ ٢٢١.

٣- لا شك أنّ الإمام الحسن عليه السلام معصوم واجب الطاعة بنص الرسول صلى الله عليه وآله وما يفعله هو الحق والصواب، هذا ما نعتقده فيه. أما من يشكل على عصمته بمسألة الصلح مع معاوية فهي بالتأكيد لا تضر بعصمته، وإلا لضرّت بعصمة الرسول صلى الله عليه وآله - وحاشاه - في صلحه مع مشركي قريش في الحديبية سنة ٦ هـ، علماً أنّ الظروف التي اضطرت الإمام الحسن للصلح قد تبدو أقسى بعد الخذلان وفقدان الناصر.

٤- وثيقة الصلح تضمنت شروطاً، أهمها: ١- أن يسلم الأمر لمعاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين. ٢- أن يكون الأمر للحسن من بعده فإن حدث به حدث فللحسين وليس لمعاوية أن يعهد به لأحد. ٣- أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة ولا يذكره إلا بخير. ٤- الناس جميعاً آمنون في أرض الله، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم وأن لا يتعقب عليهم شيئاً ولا يتعرض

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

أتباعه كنهج أساسي وملزم لا يجوز التخلّف عنه، حتى إنه عرض نهجه الخبيث هذا على سعد بن أبي وقاص فرفض أو غضب [١].

معاوية يعرف جيداً أنّ شيوع صفحة علي عليه السلام بالصورة التي أرادها الله ورسوله بين المسلمين يسلب منه أي حق في تسلّطه وتأمّره على الشام فضلاً عن طموحه بتوسيع ملكه على عموم بلاد المسلمين، ولما كان وجود علي عليه السلام هو الحائل الأكبر بينه وبين مراده سعى بكل وسيلة قذرة لقتل شخصيته من خلال التوهين والنيل والانتقاص والسب وتوظيف الأمراء ووعاظ السوء للإساءة له من على المنابر [٢]، واختلاق

١- روى مسلم بسنده: "عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال امر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما منعك ان تسب أبا التراب فقال اما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبه لان تكون لي واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له على يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدي وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الر اية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولنا لها فقال ادعوا لي عليا فاتى به أرمد فبصق في عينه ودفع الر اية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي" صحيح مسلم: ٧ / ١٢٠ – ١٢١.

وروى ابن ماجة بسنده: "عن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم معاوية في بعض حجاته، فدخل عليه سعد، فذكروا عليا. فنال منه. فغضب سعد، وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من كنت مولاه فعلى مولاه". وسمعته يقول أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي". وسمعته يقول "لأعطين الر اية اليوم رجلا يحب الله ورسوله" سنن ابن ماجة: ١/ ٤٥. قال الألباني في (صحيح وضعيف سنن ابن ماجة: ١ / ١٩٣): "صحيح".

٢- الروايات ونقولات المؤرخين في نيل الأمويين من علي عليه السلام ولعنهم إياه (والعياذ بالله) من قبل معاوية وعمّاله كزياد والمغيرة ومروان وبسر بن أرطاة وغيرهم كثيرة جداً، وهذه جملة ممن ذكر ذلك:

- ابن حجر، قال: (ثم كان من أمر علي ما كان فنجمت طائفة أخرى حاربوه ثم اشتد الخطب فتنقصوه و اتخذوا لعنه على المنابر سنّة وو افقهم الخوارج على بغضه) فتح الباري: ٧ / ٥٧.

- اليعقوبي، ضمن أحداث سنة ٤٤ هـ، قال: (وفي هذه السنة عمل معاوية المقصورة في المسجد وأخرج المنابر إلى المصلى في العيدين، وخطب الخطبة قبل الصلاة، وذلك أن الناس، إذا صلوا، انصرفوا لئلا يسمعوا لعن علي، فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٣.

- المسعودي: (وقد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن علي، فمن أبى ذلك عرضه على السيف) مروج الذهب: ٣ / ٢٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وروى الجاحظ: (أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً) [١]. وفعلاً، لم ينقطع ملوك بني أمية أخزاهم الله عن سب علي عليه السلام ولعنه بعد معاوية [٢].

ولا أعتقد أنّ مسلماً يشك في أنّ النيل من علي عليه السلام والإساءة له ممّا يؤذي الرسول صلى الله عليه وآله أذىً شديداً، وجزاء من يؤذي الرسول مبيّن في القرآن بوضوح، قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا" الأحزاب: ٥٧.

ثم إنّ سب علي عليه السلام هو سب للرسول صلى الله عليه وآله، لأنه نفسه بنص آية المباهلة في القرآن الكريم، لذا روي عن ابن عباس: "قال: أشهد بالله لسمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله عزوجل أكبه الله على منخريه" [٣].

و أيضاً: سب علي عليه السلام من أظهر مصاديق بغضه الموجب لنفاق صاحبه كما روى مسلم بسنده: "عن زر قال قال علي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق" [٤].

وجزاء المنافق واضح في القرآن الكريم، قال تعالى: "بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" النساء: ١٣٨، " إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا" النساء: ١٤٠، "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا" النساء: ١٤٥.

١- نقل ابن أبي الحديد عنه ذلك، انظر: شرح نهج البلاغة: ٤ / ٥٧. "هذا الرجل": يعني علياً عليه السلام.

٢- روى مسلم بسنده: (عن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل بن سعد فأمره ان يشتم عليا قال فأبى سهل فقال له اما إذ أبيت فقل لعن الله أبا التراب فقال سهل ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب وإن كان ليفرح إذا دعي بها ...) صحيح مسلم: ٧ / ١٢٤.

٣- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٢١، قال: "هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه".

٤- صحيح مسلم: ١ / ٦١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

العاص الذي ولّاه معاوية مصر في حياة أمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل واليه عليها: محمد بن أبي بكر سنة ٣٨ هـ كما تقدم.

ولاة معاوية على الكوفة، هم:

١- المغيرة بن شعبة، سنة: ٤١ – ٥٠ هـ [١].
٢- زياد بن أبيه، سنة: ٥٠ – ٥٣ هـ [٢].

تستطيع أن تأخذ منه شيئا استعمل على الخراج من يخافك ويهابك ويتقيك فعزل المغيرة عن الخراج واستعمله على الصلاة، فلقى المغيرة عمراً فقال أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت به في عبد الله قال نعم قال هذه بتلك) تاريخ الطبري: ٤ / ١٢٧.

١- المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق أو الحديبية سنة ٦ هـ. كان معروفاً بالدهاء، ولّاه عمر البصرة سنة ١٧ هـ وعزله لما شُهد عليه بالزنا ثم ولّاه الكوفة سنة ٢١ هـ وبقي فيها حتى موت عمر فأقره عثمان عليها ثم عزله بعد ذلك. وصارت قصته مثلاً بين أهل البصرة يقول أحدهم للآخر: "غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البصرة فولّاه الكوفة". اعتزل علياً عليه السلام، وسار مع أهل الجمل عند خروجهم من مكة إلى البصرة ثم تركهم و انصرف للطائف، اعتزل صفين، ثم صار يدعو لمعاوية ولحق به بعد مسألة التحكيم وولّاه معاوية على الكوفة بعد الصلح مع الحسن عليه السلام. كان ينال من علي عليه السلام في خطبه، و أقام خطباء ينالون منه. مات بالكوفة سنة ٥٠ أو ٥١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٢١ – ٣٢؛ الاستيعاب، ابن عبد البر: ٤ / ١٤٤٥ – ١٤٤٧؛ الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٤ / ٢٨٤ – ٢٨٦.

٢- له نسبان؛ الأول: زياد بن عبيد الثقفي، والثاني: زياد بن أبي سفيان بعد أن استلحقه معاوية وادعى أنه أخوه؛ إذ نقل: أن أبو سفيان أتى الطائف فسكر وطلب بغياً فجيء له بسمية وكانت متزوجة بعبيد، فولدت زياداً من جماعة، فادعاه معاوية واستلحقه به واسترضاه وولّاه. ولد زياد عام الهجرة وأسلم في زمن أبي بكر، عمل كاتباً عند أبي موسى الأشعري في أيام ولايته على البصرة في زمن عمر وعثمان، ثم عمل مع ابن عباس أيام ولايته على البصرة من قبل علي عليه السلام وكان يستخلفه عليها إذا غاب عنها. كان معروفاً بالشدة والفتك على من يخالف هواه، ولّاه معاوية الكوفة والبصرة، ولما بلغ عبد الله بن عمر: "أن زيادا كتب إلى معاوية: إني قد ضبطت العراق بيميني، وشمالي فارغة، وسأله أن يوليه الحجاز. دعا عليه. وكان الحسن عليه السلام يدعو عليه أيضاً لما بلغه أن زياداً يتتبع شيعة علي بالبصرة فيقتلهم، وكان يجمع أهل الكوفة ليعرضهم على البراءة من أبي الحسن، فأصيب بطاعون سنة ٥٣ هـ ومات. انظر: سير أعلام النبلاء: ٣ / ٤٩٤ – ٤٩٦. كان زياد يميل إلى علي عليه السلام وحضر معه صفين، ولما توعده معاوية قام زياد في الناس فقال: "إن ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق كتب إلي يتوعدني، وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسعين ألف مدجج من شيعته، أما والله لئن رامني ليجدني ضر ابا بالسيف". ولما استتب الأمر لمعاوية بعد موت أمير المؤمنين عليه السلام تحصن زياد بقلعة اصطخر، ثم أعطاه معاوية الأمان فذهب إليه، وبدأ يقربه إليه شيئاً فشيئاً حتى ادّعاه وزعم أنه أخاه من صلب أبي سفيان بشهادة رجلين؛ أحدهما: الخمّار أبو مريم السلولي والثاني رجل من بني المصطلق اسمه يزيد. ثم ولاه معاوية على البصرة وبعد هلاك المغيرة بن شعبة ضم له معاوية الكوفة. انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢١٩.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

ومن ولاتها في زمن عمر بن الخطاب:

- سعد بن أبي وقاص، سنة: ١٧ – ٢١ هـ.
- المغيرة بن شعبة، سنة: ٢١ – ٢٣ هـ.

أما ولاتها في زمن عثمان بن عفان، فهم:

- سعد بن أبي وقاص، سنة: ٢٣ – ٢٦ هـ.
- الوليد بن عقبة، سنة: ٢٦ – ٣٠ هـ [١].
- سعيد بن العاص، سنة: ٣٠ – ٣٤ هـ.
- أبو موسى الأشعري، سنة: ٣٤ – ٣٦ هـ [٢].

ولاة معاوية على البصرة، هم:

١- بسر بن أرطاة، سنة: ٤١ هـ [٣].

١- الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية، أخو عثمان بن عفان لأمه، أسلم يوم الفتح، وفيه نزل قوله تعالى: "إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ ...". ولّاه عثمان الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص ولما رأى انزعاج سعد من قرار عثمان قال له: "لا تجزعنّ أبا إسحاق فإنما هو الملك يتغدّاه قوم ويتعشّاه آخرون. فقال سعد: أراكم والله ستجعلونها ملكاً". كان فاسقاً شرّيباً للخمر، وهو الذي صلى بأهل الكوفة الصبح أربع ركعات ثم التفت لهم قائلاً: "أزيدكم" فأجابه ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم! أقام علي عليه السلام عليه الحد لشربه الخمر. سكن البصرة بعد مقتل عثمان، اعتزل علياً، وحرّض معاوية على قتال علي، ثم اعتزل بعد ذلك. مات في الرقة بالشام. انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر: ٤ / ١٥٥٢ – ١٥٥٧. صلى بالناس يوماً وقرأ بهم: علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا، انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٣١ / ١٥٩.

٢- عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، يكنى أبو موسى، أسلم في مكة ورجع إلى قومه. ولّاه عمر على البصرة و أقرّه عثمان عليها ثم عزله وولّى عبد الله بن عامر. ثم انتقل إلى الكوفة وأصبح والياً لعثمان عليها بعد سعيد بن العاص، وبعد مقتل عثمان عزله علي عليه السلام، موقفه في قضية التحكيم بعد صفين معروف، وكان يدعو لعبد الله بن عمر، مات سنة ٤٢ هـ. انظر: الاستيعاب: ٣ / ٩٧٩ – ٩٨٠؛ سير أعلام النبلاء: ٢ / ٣٨٠ – ٣٩٧. قلت: تقدم أنّ سبب عزل أمير المؤمنين عليه السلام له من الكوفة أنه كتب إليه أن يسيّر الناس لملاقاته في البصرة في حرب الجمل لكنه منع الناس وخذّلهم عن الخروج فعزله وأرسل له مالك الأشتر فأخرجه من قصر الإمارة، كان ممّن لعنهم علي عليه السلام، انظر: الغارات، الثقفي: ٢ / ٦٤١ – ٦٤٢.

٣- بسر بن أرطاة القرشي الفهري، ولد قبل وفاة الرسول بقليل، طاغية مجرم، كان مع معاوية في صفين، شجّعه معاوية على البراز لعلي عليه السلام ففعل، ولما طعنه علي وصرعه وأراد قتله كشف عورته بوجهه كما فعل عمرو بن العاص فكف عنه. أرسله معاوية إلى المدينة واليمن بعد صفين وقام بأعمال فظيعة ضد المسلمين وشيعة علي

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وكان من ولاة البصرة في زمن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان:

- المغيرة بن شعبة، سنة: ١٧ هـ، وعزله عمر في نفس السنة بتهمة الزنا.
- أبو موسى الأشعري، سنة: ١٧ – ٢٩ هـ، بقي عليها حتى موت عمر سنة ٢٣ هـ و أقرّه عثمان عليها ثم عزله سنة ٢٩ هـ.
- عبد الله بن عامر، سنة: ٢٩ هـ، بقي عليها حتى عزله علي عليه السلام سنة ٣٦ هـ وعيّن مكانه: عثمان بن حنيف.

ولاة معاوية على المدينة، هم:

١- مروان بن الحكم، سنة: ٤٢ – ٤٩ هـ، ولاية أولى.
٢- سعيد بن العاص، سنة: ٤٩ – ٥٤ هـ.
٣- مروان بن الحكم، سنة: ٥٤ – ٥٧ هـ، ولاية ثانية.
٤- الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، سنة: ٥٧ هـ، واستمر إلى موت معاوية و أقرّه يزيد عليها، وهو الذي طلب البيعة ليزيد من الحسين عليه السلام كما سيتضح.

وأما مكة فكانت في البداية تلحق بالمدينة تحت عنوان "ولاية الحجاز"، لكن المؤكد أنّ الحال تغير بعد ذلك، فعند هلاك معاوية في سنة ٦٠ هـ كان واليه على المدينة الوليد بن عتبة بين أبي سفيان وعلى مكة يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية [١].

وعموماً، نحن إذا لاحظنا قائمة أسماء الولاة الذين عيّنهم معاوية على أهم مدن المسلمين وجدناهم أمويين حتى النخاع؛ إما نسباً وولاءً، أو ولاءً و اتّباعاً، ولما كان الوالي أداة لتنفيذ نهج وسياسة ملكه أو رئيسه وجدنا الولاة كلهم سواء في خبثهم وبغضهم لعلي

وثقله إلى يزيد" (العقد الفريد: ٤/ ٣٨٢). هرب إلى الشام بعد موت يزيد، ثم رده مروان بن الحكم إلى العراق، فوجه المختار إليه إبراهيم بن مالك الأشتر فالتقوا بقرب الزاب يوم عاشوراء سنة ٦٧ هـ وقتله و أنفذ برأسه مع رؤوس قواده إلى المختار (سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣/ ٥٤٩).

١- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٧. ويحيى بن حكيم: من بني جمح (أحد بطون قريش) الذين كانوا مع عائشة يوم الجمل، قُتل منهم اثنان وهرب الباقون منهم يحيى هذا، انظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١ / ١٢٣. كان جده صفوان أحد الذين لعنهم الرسول يوم أحد، روى الترمذي: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية.." سنن الترمذي: ٤ / ٢٩٥.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تديّنوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض) [١].

وقد وفدت سودة بنت عمارة الهمدانية على معاوية يوماً وشكت إليه جورولاته ومنهم بسر بن ارطأة، فهدّدها بأن يردها إليه وينفذ فيها حكمه، ثم قال: "هيهات لمّظلكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان" [٢].

وعموماً، يمكننا إجمال سياسة معاوية بعد إعلان مملكته في ثلاث ركائز أساسية:

١- انظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١ / ٤٤ – ٤٦.

٢- وهذا تمام الحادثة للفائدة: قال سودة لمعاوية: (إنك أصبحت للناس سيداً ولأمورهم متقلداً والله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا ولا تزال تُقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط سلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة هذا ابن أرطاة قدم بلادي وقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإما عزلته عنا فشكرناك وإما لا فعرفناك فقال معاوية: إياي تهددين بقومك والله لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردّك إليه ينفذ فيك حكمه فأطرقت تبكي ثم أنشأت تقول:

صلّى الإله على روح تضمّنه ... قبرٌ فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمناً ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال: ومن ذلك قالت: علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك قالت: أتيته يوماً في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين فوجدته قائماً يصلي فانفتل من الصلاة ثم قال بر أفة وتعطف: ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال: اللهم إنك أنت الشاهد عليّ وعليهم إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يأتي من يقبضه منك والسلام فأخذته منه والله ما خزمه بخزام ولا ختمه بختام فقرأته فقال معاوية: اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها فقالت: ألي خاصة أم لقومي عامة قال: وما أنت وغيرك قالت: هي والله إذن الفحشاء واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً وإلا يسعني ما يسع قومي قال: هيهات لمّظلكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تفطمون) جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت: ٢ / ٢٧٦ – ٢٧٧.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

في الكوفة: كان المغيرة بن شعبة يسب علياً [١]، وكان يذمّ علياً عليه السلام وشيعته وينال منهم على المنبر، ويلعن قتلة عثمان ويزكّيه، فتصدّى له حجر بن عدي يوماً فقال: (و إني أشهد أنّ من تذمّون أحق بالفضل ممن تطرون، ومن تزكّون أحق بالذم ممن تعيبون. فأجابه المغيرة: يا حجر، ويحك! اكفف من هذا و اتّقِ غضبة السلطان وسطوته؛ فإنها كثيراً ما تقتل مثلك) [٢].

وفي الكوفة والبصرة: سعى زياد إلى تتبع شيعة علي عليه السلام - لأنه عارف بهم جيداً؛ لما تقدم من أنه كان منهم أول أمره - فيقتلهم قتلاً ذريعاً، وكان يدعو الناس إلى لعنه والبراءة منه [٣]، وقد طلب من صعصعة بن صوحان فعل ذلك علناً أمام الناس فرفض فقطع العطاء عنه وهدم داره، ولما لم يتمكن من قتله نفاه إلى جزيرة البحرين فمات فيها رحمه الله [٤].

١- روى الحاكم بسنده: (عن زياد بن علاقة عن عمه ان المغيرة بن شعبة سب علي بن أبي طالب فقام إليه زيد بن أرقم فقال يا مغيرة ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن سب الأموات فلم تسب علياً وقد مات * هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) المستدرك على الصحيحين: ١ / ٣٨٥.

٢- انظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧ / ٩٠.

٣- تقدم في بيان حاله ما يؤكد ذلك، فراجع.

٤- أخرج القاضي النعمان: (كتب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد: أن ابعث لي خطباء أهل العراق: و ابعث إليّ صعصعة بن صوحان. ففعل. فلما قدموا على معاوية خطبهم. فقال: مرحبا بكم يا أهل العراق قدمتم على إمامكم، وهو جنة لكم يعطيكم مسألتكم، .. وقدمتم على أرض المحشر والمنشر والأرض المقدسة وأرض هجرة الأنبياء. ثم قال في خطبته: ولو أن أبا سفيان ولد الناس كلهم لكانوا أكياساً.

ولما فرغ من خطبته، قال لصعصعة: قم واخطب. فقام صعصعة: فحمد الله و أثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: إن معاوية ذكر إنا قدمنا على إمامنا وهو جنة لنا فما يكون حالنا إذا انخرقت الجنة، وذكر إنا قدمنا على أرض المحشر والمنشر والأرض المقدسة وأرض هجرة الأنبياء. فالمحشر والمنشر لا يضر بعدهما مؤمناً ولا ينفع قربهما كافراً. والأرض لا تقدس أحداً، و إنما يقدس العباد أعمالهم. ولقد وطأها من الفراعنة أكثر مما وطأها من الأنبياء. وذكر إن أبا سفيان لو ولد الناس كلهم لكانوا أكياساً، فقد ولدهم من هو خير من أبي سفيان آدم صلوات الله عليه فولد الكيس والأحمق والجاهل والعالم.

فغضب معاوية وقال: اسكت لا أم لك ولا أب ولا أرض. فقال صعصعة: الأب والام ولداني ومن الأرض خرجت وإليها أعود. فأمر برده إلى زياد، ثم كتب إليه: أقمه للناس وأمره أن يلعن علياً، فإن لم يفعل، فاقتله. فأخبره زياد بما أمره به فيه و أقامه للناس. فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: أيها الناس إن معاوية أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله، ونزل. فقال زياد لصعصعة: لا أراك لعنت إلا أمير المؤمنين. قال:

وفي المدينة: انتشر سبُّ علي عليه السلام إلى حد أنّ أم سلمة كانت تسمعه بأذنيها وتقول لمن يدخل عليها: "أيُسبُّ رسول الله فيكم، قلت: معاذ الله - أو سبحان الله أو كلمة نحوها - قالت: سمعت رسول الله يقول: من سبَّ علياً فقد سبّني" [١]. وما كان هذا ليحصل في مدينة الرسول إلا بفعل ولاة معاوية وأوامره الصادرة لهم؛ خصوصاً و أنه ابتدأ ملكه في المدينة باستعمال مروان بن الحكم عليها إضافة لمكة والطائف، وما أدراك ما مروان وما بغضه وحقده على أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته [٢]!

كانت هذه هي سيرة ولاة معاوية بأجمعهم في مدن وحواضر المسلمين دون استثناء، ولم تنقطع هذه السيرة الخبيثة إلا سنة ٩٩ هـ في أيام عمر بن عبد العزيز [٣].

حجر بن عدي يدفع ضريبة الولاء:

حجر بن عدي الكندي من أجلّاء الصحابة وزهّادهم [٤]، وفد على الرسول صلى الله عليه وآله مع أخيه هانئ بن عدي، شارك في فتح الشام ومرج عذراء - التي قتل فيها - وهو أول مسلم كبّر فيها [٥]. كان حجر موالياً لأمير المؤمنين محبّاً له حبّاً شديداً وشهد معه

إن تركتها مهمة وإلا بيّنتها. قال زياد: لتلعنن علياً، وإلا نفذت فيك أمر أمير المؤمنين، فصعد المنبر. فقال: أيها الناس إنهم أبوا عليّ إلا أن أسب علياً عليه السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله، وما كنت بالذي أسب الله ورسوله. فكتب زياد بخبره إلى معاوية. فأمره بقطع عطائه وهدم داره. ففعل) شرح الأخبار: ١ / ١٧٠.

١- الحديث رواه أحمد في مسنده: ٦ / ٣٢٣؛ والحاكم في المستدرك: ٣ / ١٢١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الهيثمي عن الحديث: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة" مجمع الزوائد: ٩ / ١٣٠.

٢- تقدم أنّ مروان كان من ضمن الخارجين على علي عليه السلام في الجمل وصفين.

٣- روى ابن سعد والذهبي: (كان الولاة من بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون علياً رحمه الله فلما ولي عمر أمسك عن ذلك) الطبقات الكبرى: ٥ / ٣٩٣؛ سير أعلام النبلاء: ٥ / ١٤٧، وفي رواية الذهبي: "رجلاً" بدل "علياً" والمقصود واضح.

٤- خصص له الحاكم النيسابوري باباً في مستدركه وقال: (ذكر مناقب حجر بن عدي رضي الله عنه وهو راهب أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وذكر مقتله) المستدرك على الصحيحين: ٣ / ٤٦٨.

٥- مختصر أخبار شعراء الشيعة، المرزباني: ٤٩.

الجمل وصفين والنهروان. وبعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام واستيلاء معاوية على الكوفة، كان معاوية قلقاً من ناحية حجر بن عدي وبعض الأشخاص لذا كتب إلى واليه المغيرة بن شعبة: (خذ زياداً وسليمان بن صرد وحجر بن عدي وشبث بن ربعي و ابن الكواء وعمرو بن الحمق بالصلاة في الجماعة، فكانوا يحضرون معه في الصلاة) [١].

في وقت المغيرة، استنكر حجر سياسة الأمويين الظالمة؛ خصوصاً ما يتعلق منها بذم علي عليه السلام والانتقاص منه [٢]، فتوعّده المغيرة بالقتل إذا استمر بدفاعه عن علي عليه السلام، وفي أواخر حياة المغيرة كان له موقف معه إذ سمعه يخطب على منبر الكوفة وينال من علي عليه السلام ويلعنه ويلعن شيعته، فصاح حجر بوجهه صيحة أسمعت من في المسجد وخارجه وطلب منه الكف عن ذلك، و أيده بعض الحاضرين الذين طالبوه بمنحهم أرزاقهم، واعتلت الأصوات فسكت و انصرف إلى قصره [٣].

وبعد هلاك المغيرة سنة ٥٠ هـ ومجيء زياد بن أبيه استدعى حجراً - وكان صديقاً له سابقاً قبل لحوقه بمعاوية - فقال له: (قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتمله منك؛ و إني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبداً، أرأيت ما كنت تعرفني به من حبّ عليّ وودّه، فإنّ الله قد سلخه من صدري فصيّره بغضاً وعداوة، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية وعداوته فإنّ الله قد سلخه من صدري وحوّله حبّاً ومودّة)! ثم هدده لصرفه عن نهجه في الدفاع عن علي عليه السلام وحذّره من أن يُحدث شيئاً في الكوفة؛ لأنه كان محط أنظار أتباع علي عليه السلام حيث كانوا يجتمعون عنده ويسمعون كلامه ويحيطون به [٤].

ثم ساءت الأمور أكثر وحجر مستمر بدفاعه عن علي عليه السلام ومعه جماعة، فأمر زياد وجهاء الكوفة وأشرافها أن يسحبوا أبناءهم وإخوانهم و أقربائهم من حجر؛ سعياً منه إلى إفراده والقضاء عليه، وشيئاً فشيئاً لم يبقَ مع حجر إلا نفر قليل باتوا مشردين مطاردين وزياد يطلبهم في كل مكان وبأي وسيلة؛ خصوصاً حجر، فتمكن من إلقاء القبض

١- تاريخ الطبري: ٤ / ١٣٧. يقصد بزياد: زياد بن أبيه؛ إذ كان من أتباع علي عليه السلام في ذلك الوقت.

٢- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٥٥.

٣- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧ / ٩٠.

٤- نفس المصدر: ١٧ / ٩١.

على اثني عشر منهم وزجهم في السجون، وأخيراً تمكّن من إلقاء القبض على حجر بعد إشراك محمد بن الاشعث في المهمة [١]، ثم هيأ زياد ملف قضية حجر مع تثبيت شهادات الشهود عليه من أهل الكوفة، والجرم هو: الدفاع عن علي عليه السلام والترحم عليه والبراءة من عدوه وشتم الخليفة وعامله، وأنّ من معه هم على نفس رأيه، ثم سيّرهم إلى معاوية الذي طلب من عامله زياد أن يشده بالحديد ويرسله إليه [٢].

(ولما قدم حجر عذراء قال: ما هذه القرية؟ فقيل: عذراء. فقال: الحمد لله أما والله إني لأول مسلم ذكر الله فيها وسجد، وأول مسلم نبح عليه كلابها في سبيل الله، ثم أنا اليوم أحمل إليها مصفداً في الحديد، ثم قال حجر للذي أمر بقتلهم: دعني أصلي ركعتين خفيفتين، فلما سلم انفتل إلى الناس فقال: لولا أن يقولوا جزع من الموت لأحببت أن يكونا أنفس مما كانتا، و أيم الله لئن لم تكن صلاتي فيما مضى تنفعني ما هاتان بنافعتي شيئا، ثم أخذ ثوبه فتحزم به ثم قال لمن حوله من أصحابه: لا تحلوا قيودي فإني أجتمع ومعاوية على هذه المحجة، ثم مشى إليه هدبة الأعور بالسيف ... فقال له: فابرأ من علي وقد أعد لك معاوية جميع ما تريد إن فعلت فقال: ألم أقل إني لا أقول ما يسخط الرب والله لقد أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيومي هذا. ثم قال: إن كنت أمرت بقتل ولدي فقدمه، فقدمه فضربت عنقه فقيل له: تعجلت الثكل فقال: خفت أن يرى هول السيف على عنقي فيرجع عن ولاية علي عليه السلام فلا نجتمع في دار المقامة التي وعدها الله الصابرين .... ثم التفت إلى بقية أصحابه، فرأى منهم جزعا فقال: قال لي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا حجر تقتل في محبة علي صبراً، ...) [٣]. وقال: (اللهم إنّا نستعديك على أمّتنا، فإنّ أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا) [٤].

١- زياد بن أبيه كان يسعى إلى تفتيت وحدة القبائل بل القبيلة الواحدة؛ لزرع الفتنة فيما بين أبنائها وضمان إحكام قبضته على الكوفة، لذلك تعمّد أن يرسل محمد بن الأشعث وهو "كندي" لاعتقال حجر وهو "كندي" أيضاً، بل هدد ابن الاشعث بهدم دراه وقتله إن لم يفعل ذلك وأمهله ثلاثاً! انظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧ / ٩٥.

٢- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧ / ٩٧ – ٩٨؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٥٥ – ٥٦.

٣- مختصر أخبار شعراء الشيعة، المرزباني: ٤٩ – ٥١.

٤- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧ / ١٠١.

فقتلوه ومن معه وكانوا ستة؛ أحدهم ولده "همام" رضوان الله عليهم أجمعين، كان ذلك سنة ٥١ هـ.

مقتل حجر رضوان الله عليه وأصحابه آذى الحسين عليه السلام، ولما استنكر على معاوية أفعاله كانت جريمة مقتل حجر على رأس القائمة، حيث قال: "ألست القاتل حجراً أخا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم؟ ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك. أولست قاتل عمرو بن الحمق الخزاعي [١] صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، وصفرت لونه بعد ما آمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد ...." [٢].

مقتل حجر على يد معاوية لم يرتضه كثير من المسلمين في ذلك الوقت، لكن لم تكن لديهم الجرأة الكافية على الاعتراض والرفض أو الاستنكار على أقل تقدير [٣].

١- عمرو بن الحمق الخزاعي، أسلم بعد الحديبية وصحب الرسول صلى الله عليه وآله في حياته. سكن الكوفة ووالى علياً عليه السلام وشهد معه مشاهده كلها: الجمل وصفين والنهروان، وأعان حجراً في الكوفة في زمن إمارة زياد بن أبيه ثم هرب منها إلى الموصل وبقي متخفياً، فبحث عنه عامل معاوية فيها: عبد الرحمن الثقفي "ابن أم الحكم أخت معاوية" وعثر عليه فقتله واحتز رأسه وبعث به إلى خاله معاوية وكان أول رأس يحمل في الإسلام. انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر: ٣ / ١١٧٣ – ١١٧٤؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٥ / ٤٩٠ – ٥٠٤. وكان معاوية حبس آمنة بنت الشريد الثقفية زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي بسبب فرار زوجها في سجن له بدمشق سنتين، ثم لما قتل زوجها وجيء برأسه لمعاوية بعثه إليها فألقوه في حجرها. انظر: الأعلام، الزركلي: ١ / ٢٦.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٢١٢ – ٢١٣.

٣- ابن كثير: (عن مروان بن الحكم قال: دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة، فقالت: يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه وفعلت الذي فعلت، أما خشيت أن أخبئ لك رجلاً فيقتلك؟ قال: لا، إني في بيت أمان، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الايمان قيد الفتك لا يفتك، لا يفتك مؤمن يا أم المؤمنين، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك؟ قالت: صالح، قال: فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عزوجل) البداية والنهاية: ٦ / ٢٥٣.

ذكر ابن كثير: (أن معاوية جعل يغرغر بالموت وهو يقول: إنّ يومي بك يا حجر بن عدي لطويل، قالها ثلاثاً) [١].

ملاحظة: لم يكن حجر بن عدي وأصحابه وعمرو بن الحمق الوحيدين الذين قتلهم معاوية وزياد بن أبيه بسبب اتباعهم وحبهم لأمير المؤمنين عليه السلام، بل هناك الكثير مثل: جويرية العبدي [٢] الذي صلبه زياد في الكوفة لنفس السبب.

حواضر المسلمين قُبيل الثورة:

إذا أحطنا خبراً بما تقدم، وأردنا التعرّف على الوضع العام الذي كانت تشهده حواضر المسلمين المهمة قبيل ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وطرحنا السؤال المهم: إلى أي حدٍّ سيكون المجتمع المسلم في حواضره ومدنه الكبيرة في الحجاز والعراق مستعداً لاستجابة النداء التي سيطلقه الحسين عليه السلام الثائر بوجه يزيد بن معاوية بعد هلاك أبيه مباشرة؟

أعتقد أننا قبل أن نجيب السؤال ينبغي أن يكون لدينا تصور واضح - ولو إجمالاً - عن وضع المسلمين في مجتمعات تلك المدن والحال الذي بلغوه بعد حكم تسلّط على رؤوسهم دام عشرين عاماً من قبل رجل واحد (معاوية)، فأكيد أنّ السياسات التي مورست في أيامه قد أثّرت عليهم بشكل كبير وتركت بصمتها في وجودهم وسلوكهم، وهو ما سنعرفه الآن مع الالتفات إلى أنّ البحث الاجتماعي - كحالتنا - تلحظ فيه جهة العموم

١- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٥٨.

٢- جويرية بن مسهر العبدي، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والمقرّبين إليه وأحد ثقاته العشر الذي نص عليه السلام بوثاقته، وكان يحبّه كما ذكر ذلك حبّة العرني، وقد أخبر بمقتله، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٢ / ٢٤٨. روى المفيد قول أمير المؤمنين عليه السلام لجويرية: (أقبل يا جويرية حتى أحدثك بحديثك فأقبل، قال: و أنت والذي نفسي بيده، لتعتلن إلى العتل الزنيم، وليقطعن يدك ورجلك، ثم لتصلبن تحت جذع كافر، فمضى على ذلك الدهر، حتى ولي زياد في أيام معاوية، فقطع يده ورجله، ثم صلبه إلى جذع ابن مكعبر، وكان جذعاً طويلاً فكان تحته) الإرشاد: ١ / ٣٢٣.

والأغلبية، أي الوضع الإجمالي للمجتمع، وبالتالي فإنّ النتيجة فيه ليست بالضرورة تنطبق على كل فرد فرد.

أولاً؛ الشام:

إننا أسقطنا الشام عن الحسابات من الأساس؛ باعتبار أنها - في ذلك الوقت - أموية الهوى بامتياز، فمعاوية الذي سيفارقهم سنة ٦٠ هـ كان قد تسلط عليهم سنة ٢١ هـ بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان الذي تولّى أمرهم سنة ١٧ هـ بأمر من عمر بن الخطاب، وهذا يعني أنّ أيام آل أبي سفيان في الشام - إلى وقت رحيل معاوية - تناهز ثلاثة وأربعين عاماً، مارس خلالها معاوية كل أساليب الجهل والتضليل مع أهلها [١] و إبعادهم عن دين الله الحق الذي بعث به محمد صلى الله عليه وآله وسار عليه آله عليهم السلام، فكان من السهل على معاوية حملهم لقتال علي عليه السلام في صفين و إيذائه بغزو المدن الخاضعة لحكومته وقتل أتباعه ونهب أموالهم، ومن السهل حملهم على الإساءة له والنيل منه، لذلك أيضاً: من السهل على ولده يزيد حملهم على حرب بقية علي أعني: ولده الحسين عليه السلام لما يعلن كلمة الرفض بوجه الطاغية يزيد، وهذا بالضبط ما أوصى به معاوية - في مرض موته - ولده يزيد، حيث قال له: (... و انظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم) [٢].

١- روى ابن قتيبة نصّاً يكشف سياسة معاوية مع أهل الشام وكيفية تثقيفه لهم، ذكره معاوية أيام اختلاف الناس على عثمان بالمدينة، قال: (قدم معاوية بن أبي سفيان على أثر ذلك من الشام، فأتى مجلساً فيه علي ابن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعمار بن ياسر، فقال لهم: يا معشر الصحابة، أوصيكم بشيخي هذا خيراً، فوالله لئن قتل بين أظهركم لأملأنها عليكم خيلاً ورجالاً، ثم أقبل على عمار بن ياسر فقال: يا عمار، إن بالشام مئة ألف فارس، كل يأخذ العطاء، مع مثلهم من أبنائهم وعبدانهم، لا يعرفون علياً ولا قرابته، ولا عماراً ولا سابقته، ولا الزبير ولا صحابته، ولا طلحة ولا هجرته ، ولا يهابون ابن عوف ولا ماله، ولا يتقون سعداً ولا دعوته، فإياك يا عمار أن تقعد غدا في فتنة تنجلي، فيقال: هذا قاتل عثمان، وهذا قاتل علي) الامامة والسياسة: ١ / ٣٢.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٣٨ – ٢٣٩.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

إلى الكوفة مباشرة و اتخذها عاصمة لدولته في أيام فتنة الجمل، وأحد أسباب ذلك يعود إلى وجود عدد مقبول من أنصاره الذين يمكنه الاستعانة بهم على أداء مهامه.

و أيضاً: لا ننسى الأثر الذي تركه معاوية وعمّاله على أهل المدينة خلال العشرين عاماً (٤١ – ٦٠ هـ) التي ملك فيها، وحتى قبلها؛ باعتبار أنّ سني عثمان في الحكم الثلاث عشرة (٢٣ – ٣٥ هـ) - كان للأمويين أيضاً كلمتهم، وبالتالي فيمكننا أن نقول: إنّ أهل المدينة كانوا طيلة ثلاث وثلاثين سنة يتثقفون نهجاً أموياً بامتياز، وإذا افترضنا - وهو فرض غير واقعي طبعاً - أنّ مستوى دين الناس لم يتأثر بذلك ولم يبلغ مراحل خطيرة، فإنّ مستويات أخرى بلغت ذلك دون أدنى شك، مثل: مستوى الخوف من الحاكم المنحرف الظالم وعدم التفكير بمواجهته - قولاً أو فعلاً - وإن بلغ أقصى غايات الانحراف والشذوذ عن الدين، أو مستوى الابتعاد عن الآخرة والانشداد للدنيا وطلب سلامة العيش فيها ولو على حساب ترك الحق وأهله؛ خصوصاً مع مشاهدة حالة الترف والبذخ التي كان عليها الولاة وخاصتهم و أقربائهم وحواشيهم ومن يسير في ركبهم، إضافة إلى حالة إلهاء الناس بالفتوحات المزعومة شرقاً وغرباً؛ التي كانت تهدف إلى كسب الأموال والغنائم قبل أي شيء آخر! ثم ماذا ننتظر من أمة يقودها مروان بن الحكم لفترتين خلال عشرين عاماً فقط (مدة ملك معاوية)، بلغت سني إمارته فيها: اثنا عشر عاماً، وما تبقى كان نصيب سعيد بن العاص والوليد بن عتبة بن أبي سفيان الذي ترك الحسين عليه السلام المدينة في أيامه متوجهاً إلى العراق!

أقول: نتيجة طبيعية لمن يكون أكبر همّه طلب السلامة في الدنيا هي مداهنة الظالم والفاسق وربما تأييده أو السكوت عن فعله في أحسن الأحوال ولو بلغ ظلمه وفساده عنان السماء، ولهذا لم نجد من أهل المدينة ردة فعل واضحة تجاه عمّال معاوية خلال العشرين عاماً مع شدة وضوح انحرافهم عن دين الرسول ونهجه وخلقه، بل وحتى قبل ذلك، فمثلاً: عندما أرسل معاوية بسر بن أرطاة سنة ٣٩ هـ لغزو الحجاز واليمن وإرهاب المسلمين فيها، ووصل المدينة أعانه أبو هريرة على ظلم أهلها ونصّبه والياً عليهم من طرف معاوية، بعد ابتعاد أبي أيوب الأنصاري (والي علي عليه السلام عليها) عنها خوفاً، ولما بعث علي عليه السلام جارية بن قدامة لملاحقة بسر وجيشه في مكة فرّوا منه ثم قصد جارية المدينة فهرب منها أبو هريرة بسبب فعلته وتعاونه مع بسر، وفي هذه الأثناء بلغ جارية خبر

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

خصوصاً في مثل حالتنا؛ باعتبار أننا ننظر إلى الدنيا بوصفها دار امتحان و ابتلاء لا يثبت فيها على الحق ونصرته إلا من أخلص لله ولديه من البأس والشجاعة ما يؤهله لذلك.

لكن لماذا هذا التريث والتردد في توقع حركة أهل العراق وعدم القطع باستجابتهم لنداء الحسين عليه السلام بعد أن كان معروفاً عنهم الولاء والتوق إلى الخلاص؟

السبب في ذلك يعود إلى عدة أمور:

أولاً: إنّ أهل العراق - خصوصاً في الكوفة - بلغوا في أواخر أيام أمير المؤمنين عليه السلام حالاً يرثى له من الاختلاف والفشل والتكاسل في طاعة الإمام ونصرته، ونقلت فيما سبق بعض كلماته التي يظهر فيها ألمه ووجعه من سلوكهم معه، وتكرر ذلك منهم مع ولده الحسن عليه السلام الذي اضطره خذلان أتباعه إلى الصلح مع معاوية كما عرفنا، وبالتالي فالتاريخ القريب للحسين عليه السلام يشهد بسوء الموقف والخذلان الذي كان يتصف به الأتباع، وربما يتكرر معه نفس ما حدث مع أبيه وأخيه عليهما السلام.

ثانياً: حجم الظلم والفتك الذي مارسه الأمويون (معاوية وعمّاله) مع أهل العراق كان كبيراً جداً، فحكم معاوية الذي دام عشرين عاماً كان حصة الكوفة منه: ثلاثة عشر عاماً يحكمهم فيها أشرس رجلين و أكثرهم بغضاً لعلي عليه السلام، هما: المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه (بين عامي: ٤١ – ٥٣ هـ)، ثم تلاهما الضحاك بن قيس الذي حكم أربع سنين (بين عامي: ٥٥ – ٥٨ هـ) وهو لا يقل فتكاً وجرماً وخبثاً عن سابقيه. أما البصرة فلم يكن حال أهلها بأفضل من الكوفة؛ إذ حكمها عبد الله بن عامر وزياد بن أبيه ثلاثة عشر عاماً (بين عامي: ٤١ – ٥٣ هـ)، ثم عبيد الله بن زياد ست سنين (بين عامي: ٥٥ – ٦٠ هـ)، وكانت الإجراءات المتبعة مع أتباع علي عليه السلام في المدينتين، وفي زمن زياد بالذات، هي: القتل، السجن، النفي، قطع الأيدي والأرجل، سمل العيون، الصلب على جذوع النخل، ... إلخ. و أيضاً: قطع العطاء (المخصصات المالية = الرواتب الشهرية)، وهدم الدور، وزرع الجواسيس وبث الخوف والهلع وإرهاب الناس إلى درجة أنّ الجار صار يخاف من جاره ولا يثق به، إلى غير ذلك من إجراءات تعسفية جائرة يتخذها الطغاة والظلمة عادة - إلى يوم الناس هذا - لإسكات أي توجه شعبي لا يروق للحاكم الظالم. ولا يشك أحد في أنّ شدة

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

والموج العام، بل وربما ينتهي به الحال إلى أن يكون مصداقاً لمقولة: "قلوبهم معك وسيوفهم عليك" [١]!

وكمثال لتقريب الصورة: عرفنا أنّ أحد إجراءات السلطة الأموية قطع المخصصات المالية عن أتباع علي عليه السلام، وواضح أنّ عودتها مرهون بتخلّيهم عن ولائهم واشتراكهم في أداء المهام والواجبات سواء العامة منها التي تطلبها السلطة من عموم الناس وهم جزء منهم، أو الخاصة كوظائف تخصصها السلطة للمنضمين إلى أجهزتها الأمنية كالشرطة مثلاً، أو وظائف اقتصادية تهتم بشؤون الخراج والمؤن ونحو ذلك، أو يختار المحب لعلي عليه السلام طريقة الكسب الشخصي أي الاعتماد على مهنة أو حرفة معينة كالزراعة أو التجارة مثلاً، ولكن حتى طريقة العيش هذه لا يسمح بها الأمويون ما لم ينضم لها التخلي عن الولاء أو اتخاذ جانب الحياد من نهج علي عليه السلام إن صادف وسمحت بذلك لأحد علناً، وبالتالي ليس بعيداً أن يكون لسان حال الأغلب: "لنشترك معهم أو لنستعمل التقية معهم لضمان سلامتنا ورزق عوائلنا الآن إلى أن يفرجها الله لاحقاً"! والسؤال: كم ستكون نسبة المستعدين لترك وظائفهم والمجازفة بأرزاقهم - فضلاً عن المخاطرة بحياتهم وعوائلهم - إذا بلغهم نداء الحق الذي سيطلقه الحسين بعد حين؟

ثالثاً: كلا المدينتين (الكوفة والبصرة) يضمّان مجتمعاً خليطاً غير متجانس من الناحية الدينية والعرقية؛ إذ نجد فيها المسلم وغير المسلم، ونجد فيها العربي والفارسي والنبطي إلى جنب الموالي، وصحيح أنّ أغلب سكان المدينتين عرب مسلمون لكنهم لم يكونوا على توجّه واحد ووئام كامل، وهذه بعض الملاحظات المهمة بهذا الخصوص:

بالنسبة للكوفة [٢]:

١- تاريخ الكوفة الحديث يكشف عن أنها "معسكر" اختاره سعد بن أبي وقاص لاستقرار جيش المسلمين فيه نتيجة عدم ملائمة مناخ منطقة المدائن للقوات القادمة من

١- أقول ذلك: لأننا عشنا أيام ظلم بعض الطغاة كصدام المجرم ورأينا أساليبه التي تشبه أساليب عمّال بني أمية، وما ذكرته من حال الموالين لعلي عليه السلام آنذاك شاهدناه بأعيننا في حال الناس الموالين في زمن صدام، والناس هي الناس في كل زمان، نسأل الله الثبات على الحق.

٢- سأركز الحديث عليها؛ باعتبارها مسرحاً لأحداث ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

المجتمع الكوفي حتى إنّ الكوفة كانت مقسّمة إلى مناطق؛ لكل قبيلة منطقتها الخاصة بها التي لا يشاركها فيها أحد إلا من تحالف معها [١].

وقد رأينا سابقاً، أنّ زياد بن أبيه استغل هذه الروح القبلية في إلقاء القبض على حجر بن عدي إذ ضرب بعض القبائل ببعض، كما أنّ ابنه "عبيد الله" عزف على نفس الوتر أيضاً في القضاء على ثورة مسلم بن عقيل في الكوفة كما سنرى.

٣- لما كانت الكوفة معسكراً بالأصل، فقد اهتم الولاة على تنظيم الجيش فيها على أساس قبلي بطبيعة الحال، واستخدم فيها أولاً نظام الأسباع، أي تقسيم القبائل على سبعة أقسام أو فيالق، فكان السبع الأول: كنانة وحلفاؤها (المعروف بنصرته للولاة القرشيين والأمويين)، والثاني: كندة وخثعم والأزد وآخرين، والثالث: مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم (المعروف بنصرته لأمير المؤمنين عليه السلام)، والرابع: تميم وحلفاؤها، وهكذا. وبعد معركة الجمل عبّأ أمير المؤمنين النظام السباعي بترتيب آخر. وفي سنة ٥٠ هـ عمد زياد بن أبيه إلى جعله نظاماً رباعياً، فكان الربع الأول: أهل العالية (المدينة) وجعل عليه عمرو بن حريث، والثاني: تميم وهمدان وجعل عليهم خالد بن عرفطة، والثالث: ربيعة بكر وكندة وعليهم قيس بن الوليد، والرابع: مذحج وأسد وعليهم أبو بردة بن أبي موسى؛ ليسهل عليه السيطرة على الكوفة من خلال تعيين القيادات المطيعة للأمويين، وبقي هذا النظام هو السائد حتى زوال شأن الكوفة في أوائل القرن الرابع الهجري [٢]. وكان لهذا الترتيب الأموي دور في القضاء على ثورة مسلم بن عقيل في الكوفة وتعبئة الجيش من أهلها للخروج إلى حرب الحسين فقد كان عمرو بن حريث وخالد بن عرفطة من قادة ذلك الجيش.

٤- في الكوفة: يتواجد الخوارج والمحكّمة الذين كانوا يتبعون علياً عليه السلام أول أمرهم وخرجوا معه في صفين لكنهم كفّروه بعد مسألة التحكيم ثم خرجوا عليه في

١- يقول ابن أبي الحديد: "إنّ أهل الكوفة في آخر عهد علي كانوا قبائل فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى، فينادي باسم قبيلته يا للنخع أو يا لكندة، فيتألب عليه فتيان القبيلة التي مر بها فينادون يا لتميم أو يا لربيعة، ويقبلون إلى ذلك الصائح فيضربونه فيمضي إلى قبيلته فيستصرخها فتسل السيوف وتثور الفتنة" شرح نهج البلاغة: ٣ / ٢٣٩.

٢- انظر: خطط الكوفة، ترجمة وتعليق: تقي بن محمد المصعبي: ١٩ – ٢١، ٢٨.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

و أنا هنا لما أتحدث عن الأشعث كمثال مؤثر في مجتمع الكوفة، أتحدث عن زعيم من زعماء قبيلة كندة معروف ومطاع عند كثير من أبنائها وغيرهم ربما إلى حد أنّ علياً عليه السلام لما عزله يوم صفين عن قيادة كندة وربيعة في جيشه وعيّن حسان بن مخدوج بدلاً منه اعترض عليه الكثير منهم وأحدثوا خلافاً واسعاً بلغ صداه معاوية وسعى حينها إلى جذب الأشعث إليه، فأسرع الإمام عليه السلام بحكمته إلى وئد الفتنة و أبقاه قائداً على ميمنة جيشه. ثم إنّ الاشعث وإن كان مات سنة ٤٠ هـ بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، لكن أولاده ونهجه الخبيث لم ينته في الكوفة بطبيعة الحال.

"عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام و ابنته جعدة سمت الحسن عليه السلام ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام" [١].

وإضافة إلى المنافقين، تعتبر الكوفة حاضنة لكثير من رجالات النهج الأموي وهم كثر، منهم: عمرو بن الحجاج الزبيدي، يزيد بن الحرث، شبث بن ربعي، عمرو بن حريث، عمر بن سعد وغيرهم، وهؤلاء يعتبرون من وجوه الكوفة المؤثرين جداً في مجتمعهم ولعبوا دوراً كبيراً في إفشال ثورة مسلم بن عقيل وقيادة الناس لحرب الإمام الحسين عليه السلام.

٦- في الكوفة أيضاً: نلحظ انقساماً واضحاً في الموقف الديني والعقائدي حتى داخل القبيلة الواحدة بل البيت الواحد؛ فضلاً عن ملاحظة حال عموم القبائل، فمحمد بن الأشعث - الذي كنّا نتحدث عنه قبل قليل - كندي كوفي، أموي الهوى وكان أحد عمّال زياد و ابنه عبيد الله، بينما حجر بن عدي يسري فيه حب علي عليه السلام حتى النخاع وهو كندي كوفي أيضاً، والمفارقة أنّ ابن عمه "محمد" هو من شارك باعتقاله بأمر من زياد. و أيضاً: حبيب بن مظاهر أسدي كوفي فدى نفسه للحسين عليه السلام، بينما حرملة بن كاهل الذي أصاب جسد الحسين عليه السلام بسهم وقتل طفله بين يديه أسدي كوفي أيضاً، وهكذا.

١- الكافي، الكليني: ٨ / ١٦٧.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

السبي إلى الكوفة ورؤية الناس من حولهم يبكون، قال: "إنّ هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا، فمن قتلنا"؟! [١].

ثانياً: الغدر والخذلان، فمثلاً: بعد أن أحصى ديوان مسلم بن عقيل عدد المبايعين له ثمانية عشر ألفاً منهم، وبعد أن ثار بوجه عبيد الله بن زياد وحاصره في قصره بأربعة آلاف منهم - كما سيتضح - نجده في غضون ساعات قليلة وحيداً فريداً لا يجد من يأويه أو يرشده الطريق؟! وسنرى أنّ كتبهم التي بعثوا بها إلى الحسين يطلبون منه القدوم تبخرت وتلاشى مفعولها خلال وقت قصير جداً؟! ولأنّ هذا الأمر كان معروفاً عنهم وشائعاً في سيرتهم نصح داود بن علي زيداً الشهيد فقال: "يا بن ابن عم إنّ هؤلاء يغرونك من نفسك، أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جدك علي بن أبي طالب حتى قتل، والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه و انتهبوا فسطاطه وجرحوه، أوليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له بأوكد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه" [٢].

ثالثاً: التهالك على الدنيا والمال، وقد عزف الأمويون وعمّالهم على هذا الوتر كثيراً، وكان له دور كبير في تخذيل الناس عن أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، وسنرى أنّ الأموال التي أغدقها ابن زياد على أشراف الكوفة وزعماء القبائل والوجوه فيها أسهمت بشكل كبير في القضاء على ثورة مسلم بن عقيل بل وحمل الناس على الخروج لحرب الحسين؛ إمامهم الذي كاتبه الآلاف منهم بعد أن منّاهم ابن زياد برفع مرتباتهم [٣]! وربما أحد أسباب هذا الاندفاع على المال هو حالة البؤس والفقر التي يعاني منها أكثر أهل الكوفة في قبال طبقة تتمتع بوضع اقتصادي جيد ومترف وهم أنفار قلائل مثل: الاشعث

١- الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٢٩.

٢- تاريخ الطبري: ٥ / ٤٨٨.

٣- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٨٥، إذ خطب ابن زياد في أهل الكوفة فذكر معاوية ثم قال: "وهذا ابنه يزيد من بعده، ... وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا".

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

أهلها يرون رأينا في عثمان ويعظمون قتله وقد قتلوا في الطلب بدمه وهم موتورون حنقون لما أصابهم، ودّوا لو يجدون من يدعوهم ويجمعهم وينهض بهم في الطلب بدم عثمان) [1].

تركت معركة الجمل أثرها على كثيرين في البصرة، كما تركت سياسات أمراء بني أمية بصمتها على سلوكهم تماماً كما ذكرناه في الكوفة، لا سيما وأنّ والي البصرة لسنين طويلة هو زياد بن أبيه ثم ابنه عبيد الله، وبالتالي فالإجراءات الظالمة التي اتخذها زياد مع أتباع علي عليه السلام في الكوفة هي نفسها التي فعلها مع أتباع علي في البصرة، ولا شك أنّ زياداً كان على دراية تامة بها وبقبائلها وبيوتاتها ورجالات الشيعة المؤثرين فيها؛ باعتبار أنه كان منهم أول أمره - كما عرفنا - ثم انكفأ على عقبيه خبيثاً مجرماً فتّاكاً لا يقاس به حتى الحجاج بن يوسف الثقفي، وسار ولده عبيد الله بنفس سيرته. ولهذا أسرع يزيد إلى تعيينه والياً على الكوفة إضافة للبصرة لما بلغه وصول مسلم بن عقيل إلى الكوفة وبدء نشاطه فيها، والملفت أنّ ابن زياد لما سار إلى الكوفة اصطحب معه واحداً من أكبر رجالات الشيعة في البصرة وهو شريك بن الأعور الهمداني، وفعله هذا لا يعدو:

- إما أنّ يكون شريك تنازل عن ولائه، وهذا بعيد لأننا سنعرف أنه أثناء مرضه بالكوفة ورقوده في بيت هانئ بن عروة وعلمه بمجيء ابن زياد لعيادته، أشار على مسلم بقتل ابن زياد والخلاص منه، وأضاف لمسلم: أنه سيتكفل له أمر البصرة إذا شفي من مرضه، وهذا يعني أنّ الرجل لا زال على ولائه.
- أو أنّ ابن زياد جاء به إلى الكوفة، لأنه كانت تربطه به علاقة وثيقة، ويمكنه أن يستفيد منه في التأثير على رجالات الشيعة في الكوفة وإسكات فورة أهلها.
- أو أنّ اصطحاب ابن زياد له من أجل أن يأمن جانبه من التحرك بالبصرة عند غيابه وابتعاده عنها.

ونحن طالما استبعدنا الاحتمال الأول، فكل من الاحتمالين الأخيرين لا يبشّر بخير بخصوص ما نرجوه من نصرة الأتباع والمحبين للحسين عليه السلام، ويؤكد ثالث الاحتمالات أنّ شريك الهمداني أتى بدون رغبة منه وكان مجبوراً على الاستجابة لطلب الوالي الظالم، وإذا كان هذا هو حال شريك فما بالك بحال بقية المحبين لعلي عليه السلام

١- الغارات، الثقفي: ٢/ ٣٧٥، والموتور: هو الذي قتل له قتيل ولم يدرك بدمه.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

آل محمد عليهم السلام: "أنتم.. الباب المبتلى به الناس" [١]، وهذا المعنى ذكر في روايات المسلمين (السنة) أيضاً [٢]. وهم - أي: القادة الربّانيون - من جهتهم مبتلون بالناس أيضاً؛ باعتبار أنّ واحدة من وظائفهم وهمومهم هي: هداية الناس والرحمة بهم، وهذا يتطلب - بطبيعة الحال - تعليمهم والصبر على أذاهم ومداراتهم؛ لئلا ينفروا عنهم ويبتعدوا عن طريقهم فيهلكوا.

ثم إنّ الناس في طريقة تعاملهم مع هذا القائد الربّاني ليسوا متساويين نتيجة تفاوت درجات إيمانهم ومستوى أخلاقهم وخلفيّاتهم وطبائعهم، فمثلاً: لا يشك أحد من المسلمين بنبوة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وعصمته، لكننا مع هذا نجد الكثير من الشواهد التي يتصرف فيها كثير من المسلمين مع الرسول بطريقة مؤذية، وقد تضمّنت كتب المسلمين العديد من تلك الممارسات، بل ونجد مثل ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" الجمعة: ١١.

(حدثنا جابر بن عبد الله قال بينما نحن نصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) [٣].

ليس كل من ترك الرسول و انصرف عنه منافق، ولا أنّ المسلمين فقط هم الاثنا عشر الذين بقوا معه، لكنه و اقع حال المسلمين ومستوى إدراكهم لأكرم خلق الله وعصمته وقيمة الصلاة خلفه، والرسول مع هذا يصبر عليهم ويعلمهم ويداريهم رحمة بهم.

نفس الشيء لاحظناه بوضوح فيما حصل مع أمير المؤمنين عليه السلام من قبل أهل الكوفة، ولو راجعنا فقط ما حصل معه في صفين من اعتراضات أتباعه لكفى، وإذا يلحظ

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق: ٢ / ٥٢٦.

٢- "عن عمارة بن يحيى بن خالد بن عرفطة قال كنا عند خالد ابن عرفطة يوم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال لنا خالد هذا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي. رواه الطبراني والبزار ورجال الطبراني رجال الصحيح غير عمارة وعمارة وثقه ابن حبان" مجمع الزوائد، الهيثمي: ٩ / ١٩٤.

٣- صحيح البخاري: ١ / ٢٢٥.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

بالرغم من هذا يقابلهم بسلوك جده و أبيه صلوات الله عليهما، مع أنّ قراءة موضوعية للأحداث - وقد تقدمت الإشارة لها بإيجاز - تجعلنا ندرك أنّ خذلان أتباعه له كان هو السبب الذي دعاه للصلح ولا شيء آخر، وإذا كان هناك من يستحق اللوم فهم الأتباع وليس الإمام. ثم إنهم لو صبروا وترووا قليلاً لعلموا أنّ الإمام لا يتصرف من نفسه وكل ما يصدر منه بعهد معهود [١].

بيعتك معاوية ومعك مئة ألف مقاتل من أهل العراق، وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم، سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في العهد، ولا حظاً من القضية، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت، وأعطاك ما أعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق، كنت كتبت عليك بذلك كتاباً، وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب إن هذا الأمر لك من بعده، كان الأمر علينا أيسر، ولكنه أعطاك هذا فرضيت به من قوله، ثم قال: وزعم على رؤوس الناس ما قد سمعت، إني كنت شرطت لقوم شروطاً، ووعدتهم عدات، ومنيتهم أماني، إرادة إطفاء نار الحرب، ومداراة لهذه الفتنة، إذ جمع الله لنا كلمتنا وألفتنا، فإن كل ما هنالك تحت قدمي هاتين، ووالله ما عنى بذلك إلا نقض ما بينك وبينه، فأعد للحرب خدعة، واذن لي أشخص إلى الكوفة، فأخرج عامله منها، وأظهر فيها خلعه، و انبذ إليه على سواء إن الله لا يهدي كيد الخائنين. ثم سكت. فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته، وكلهم يقول: ابعث سليمان بن صرد، و ابعثنا معه، ثم ألحقنا إذا علمت أنّا قد أشخصنا عامله، وأظهرنا خلعه. فتكلم الحسن، فحمد الله، ثم قال: أما بعد، فإنكم شيعتنا وأهل مودتنا، ومن نعرفه بالنصيحة والصحبة والاستقامة لنا، وقد فهمت ما ذكرتم ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا وللدنيا أعمل و أنصب، ما كان معاوية بأبأس مني بأساً، وأشد شكيمة، ولكان رأيي غير ما رأيتم، ولكني أشهد الله و إياكم أني لم أرد بما رأيتم إلا حقن دمائكم، وإصلاح ذات بينكم، فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله، وسلموا لأمر الله، والزموا بيوتكم، وكفوا أيديكم، حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر، مع أنّ أبي كان يحدثني أن معاوية سيلي الأمر، فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر، ما شككت أنه سيظهر، إنّ الله لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، وأما قولك: يا مذل المؤمنين، فوالله لأن تذلوا وتعافوا أحب إلي من أن تعزوا وتقتلوا، فإن رد الله علينا حقنا في عافية قبلنا، وسألنا الله العون على أمره، وإن صرفه عنا رضينا، وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنا، فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام معاوية حيّاً، فإن يهلك ونحن و أنتم أحياء، سألنا الله العزيمة على رشدنا، والمعونة على أمرنا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

قال: ثم خرج سليمان بن صرد من عنده، فدخل على الحسين، فعرض عليه ما عرض على الحسن، وأخبره بما رد عليه الحسن، فقال الحسين: ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام معاوية حياً، فإنها بيعة كنت والله لها كارهاً، فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم، ورأينا ورأيتم) الامامة والسياسة: ١ / ١٤١ – ١٤٢.

١- روى العياشي: (عن أبي جعفر عليه السلام، قال: والله الذي صنعه الحسن بن علي عليهما السلام كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس، والله لفيه نزلت هذه الآية "ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة" إنما هي طاعة الامام فطلبوا القتال، "فلما كتب عليهم" مع الحسين عليه السلام "قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب"، وقوله: "ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل" أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام) تفسير العياشي: ١ / ٢٥٨.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

"عن الفضيل بن يسار قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام أنا ومحمد بن مسلم فقلنا ما لنا وللناس بكم والله نأتم وعنكم نأخذ ولكم والله نسلم ومن وليتم والله تولينا ومن برئتم منه برئنا منه ومن كففتم عنه كففنا عنه فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده إلى السماء فقال والله هذا هو الحق المبين" [١].

واضح أنّ الرواية تتضمن تصريح شخيصتين كبيرتين من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وثقاته المعتمدين لديه بعقيدتهما أمام الامام، ولكن قد يبدو هذا غريباً؛ إذ لا معنى أن يدخلا عليه ويصرّحا أمامه بعقيدتهما بهذه الهمّة والعزيمة التي تبدو في الرواية بحيث إنهما دخلا عليه معاً ونطقا بصوت واحد أمامه، وهل الإمام يخفى عليه ذلك؟ هل كان يشك في عقيدتهما وحالهما وهو العارف بأنهما من خيار أصحابه وخلاصة جهده وتربيته على مدى سنوات عديدة خبرهما فيها جيداً؟ كيف، وهو الذي كان يصف الفضيل بأنه رجل منا أهل البيت [٢]، ويعتبر محمد بن مسلم أحد الأوتاد وأعلام الدين [٣]!

نعم، يكون للرواية معنى معقول وتصلح للاستشهاد في موضوعنا [٤] إذا لاحظنا المحيط والظرف الذي قيلت فيه، فالزمان كان في أيام تداعي وسقوط الدولة الأموية وبداية تشكّل الدولة العباسية، والامام الصادق عليه السلام في ذلك الوقت وجد متسعاً لم يجده سائر أئمة أهل البيت الذين عاشوا في أيام استقرار حكم الطغاة المتسلطين، لذلك توسع مجلسه وكثر عدد الحاضرين فيه وصار شيعته وأتباعه يرتادون مجلسه باستمرار، وبالتأكيد فإنهم كانوا يتداولون أخبار الساحة والوضع السياسي في البلاد وما آلت إليه الأوضاع؛ لا سيما وأنّ العباسيين ابتدأوا مشروعهم برفع شعار الرضا من آل محمد وكان كبار رجالاتهم يرسلون الرسائل إلى الإمام الصادق عليه السلام طلباً لمباركته والاشتراك معهم، والإمام يعرف أنهم كاذبون ولا يختلف حالهم عن الأمويين في نهاية

١- مختصر بصائر الدرجات، ابن سليمان الحلي: ٧٦.

٢- قال الإمام الصادق عليه السلام: "رحم الله الفضيل ابن يسار هو منا أهل البيت" من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٤ / ٤٤١.

٣- قال الإمام الصادق عليه السلام: "أوتاد الأرض وأعلام الدين أربعة: محمد بن مسلم، وبريد بن معاوية، وليث بن البختري المرادي، وزرارة بن أعين" اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٥٠٧.

٤- وهذا الأمر عرفته من السيد أحمد الحسن في حوار خاص كان معه.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

علماً، إنّ القادة الربّانيين - ومنهم الحسين عليه السلام - لا يرفضون أي مستوى إيماني يتحلّى به الناس؛ لأنه - كما قدمت - جزء من امتحانهم في هذه الدنيا ولأنهم باب رحمة الله، فهم يربّون أتباعهم ويأخذون بأيدهم لنيل أعلى الدرجات وإذا اختاروا - أي الأتباع - عدم بلوغها يحاولون صلوات الله عليهم قدر الإمكان تقليل خسارة المؤمنين إلى أقصى حد ممكن ويترحّمون ويترضّون ويثنون بالفضل على من يتدارك التقصير ولو بعد حين بالرغم من أنّ المقصّر قد فاته الخير العظيم لو كان قد أتى به في وقته، وهذا من شدة رحمتهم وهم مظاهر رحمة الله.

الخلاصة:

إنّنا إذا ما أردنا أن نجيب على السؤال الذي ابتدأنا به البحث، فبوسعنا أن نقول: إنّ استجابة نداء الحسين غير ممكنة في الشام، وشبه معدومة في الحجاز، إما في العراق فهي وإن كانت ممكنة بل ومرجحة (نظرياً)؛ نتيجة وجود الأتباع الكثيرين، لكن الخشية من أن يكون الخوف قد استولى على غالبيتهم بسبب إجرام الأمويين، وكذلك الخشية من أن يكون التردد في الإقدام قد تمكّن من بعض أعيانهم وكبارهم، وهذا ما حصل بالفعل.

واغتيل فيه أخوك وقتل فيه ابن عمك وبويع يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد في البلد يعطي ويفرض، والناس اليوم إنما هم عبيد الدينار والدرهم، ولا آمن عليك أن تقتل، فاتق الله والزم هذا الحرم. فقال له الحسين: والله أن أقتل بالعراق أحب إلي من أن أقتل بمكة، وما قضى الله فهو كائن، و أنا مع ذلك أستخير الله و أنظر ما يكون.

ثم بعد ذلك أقبل عبد الله بن عباس إليه فدخل وقال: يا بن بنت رسول الله! إني قد رأيت رأيين إن قبلت من! فقال الحسين: وما ذاك؟ قال: تخرج إلى بلاد اليمن، فإن فيها حصونا وشعابا وهي أرض عريضة طويلة، وإن لك بها شيعة و أنت عن الناس في عزلة، فإذا استوطنت بها اكتب إلى الناس وأعلمهم مكانك. فقال الحسين: يا بن عمي! إني لأعلم أنك ناصح شفوق، ولكني أزمعت على المسير إلى العراق، ولا بد من ذلك. فأطرق ابن عباس رحمه الله ساعة ثم قال: يا بن بنت رسول الله! إن كنت قد أزمعت ولا بد لك من ذلك فلا تسر بنسائك وأولادك فإني خائف عليك أن تقتل كما قتل عفان وأهله وولده ينظرون إليه ولا يقدرون له على حيلة، والله يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك عن مكة وتخليتك إياه هذا البلد، وهو اليوم لا ينظر إليه فإذا خرجت نظر إليه الناس بعد ذلك. فقال الحسين رضي الله عنه: إني أستخير الله تعالى في هذا الأمر ماذا يكون. قال: فخرج ابن عباس من عنده وهو يقول: وا حبيباه) الفتوح: ٥ / ٥٦ – ٦٦.

(٢)

ما قبل عاشوراء الحسين(ع)

شهر رجب ٦٠ هـ – مطلع محرم سنة ٦١ هـ

الفترة الزمنية بين شهر رجب سنة ٦٠ هـ ومطلع محرم الحرام سنة ٦١ هـ لا تزيد عن الستة أشهر وهو وقت قصير جداً، إلا أنه كان مليئاً بالمتغيرات والأحداث الكبيرة التي طبعت أثرها في جبين خط الرسالات الإلهية والتاريخ الإنساني عموماً، ونحن لا نكتفي بعرض الأحداث في سرد تاريخي معتاد، و إنما نشير إلى الحدث وخلفيّاته وما يحيط به حتى تتضح الحقائق ويُبان شيء من موقف الإمام الحسين الثائر لدين الله وحاكميته سبحانه.

بيعة يزيد وموقف الحسين(ع) منها:

هلك معاوية في رجب سنة ٦٠ هـ، وبويع يزيد مكانه في الشام. وبالرغم من أنّ أحداً من المسلمين لا يشك بعدم لياقته لمنصب القيادة والحكم، لكن الملفت أنّنا إذا استثنينا صرخة الرفض المدوية التي أطلقها الحسين بن علي لا نرى موقفاً رافضاً أو عملية احتجاج واسع قام بها المسلمون كردة فعل تناسب خطورة الحدث، وكأنّ القوم مخدّرون قد استسلموا لأمر واقع.

التمهيد لبيعة يزيد:

مهما يكن الأمر، فإنّ بيعة يزيد بالملك لم يكن أمراً مفاجئاً للمسلمين؛ لأن معاوية كان قد مهّد لخلافة ابنه يزيد مباشرة بعد أن استتبت له الأمور عام ٤١ هـ، وبحسب بعض

المصادر[١] فإنّ المغيرة بن شعبة هو من هيّج الفكرة في بال معاوية، لكن الحقيقة إنّ معاوية لا يحتاج أن ينبهه أحد لفكرة استخلاف ابنه. نعم، ربما كانت محاولة المغيرة - التي أراد التزلّف بها إلى معاوية والظهور بمظهر الناصح لديمومة مشروعه - هي إشارة للبدء والمباشرة بالتمهيد. وفعلاً، باشر معاوية التهيئة وجس نبض جمهور المسلمين الذين كانوا يتو افدون إليه في قصره بالشام، وفي أحد المرات حضر وفد كبير يتزعمه الأحنف بن قيس (أحد زعماء البصرة) فنسق معاوية مع الضحاك بن قيس أن يتحدث بعده على المنبر بحضور الوفد ويشير إلى الموت الذي لا يسلم منه أحد بما فيهم الأنبياء والخلفاء ويرشح يزيد لولاية العهد من الآن ليكون الخليفة بعده. وطلب من آخرين في حاشيته وبلاطه أن يتحدثوا بعد الضحاك ويثنوا على رأيه، منهم: عبد الرحمن بن عثمان الثقفي "ابن أم الحكم أخت معاوية" وعبد الله بن مسعدة وغيرهم ففعلوا جميعاً ما طلب منهم، وبعد أن تمت المهمة التفت معاوية إلى الأحنف وطلب رأيه بالموضوع فأشار في البداية إلى أنّ الخليفة هو الأعرف بصلاح أمور رعيته وأضاف أنّ أهل العراق والمدينة لا يقبلون بهذا ما دام الحسن بن علي حيّاً وذكّره بأنه قد أعطاه العهود أن يكون له الأمر من بعده وحذّره من الغدر[٢]، فأجّل معاوية مشروعه فترة ريثما تنضج الظروف أكثر.

في سنة ٥٠ هـ عاود معاوية التمهيد لاستخلاف يزيد بعده، ولأهمية الأمر عنده عزم على قصد المدينة بنفسه؛ لأنه يعلم أنّ فيها شخصيات إسلامية لها ثقلها وهي لا تقبل بمشروعه، وبمجرد وصوله إلى المدينة عقد اجتماعاً بحضور العبادلة: (عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر) وعرض عليهم فكرة استخلاف يزيد بعده، فأشار عبد الله بن جعفر أنّ الأولى بها آل الرسول، واكتفى ابن عباس بالقول إنّ التسليم يكون لله ورسوله، وذكر ابن الزبير أنّ هذا الأمر الأولى به قريش وأنّ من بين الحضور من هم أولى - وهو منهم طبعاً - لقربهم من الرسول[٣] وأضاف الحسن والحسين في ذيل قائمة من لهم الأولوية. وأما ابن عمر فقال: (أما بعد: فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية، ولا قيصرية ولا كسروية يتوارثها الأبناء عن الآباء ولو كان كذلك كنت

١- انظر مثلاً: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١/ ١٤٢.

٢- انظر: المصدر السابق: ١/ ١٤٣ – ١٤٦.

٣- ابن الزبير يقصد: إنّ ابن عباس ابن عم الرسول، وعبد الله ابن جعفر والده ابن عم الرسول، ووالده هو - أي الزبير - ابن عمة الرسول؛ ومعلوم أنّ ابن الزبير كان يطمح أن يكون الأمر له.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

السياق، حرص على التخلص من الإمام الحسن بأقصى سرعة فأرسل سمّاً إلى زوجته جعدة بنت الأشعث فسمّته به ومضى شهيداً إلى ربه سنة ٥٠ هـ، كما تقدم.

من جهة أخرى: كان معاوية قد استشار بعض الأمويين في مشروعه ومنهم زياد بن أبيه قبل موته، وأشار عليه بالتريث خوفاً من ردود الأفعال؛ لما اشتهر به يزيد من العهر والفسق واللهو [١]، ووجود من هم أكثر فضلاً وشرفاً، بل داخل البيت الأموي نفسه هناك أكثر من شخص يرى نفسه أكفأ من يزيد، ومنهم سعيد بن عثمان بن عفان حيث طلب من معاوية أن يولّيه مكان يزيد، وكان فيما قال له: (إن أبي لم يزل معتنياً بك حتى بلغت ذروة المجد والشرف، وقد قدّمت ولدك عليّ و أنا خير منه أباً وأماً ونفساً. فقال له: أما ما ذكرت من إحسان أبيك إليّ فإنه أمر لا ينكر، وأما كون أبيك خير من أبيه فحق وأمك قرشية وأمه كلبية فهي خير منها، وأما كونك خيراً منه فوالله لو ملئت إلى الغوطة رجالاً مثلك لكان يزيد أحب إليّ منكم كلكم) [٢].

وكان يقول في أواخر أيامه: (لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي) [٣].

١- ابن كثير: (وكتب معاوية إلى زياد يستشيره في ذلك، فكره زياد ذلك لما يعلم من لعب يزيد و إقباله على اللعب والصيد، فبعث إليه من يثني رأيه عن ذلك، وهو عبيد بن كعب بن النميري وكان صاحباً أكيداً لزياد، فسار إلى دمشق فاجتمع بيزيد أولاً، فكلمه عن زياد وأشار عليه بأن لا يطلب ذلك، فإن تركه خير له من السعي فيه، فانزجر يزيد عما يريد من ذلك واجتمع بأبيه و اتفقا على ترك ذلك في هذا الوقت، فلما مات زياد وكانت هذه السنة - أي: سنة ٥٦ هـ - شرع معاوية في نظم ذلك والدعاء إليه، وعقد البيعة لولده يزيد، وكتب إلى الآفاق بذلك فبايع له الناس في سائر الأقاليم) البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٨٦.

اليعقوبي: (وكتب معاوية إلى زياد، وهو بالبصرة، أن المغيرة قد دعا أهل الكوفة إلى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدي، وليس المغيرة بأحق بابن أخيك منك، فإذا وصل إليك كتابي فادع الناس قبلك إلى مثل ما دعاهم إليه المغيرة، وخذ عليهم البيعة ليزيد. فلما بلغ زيادا وقرأ الكتاب دعا برجل من أصحابه يثق بفضله وفهمه، فقال: إني أريد أن آتمنك على ما لم آتمن عليه بطون الصحائف، ايت معاوية فقل له: يا أمير المؤمنين إن كتابك ورد عليّ بكذا، فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبغ، ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف ...) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٢٠.

٢- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٧٨.

٣- أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٢٨؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٢٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

ولا تردن هذه الأمة في فتنة، و انظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون).

فأجابه الحسين عليه السلام: (أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور، لم تكن تظنني بها، رغبة بي عنها، وإن الحسنات لا يهدي لها، ولا يسدد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت أنه رقى إليك عني، فإنما رقاه الملاقون، المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أردت حرباً ولا خلافاً، و إني لأخشى لله في ترك ذلك، منك ومن حزبك، القاسطين المحلين، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم.

ألست قاتل حجر، وأصحابه العابدين المخبتين، الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة، والعهود المؤكدة، جراءة على الله واستخفافاً بعهده! أولست بقاتل عمرو بن الحمق، الذي أخلقت و أبلت وجهه العبادة، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال!

أولست المدعي زياداً في الإسلام، فزعمت أنه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الإسلام، يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم على جذوع النخل، سبحان الله يا معاوية! لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك. أولست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زيادة أنه على دين علي كرم الله وجهه، ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وسلم، الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا، منة عليكم.

وقلت فيما قلت: لا ترد هذه الأمة في فتنة، و إني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلت فيما قلت: أنظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، و إني والله ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فإنه قربة إلى ربي، وإن لم أفعله فأستغفر الله لديني، وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى، وقلت فيما قلت: متى تكدني أكدك، فكدني يا معاوية فيما بدا لك، فلعمري لقديما يكاد الصالحون، و إني لأرجو أن لا تضر إلا نفسك، ولا تمحق إلا عملك، فكدني ما بدا لك، و اتق الله يا معاوية، واعلم أنّ لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

المسكر من الأشرار. وليس شارب المسكر بأمين على درهم فكيف على الأمة؟ فعن قليل ترد على عملك حين تطوى صحائف الاستغفار" [١].

علماً، أنّ اشتهار يزيد بالفسق كان معروفاً عند جميع المسلمين، ولم يستطع حتى بعض المؤرخين المتعصبين لبني أمية من إخفاء هذه الحقيقة، يقول ابن كثير: (وقد روي أنّ يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغنا والصيد و اتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقرود، وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه. وقيل: إن سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقزها فعضّته) [٢].

بيعة يزيد بعد موت معاوية وموقف الحسين(ع):

لما دخلت سنة ٦٠ هـ مرض معاوية مرضه الذي مات فيه، فأرسل إلى يزيد وكان حينها لاهياً بالصيد خارج دمشق، فلما أبطأ عليه دعا الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة و أبلغهما وصيته ليزيد، كان منها: (وأعلماه أني لست أخاف عليه إلا أربعة رجال: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير) [٣] ومات من ساعته، مات معاوية بعد حياة مليئة بالعداء للإسلام وأهله الحقيقيين [٤].

١- دعائم الإسلام، القاضي المغربي: ٢ / ١٣٣.

٢- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢٥٨.

٣- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٦.

٤- ينقل المغيرة بن شعبة لابنه "مطرف" أنه اختلى يوماً بمعاوية وقال له: (إنك قد بلغت سنّاً فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنك قد كبرت ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال: هيهات هيهات ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو بني عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر ثم ملك عثمان فهلك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه وفعل ما فعل وعمل به ما عمل فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به، وإن أخا بني هاشم يصاح به في كل يوم خمس مرات "أشهد أن محمداً رسول الله" فأي عمل يبقى بعد هذا لا أمّ لك، لا والله إلا دفناً دفناً) انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٣٣ / ١٦٩ – ١٧٠.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

طلبنا"، فقال له الحسين عليه السلام: "إذاً أخبرك أبا بكر، إني أظن بأنّ معاوية قد مات، وذلك أني رأيت البارحة في منامي كأنّ منبر معاوية منكوس ورأيت داره تشتعل ناراً فأوّلت ذلك في نفسي أنه مات" [١].

وعموماً، لما جاءه الإمام الحسين كان معه نفر من بني هاشم؛ لأنه لم يكن ليأمن غدر الأمويين [٢]، فعرض عليه الوليد بن عتبة كتاب يزيد وطلبه، فأبى استجابة الطلب وعرض تأجيل الأمر للغد بحضور الناس، قال عليه السلام: "إنّ مثلي لا يعطي بيعته سرّاً، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحداً" [٣]، فوافق الوليد، فقفز حينها مروان قائلاً: "والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه" [٤]، فوثب الحسين عند ذلك، وقال: "أنت يا بن الزرقاء [٥] تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت"، ثم التفت إلى الوليد وقال: "إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينا أحق بالبيعة والخلافة" [٦].

لا شك أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد اتخذ قراراً قطعياً بعدم البيعة ليزيد، وهذا واضح من أقواله وسلوكه ليس بعد موت معاوية فحسب ولكن في حياته أيضاً، وأما

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١١ – ١٢.

٢- روى المفيد أنّ الحسين عليه السلام قال للهاشميين: "إنّ الوليد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لا أجيبه إليه وهو غير مأمون فكونوا معي، فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عني" الإرشاد: ٢ / ٣٢ – ٣٣.

٣- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٣؛ الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٨.

٤- موقف مروان الخبيث هذا لا يصح اختزاله فقط برغبته بقتل الحسين عليه السلام بعد أن كان معروفاً عنه بغضه وكرهه لآل محمد عليهم السلام، وإنما قد يهدف - أيضاً - إلى خلق فتنة بالمدينة لا تنحسر نتائجها - في أسوأ الأحوال - بغير عزل الوليد نفسه؛ ثأراً لعزله وتعيين الوليد بدلاً منه في أواخر حياة معاوية.

٥- الزرقاء: هي مارية بنت موهب، جدة مروان لأبيه، وهي من ذوات الرايات في الجاهلية، وكان بني الحكم يُعيّرون ويُذمّون بها، انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٩٤؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٦ / ٢٥٧.

٦- العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ١٧٤.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

قوله "فخذ البيعة ثانياً": إشارة إلى وجود بيعة أولى ليزيد بولاية العهد في أيام معاوية كما تقدم بيان ذلك.

وقوله "ذر ابن الزبير": يشير إلى عدم قلق يزيد من ابن الزبير بقدر قلقه من موقف الحسين عليه السلام.

وقوله "وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي": إصدار قرار حكومي أموي صريح بقتل الإمام الحسين عليه السلام [١].

موقف الثلاثة من بيعة يزيد:

أعني بهم: عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير.

أما عبد الرحمن بن أبي بكر فقد كان رافضاً بيعة يزيد ولياً للعهد في أيام حياة معاوية، حتى إنه قال لمروان: (جعلتموها والله هرقلية وكسروية - يعني جعلتم ملك الملك لمن بعده من ولده - فقال له مروان: اسكت فإنك أنت الذي أنزل الله فيك: "والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج"...)، وحصل نزاع بينهما وصل إلى عائشة [٢].

والمؤكد أنّ عبد الرحمن مات في ظروف غامضة قبل موت معاوية بقليل، بعد أن رفض محاولات معاوية لشراء موقفه بالمال مقابل بيعته ليزيد، روى الحاكم بسنده: (قال بعث معاوية إلى عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد بن معاوية فردها عبد الرحمن و أبى أن يأخذها وقال أبيع ديني بدنياي؟ وخرج إلى مكة حتى مات بها) [٣]. حتى إنّ أخته عائشة كانت تشك في أن يكون موته عملية

١- لم يكن يزيد اللعين أرسل هذا الكتاب فقط لواليه الوليد بن عقبة، وإنما كان هناك أكثر من كتاب، جاء في أحدها: "أما بعد، فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام" تاريخ الطبري: ٤ / ٢٥٠. وفي لفظ آخر: "أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه" الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٠.

٢- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٩٦.

٣- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٣ / ٤٧٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) [١].

وقد كانت حقيقة ابن عمر واضحة لمعاوية بشكل جيد، ولهذا قال في وصيته لابنه يزيد: "فأما ابن عمر فهو معك فألزمه ولا تدعه" [٢]. ولعل كثرة لقاءاته بالحسين في المدينة ومكة [٣] ورجائه منه بتقديم البيعة ليزيد والدخول فيما دخل فيه المسلمون وترك المسير إلى العراق، أقول: لعل ذلك كان بتنسيق مع السلطة الأموية بشكل وآخر، إضافة إلى الهدف الأساس من لقائه بالحسين أعني سعيه للحيلولة عن استمرار الحسين بالثورة والتصعيد بالخطوات؛ لأن ذلك سيجعله - وبقية المسلمين - في وضع محرج لا يُحسدون عليه، ويتطلّب منهم جميعاً موقفاً مؤازراً لمن يمثل الرسول صلى الله عليه وآله نسباً وديناً ونهجاً، و ابن عمر - كحال غالبية المسلمين - نفسه لا تطاوعه بالنهوض مع الحسين عليه السلام ونصرته؛ لأنه طالب عافية كما هو واضح من سيرته.

وأما عبد الله بن الزبير: فإنه لما أرسل عليه والي المدينة الوليد بن عتبة ليأخذ منه البيعة ليزيد بعد موت معاوية امتنع عن البيعة وخرج إلى مكة متخفياً في نهاية شهر رجب سنة ٦٠ هـ فبعث الوليد رجالاً في طلبه فلم يدركوه. وبقي في مكة وقد أطلق على نفسه لقب "العائذ بالله" [٤] إلى أن قتل الحسين عليه السلام في كربلاء مطلع عام ٦١ هـ فاستفاد كثيراً من حالة التعاطف والحزن الممزوج بشيء من الغضب التي عمّت كثير من المسلمين في الحجاز وخارجها على مقتل ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله فدعا الناس إليه ليبايعوه، وهذا ما كان يطمح إليه منذ البداية، وسيأتي ذكر بعض ما جرى بينه وبين يزيد من معارك في مكة أدت إلى هدم الكعبة وحرقها ضمن الأحداث التي أعقبت مقتل الحسين عليه السلام وتحديداً أحداث سنة ٦٣ – ٦٤ هـ.

١- صحيح مسلم: ٦ / ٢٢.

٢- الأمالي، الصدوق: ٢١٥.

٣- إذ نقلت لنا النصوص التاريخية ثلاث لقاءات جرت بينه وبين الامام الحسين عليه السلام، تطرقنا لها في طيّات البحوث بحسب المناسبة التي تخصها.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٥٤.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وأمرهم بطاعته، وبالتأكيد سيكون ذلك الرجل أعلم الخلق بدين الله وأعدلهم وأشرفهم وأطهرهم وأصدقهم وأرحمهم إلى غير ذلك من صفات الكمال والخلق الإنساني والديني الرفيع.

مبدأ حاكمية الله والحسين شيء واحد، ولهذا منذ انطلاقة "لائه" المباركة بوجه الطاغية الفاسق وحتى لحظة استشهاده ما ترك بيان حقه للناس في أنه الوحيد بين أهل زمانه الموصى به من قبل جده محمد صلى الله عليه وآله، وأنّ رضا الله رضاه: "رضا الله رضانا أهل البيت" [١]، وما وجد فرصة إلا وذكّرهم بنصوص الرسول به وبأبويه وأخيه - وهو بقيّتهم يومذاك - من أنهم أمان للأمة من الضلال وأنهم ترجمان القرآن وعدله الذي لم ولن يفترق عنه، وهم العالمون بتفسيره وتأويله دون بقية الناس، وقد فعل ذلك حتى في أيام معاوية قبل موته:

(عن موسى بن عقبة، أنه قال: لقد قيل لمعاوية: إن الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين عليه السلام فلو قد أمرته يصعد المنبر فيخطب فإن فيه حصراً وفي لسانه كلالة، فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنا، فلم يزالوا به حتى قال للحسين عليه السلام، يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فتخطب. فصعد الحسين عليه السلام المنبر، فحمد الله و أثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله فسمع رجلا يقول: من هذا الذي يخطب؟ فقال الحسين عليه السلام: نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين الذين جعلنا رسول الله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، ولا يبطئنا تأويله بل نتبع حقائقه. فأطيعونا فان طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول" وقال: "ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً. وأحذركم الاصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: "لا غالب لكم اليوم من الناس و إني جارلكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم"،

١- من كلام للحسين عليه السلام في خطبة خطبها لما أراد التوجه إلى العراق، انظر: العوالم - الإمام الحسين: ٢١٧.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الفساد الذي خيّم على الأمة في زمن الحسين وإن طال كل شيء ويستدعي إصلاحاً شاملاً في اتجاهات عديدة، لكن الإصلاح العقائدي بالتأكيد له الأولوية كما هي سنة أولياء الله وخلفائه في أرضه في دعواتهم الإلهية، لذلك كان الحسين عليه السلام يؤكد بالدرجة الأساس على مسألة إصلاح الحكم والحاكم المتسلط على دماء الناس وأموالهم وبيده قرار الحرب والسلم وما شابه من قضايا كبرى؛ لأنها مسألة تتصل بمبدأ "حاكمية الله" الذي حدثتكم عنه قبل قليل، ولذلك كان يقول:

- "وعلى الاسلام السلام إذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان" [١].
- "إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالبيعة والخلافة" [٢].

الحسين يرفض حاكمية الناس التي سار عليها الأمويون ومن سبقهم رفضاً قاطعاً، ويدعو إلى حاكمية الله المتجسدة بشخصه الشريف، وإذا كان المسلمون - أو قسم منهم - لا يستوعبون إمامته ومبدأ حاكمية الله عموماً، بالرغم من وضوحه؛ لأنهم بحسب الفرض مؤمنون بالرسول ومتّبعون له، فلا أقل أنّ إدراك فسق يزيد ليس بعسير عليهم بعد إعلانه واشتهاره بالموبقات والمعاصي الكبيرة، وكيف لمن هو معلن بفجوره وفسقه وظلمه وإجرامه أن يتسلط على رقاب المسلمين وتكون له الولاية على دمائهم وأعراضهم وأموالهم وقرار حربهم وسلمهم؟! هذا فضلاً عن الفساد المالي والإداري والأخلاقي والإجرامي الذي أركس حكام وأمراء وولاة بني أمية والمحسوبين عليهم أنفسهم فيه بما ملأ صيته وذكره الخافقين أمام مرأى ومسمع المسلمين جميعاً دون خجل أو حياء من أحد!

الله عليهما، ويكفي أن يكون تسليط الأمويين على رقاب المسلمين بما جر على الإسلام والمسلمين من ويلات كان إحدى نتائج سير التالين للرسول، وما كان هذا ليحصل في دين الرسول ووصيه علي ولا تسمح به سيرتهما إطلاقاً.

١- مثير الأحزان، ابن نما الحلي: ١٤ – ١٥؛ العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ١٧٥.

٢- العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ١٧٤.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

- والحال هذه - مرشح إلى انغماس أكثر في الظلام ولا يُؤمّل معه بقاء الحد الأدنى من الإسلام الحقيقي الذي بُعث به الرسول، فأضحى المسلمون بين أحد أصناف ثلاثة:

١- مطبّل للباطل والضلال عن علم وعمد ومستعد أن يقلب الحقائق رأساً على عقب، وهم المنتفعون في كل زمان، وفيهم من له ثقل ديني أو اجتماعي.
٢- مغرربهم، وهم ضحايا الموج الهائل للتضليل والتحريف الذي مورس بحقهم.
٣- خائف فاشل متكاسل عن القيام بأي ردة فعل ضد الباطل قولاً أو فعلاً.

هذا هو حال جمهور المسلمين وسوادهم الأعظم، ومن نطق منهم بكلمة الحق تمت تصفيته كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق وجويرية العبدي وأمثالهم وقبلهم نطق بها أبو ذر الغفاري الذي تم نفيه إلى الربذة ومات فيها غريباً وحيداً وهو صاحب رسول الله المقرّب!

ورب قائل يقول: لماذا لم يطالب أمير المؤمنين والحسن بحاكمية الله كما طالب بها الحسين؟ وإجابة أقول: إنّ أمير المؤمنين طالب بحقه بعد وفاة الرسول وكانت معه فاطمة وصارا يدورون على بيوت المهاجرين والأنصار ويذكروهم بنصوص الرسول بحق علي وتنصيبه له وصياً وخليفة له من بعده كحادثة غدير خم وهي ليست عنهم ببعيد، وبالرغم من إقرارهم بذلك خذلوه، وبعضم تعذّر بأنه بايع ولا يصح منه الرجوع، ولم يفِ ببيعة علي عليه السلام ويتمسك بها غير نفر قليل لا يقوم بهم حق مستلب، والقضية معروفة ورواها المسلمون بكل طوائفهم [1]، ولما كان أمير المؤمنين عليه السلام موصى من قبل الرسول بالصبر وعدم استعمال القوة لأخذ حقه؛ نتيجة قلة الناصر، وحفظاً على بيضة الإسلام الذي لا زالت دعوته فتية آنذاك، صبر وترك المسلمين وما اختاروه لأنفسهم وسكن داره فترة خمسة وعشرين عاماً كما هو الثابت في سيرته.

١- انظر على سبيل المثال: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ١٩، قال: (قال: وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك و ابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ، فيقول علي كرم الله وجهه أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما لله حسيبهم وطالبهم).

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وهذا مقطع من كلامه عليه السلام لما أراد التوجه إلى العراق: "لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله، وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّبهم عينه وتنجز لهم وعده" [١].

يوم الحسين - إذن - يوم خط بالقلم الإلهي: "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ" القلم: ١، هكذا كانت مشيئة الله ووعده من أجل حفظ دينه وإدامة خط رسالاته السماوية وبلوغها يوم الإنسانية الأخير على هذه الأرض؛ إتماماً لحجة الله على الخلق وقطع عذرهم: "لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ" النساء: ١٦٥، وبهذا الوعد الإلهي أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته وأمته ودراه ولده الحسين دراية تامة وكاملة، ولن تشذّ عن الرسول لحمته وريحانته وحسينه في إنفاذ مراد الله و إنجاز وعده بأتم وجه ممكن؛ تعجز عن وصفه الكلمات!

أما لماذا اختار الحسين وقت هلاك معاوية وبداية حكم يزيد ليكون موعد انطلاق ثورته، فالأمر مرتبط بإرادة الله سبحانه كما بيّنت، و أيضاً: لأن أول بنود الصلح الذي كان بين الإمام الحسن ومعاوية - كما عرضناها سابقاً - هو أن يؤول أمر الخلافة بعد معاوية إلى الحسن في حال وجوده وإلا فالحسين، ولا يحق لمعاوية أن يوصي بالخلافة لأحد أبداً، وبالتالي فحتى على هذا المستوى ليس بيد معاوية ويزيد حجة يمكن التحجج بها لتمرير باطلهم وضلالهم على الناس.

هذا إضافة إلى وجود فارق كبير بين شخصية معاوية و ابنه يزيد في مسألة الخداع والتضليل والنفاق والتقنّع باسم الدين [٢]، فما ربما يصعب إدراكه في بيان باطل وضلال معاوية على كثير من الناس المغرر بهم يسهل عليهم إدراكه في شخص مثل يزيد المعلن بالفسق والفجور وشرب الخمور والإجرام واللهو والعبث، ومن ثمَّ يسهل على الأمة

١- العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢١٧.

٢- بل الفرق بين معاوية و ابنه يزيد حتى في مسألة التعامل مع شخصية الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان معاوية حذراً في التعامل معه؛ لعلمه بأنّ له مكانة وقدراً في قلوب الكثير من المسلمين، والتسبّب بأذى له يعني تهديد مملكته وسلطانه بالزوال، ولذلك أوصى ابنه يزيد فقال: "وأما الحسين بن علي فلن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فإنّ له رحماً ماسة وحقاً عظيماً وقرابة من محمد" الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

ابن فاطمة، أنا فرخك و ابن فرختك وسبطك في الخلف الذي خلفت على أمتك فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني وأنهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتى ألقاك. ثم وثب قائماً وصف قدميه ولم يزل راكعاً وساجداً. ..... فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً فصلى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: اللهم! إن هذا قبر نبيك محمد و أنا ابن بنت محمد وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم! و إني أحب المعروف و أكره المنكر، و أنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبرومن فيه ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضى.

قال: ثم جعل الحسين يبكي حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبرفأغفى ساعة، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أقبل في كبكبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى ضم الحسين إلى صدره وقبّل بين عينيه وقال: يا بني! يا حسين! كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي و أنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تُروى وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة! فما لهم عند الله من خلاق، حبيبي يا حسين! إنّ أباك وأمك [وأخاك] قد قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة. ..." [١].

الحسين يشكو لجده في الرؤيا خذلان الناس له وتضييعهم حقه، والرسول يؤكد له من جديد وعد الله بأنه القتيل ذبحاً وعطشاً فداءً لدين الله وحاكميته؛ الموجب لنيله درجات خاصة لا تُمنح له إلا بالشهادة في سبيل الله. ثم زار قبر أمه وأخيه الحسن عليهما السلام، وقصّ على أهل بيته ما رآه فلم يكن في ذلك اليوم أكثر غمّاً وبكاء منهم.

بالتأكيد، إنّ مغادرة شخصية عظيمة بحجم الحسين بن علي المدينة ليس سهلاً على أهل بيته وبني عمومته أو المحبّين أو من يعنيهم أمره بأي شكل من الأشكال [٢]، لذا حاول

١- الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ٥ / ١٨ – ١٩.

٢- ممّن التقى الحسين عليه السلام وكلّمه قبل مسيره إلى العراق سواء في المدينة أو في مكة - من غير الطالبيين -: ابن عباس، وعبد الله بن عمر، و أبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، و أبو و اقد الليثي وغيرهم، وجميعهم حاولوا ثنيه عن المسير وحذرّوه من القتل، لكن الحسين عليه السلام أبى ولم يلتفت إلى كلامهم بعد أن عرف تكليفه من الله ورسوله. انظر: البداية والنهاية: ٨ / ١٧٥ – ١٧٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الذي جاء بك و أنت على هذه الحالة؟ فقالت: وكيف لا آتي وقد بلغني أنّ كفيل الأرامل ذاهب عني؟ ثم انتحبت باكية وتمثلت بأبيات أبيها أبي طالب عليه السلام:

و أبيض يستقسى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأراملِ
تطوف به الهلّاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضلِ

ثم قالت: سيدي و أنا متطيّرة عليك من هذا المسير لهاتف سمعته البارحة يقول:

وإنّ قتيل الطف من آل هاشم أذلّ رقاباً من قريش فذلّتِ
حبيب رسول الله لم يكُ فاحشاً أبانت مصيبته الأنوف وجلّتِ

فقال لها الحسين عليه السلام: يا عمّة لا تقولي من قريش، ولكن قولي: أذلّ رقاب المسلمين فذلّتِ، ثم قال: يا عمّة، كلُّ الذي هو مقدّر فهو كائن لا محالة" [١].

كذلك: جاءه محمد بن الحنفية وأشار عليه بالتنحّي عن يزيد وعن الأمصار واختلاف الناس ما استطاع أو الخروج إلى مكة أو اليمن أو اللحوق بالرمال وشعوب الجبال، وجاء في مطلع كلامه: "يا أخي أنت أحب الخلق إلي وأعزهم عليّ ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق، وليس أحد أحق بها منك لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري وكبير أهل بيتي ومن وجبت طاعته في عنقي، لأن الله قد شرفك عليّ وجعلك من سادات أهل الجنة". فقال له الحسين: "يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية، فقطع محمد بن الحنفية الكلام وبكى، فبكى الحسين عليه السلام معه ساعة ثم قال: يا أخي جزاك الله خيراً، لقد نصحت وأشرت بالصواب و أنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عيناً لا تخفي عني شيئاً من أمورهم" [٢]. ثم كتب

١- معالي السبطين، الحائري: ١ / ٢١٤ – ٢١٥.

٢- العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ١٧٨ – ١٧٩.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

أربعة: (القاسم، عبد الله، أبو بكر، الحسن المثنى، وفيهم من لم يبلغ الحلم)، وولدي أخته زينب العقيلة: (عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر) [١]، وأولاد عمّه عقيل أربعة: (مسلم وجعفر وعبد الرحمن وعبد الله = أبو سعيد)، وأولاد مسلم بن عقيل الأربعة: (عبد الله ومحمد و إبراهيم ومحمد الأصغر، اثنان منهم طفلان)، وهؤلاء الصفوة كلهم قتلوا يوم الطف حتى الأطفال باستثناء الإمام علي بن الحسين، والحسن المثنى، وطفلا مسلم (إبراهيم ومحمد الأصغر) اللذين قتلا بعد العاشر من المحرم.

واضح أنه لم يخرج مع الحسين جميع الطالبيين، مثل إخوته: عمر وعبيد الله إضافة إلى محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر و أبنائهم وهم كثر[٢]، باستثناء اثنين من ولد عبد الله بن جعفر (أمهما السيدة زينب بنت علي عليها السلام) [٣]، وربما يوجد غيرهم من آل أبي طالب. وبالتالي فالسؤال لا ينحصر بمحمد بن الحنفية فقط، هذا من جهة.

١- بعض الروايات التاريخية تؤكد أنّ عون ومحمد ولدا عبد الله بن جعفر التحقا بالحسين عليه السلام بعد خروجه من مكة باتجاه العراق.

٢- محمد بن الحنفية: ولد سنة ١٦ هـ، لديه ٢٤ ولداً ٨ أو ١٤ منهم ذكور، علة تخلّفه عن الحسين مرضه، هكذا قيل. (انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٧ / ٧٨ – ٧٩؛ المجدي في أنساب الطالبيين، العمري: ٢٢٣).

- عمر بن علي: ولد سنة ١٣ هـ، لديه ثلاثة ذكور غير البنات، توفي وعمره ٨٥ عاماً. (انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٦ / ١٠١ – ١٠٢).

- عبيد الله بن علي: أمه ليلى بنت مسعود، التحق بمصعب بن الزبير وقتل معه في حربه ضد المختار في وقعة "المذار" بين البصرة وواسط سنة ٦٧ هـ، (انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٥ / ١٨٨).

- عبد الله بن جعفر: ولد سنة ١ هـ في الحبشة، لديه تسعة أولاد غير البنات، وقيل: عشرون ولداً. قتل اثنان منهم في الطف وثالث في صفين. (انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٤ / ٥٠١ – ٥٠٢).

وبخصوص ابن الحنفية: روي أنه أدرك الحسين بمكة (وأعلمه أنّ الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الحسين أن يقبل. فحبس محمد بن علي ولده فلم يبعث معه أحداً منهم! حتى وجد الحسين في نفسه على محمد، قال: ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه؟! فقال محمد: وما حاجتي أن تصاب ويصابون معك، وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم) تاريخ مدينة دمشق: ١٤ / ٢١١ – ٢١٢. وبصرف النظر عن صحة الرواية فإنها عملياً حدثت بالفعل؛ إذ لم يخرج مع الحسين عليه السلام لا محمد ولا ولداً من أولاده.

٣- روى ابن الأثير والطبري: (لما بلغ عبد الله بن جعفر قتل ابنيه مع الحسين دخل عليه بعض مواليه يعزيه والناس يعزونه فقال مولاه هذا ما لقيناه من الحسين فحذفه ابن جعفر بنعله وقال يا بن اللخناء أللحسين تقول هذا، والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه والله إنه لمما يسخي بنفسي عنهما ويهون عليّ المصاب بهما أنهما

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وفيه إنصاف أيضاً لمن خرج معه من الطالبيين وغيرهم ممن بذلوا مهجهم دونه، إذ ليس من العدل أن يتساوى من جلس في داره ولم يخرج مع الحسين مع آل عقيل - مثلاً - الذي كان رسول الله يحبّه حبّين وأحد أسباب ذلك نصرة ولده للحسين [١]، آل عقيل الذين كان الإمام علي بن الحسين يميل لهم، فقيل له: "ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر؟ قال: إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي فأرقُّ لهم" [٢].

ثانياً: إنّ ما قرأناه في الأجوبة أعلاه مجرد ظنون واحتمالات لا دليل قطعي عليها، فمثلاً: أين هو دليل الإذن في قولهم: "ربما إذن لهم الحسين بالبقاء"؟ أو قولهم: "ليكون لهم أثر يوازي أثر الأمويين" أي أثر يقصدون؟ وما الذي فعلوه في المدينة بعد مغادرة الحسين لها؟ وأغرب من ذلك قولهم: "ربما لم يطلب الحسين منهم الخروج معه لحصول الغرض بمن خرج منهم"؟ حقيقة لا أعرف هل يقصدون أنّ وظيفة الحسين - وهو الإمام المفروض طاعته على الخلق - هي أن يجوب بيوت إخوته و أبناء عمومته ومعارفه والمدينة عموماً بيتاً بيتاً ويدعو رجالها البالغين للالتحاق به ونصرته؟ وهل موقف الحسين وصرخته بوجه الطغاة خفيت على أحد من أهل المدينة وقد سمع بها حتى النساء في بيوتهن و أتت بعضهن باكيات نادبات يتوسلن به أن لا يخرج وتخلو مدينة جده من وجوده الشريف كما صنعت أم سلمة وعمته أم هاني؟! ثم أي غرض حصل بمن خرج معه وهم صفوة قليلة جداً لم يبلغ عددهم - مع الصبيان والرضع - العشرين شخصاً مقابل ألوف يقودهم طغاة مجرمين؟!!

كذلك: تعليلهم بالمرض لعدم خروج محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر، لا دليل قطعي عليه، و أيضاً: ليس كل مرض - إن كان - يوجب الاستثناء من نصرة الإمام الحق.

أما قول العلامة الحلي بأنهم ربما لم يعلموا بما سيجري على الحسين وظنوا أنّ أهل الكوفة ينصرونه؟ فهو أيضاً غير دقيق؛ إذ شهادة الإمام الحسين كان يعرف بها كثير من

١- روى الصدوق بسنده: (عن ابن عباس قال: قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلاً؟ قال: إي والله إني لأحبّه حبّين: حبّاً له، وحبّاً لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون. ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي) الأمالي: ١٩١.

٢- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٢١٤.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

اليوم"، بل وبعضهم كان يطلب من الإمام الحسين أن يتصدى لقبول البيعة في ظل وجود الإمام الحسن! والسبب هو ما أقدم عليه من الصلح مع معاوية! و أيضاً: ليس بوسعنا اتهام سليمان أو حجر في عقيدته ودينه وهم من خلّص شيعة آل محمد ورؤوس الداعين لهم وماتا على هذه العقيدة الحقة.

- ماذا بوسعنا أن نصف موقف شيعة الإمام الصادق الذين كانوا يلحّون عليه بالانضمام إلى مشروع العباسيين الر افعين شعار الرضا من آل محمد وإجابة رسائلهم وتلطيف الموقف معهم بدل إهمالهم وهجرانهم؛ الأمر الذي دعا الفضيل بن يسار ومحمد بن مسلم أن يدخلا بهمة عالية على مجلس الإمام بحضور أصحابه وشيعته ويعلنا بصوت واحد أمامه: "إننا والله بكم نأتم وعنكم نأخذ ..." وهما يهدفان إسماع الحاضرين ليكفّوا عن طرح الاقتراحات والآراء التي كانت تؤذي إمامهم الذي يعتقدون به وبوجوب طاعته بكل تأكيد!

وليس الأمر مقتصراً على أتباع آل محمد ومحبيهم فحسب، ولكنه موجود عند أتباع الأنبياء أيضاً، وكمثال: أبناء النبي يعقوب عليه السلام وما فعلوه بأخيهم ووصي أبيهم يوسف بيّن وجلي، مع أنّ أحداً لا يشك بأنهم أصحاب عقيدة حقة فقد كانوا مؤمنين بنبوة أبيهم ومعتقدين بوجوب طاعته.

الخذلان والتقصير في الأمثلة المتقدمة واضح، لكن لا يتمكن أحد أن يسلب من المقصّرين صفة الإيمان بالمطلق، فهم مؤمنون ومعتقدون بالعقيدة الحقة في زمانهم لكنهم في ذات الوقت قصّروا وخذلوا إمامهم ولم يكونوا لاحقين به.

وكما قلت سابقاً [١]: ليس بالضرورة أن يكون أصحاب المو اقف المتقدمة (أو بعضهم حتى أكون أكثر دقة) يتعمّدون الاعتراض على الإمام أو إيذائه أو عدم الاعتقاد بعصمته، بل على العكس قد يتصوّرون أنهم بمو اقفهم يريدون الخير للإمام ودفع الظلم والقتل والحيف عنه ففعلوا ما فعلوا و اقترحوا ما اقترحوا، ولذلك كان الأئمة عليهم السلام يتعاملون معهم بلطف ولا يعنّفوهم على مو اقفهم أو يبعدوهم عن ساحتهم، بل

١- في بحث "كيف تعامل الناس مع الإمام الحق"، فراجع للفائدة أكثر.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وكذلك كلام عمر بن علي مع أخيه الحسين [١] و أيضاً كلام ابن عمر - الآتي - مع الحسين، يجد أنّهم جميعاً يصبّون في مصبٍّ واحد، وهو عرض آراء ومقترحات تبعد القتل عن الحسين بأي وسيلة كانت مع اعترافهم بأحقيته وصواب موقفه، بل وبعضهم (ابن الحنفية، ابن عباس) يصرّح بوجوب طاعته عليه.

وهذه محاورة مهمة جرت بين الحسين وبين ابن عباس و ابن عمر عندما عزم على المسير إلى العراق في محاولة أخيرة منهما لثنيه عن قراره وإرجاعه إلى المدينة، دعاهم فيها إلى نصرته، وكلاهما يشهد بسماعه قول الرسول بأنّ الحسين مخذول مقتول ظلماً وعدواناً. وكلاهما يشهد بطهارة الحسين وصواب موقفه، خصوصاً ابن عباس الذي يقر بوجوب نصرة الحسين وأنها فرض واجب عليه كالصلاة والزكاة، لكن في نفس الوقت كلاهما لا تطاوعه نفسه بالمسير مع الحسين ونصرته.

وملخصها: أشهد الحسين ابن عباس على منزلته وأحقيته ومظلوميته ولما أقر له بذلك قال الحسين: "اللهم اشهد" فعرف ابن عباس أنّ الحسين يقصده ويريد إسماع ابن عمر أيضاً، فقال ابن عباس: "كأنك تريدني إلى نفسك وتريد مني أن أنصرك"، فقاطعه ابن

ثم بعد ذلك أقبل عبد الله بن عباس إليه فدخل وقال: يا بن بنت رسول الله! إني قد رأيت رأيين إن قبلت من! فقال الحسين: وما ذاك؟ قال: تخرج إلى بلاد اليمن، فإن فيها حصونا وشعابا وهي أرض عريضة طويلة، وإن لك بها شيعة و أنت عن الناس في عزلة، فإذا استوطنت بها اكتب إلى الناس وأعلمهم مكانك. فقال الحسين: يا بن عمي! إني لأعلم أنك ناصح شفوق، ولكني أزمعت على المسير إلى العراق، ولا بد من ذلك. فأطرق ابن عباس رحمه الله ساعة ثم قال: يا بن بنت رسول الله! إن كنت قد أزمعت ولا بد لك من ذلك فلا تسر بنسائك وأولادك فإني خائف عليك أن تقتل كما قتل عفان وأهله وولده ينظرون إليه ولا يقدرون له على حيلة، والله يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك عن مكة وتخليتك إياه هذا البلد، وهو اليوم لا ينظر إليه فإذا خرجت نظر إليه الناس بعد ذلك. فقال الحسين رضي الله عنه: إني أستخير الله تعالى في هذا الأمر ماذا يكون. قال: فخرج ابن عباس من عنده وهو يقول: وا حبيباه) الفتوح: ٥ / ٦٥ – ٦٦.

١- روى ابن طاووس: (محمد بن عمر قال: سمعت أبي عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام يحدث أخوالي آل عقيل قال: لما امتنع أخي الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد بالمدينة، دخلت عليه فوجدته خالياً فقلت له: جعلت فداك يا أبا عبد الله، حدثني أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه عليهما السلام ثم سبقتني الدمعة وعلا شهيقي فضمني إليه وقال: حدثك أني مقتول؟ فقلت: حوشيت يا بن رسول الله، فقال: سألتك بحق أبيك بقتلي خبّرك؟ فقلت: نعم فلولا ناولت وبايعت، فقال: حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بقتله وقتلي وأن تربتي تكون بقرب تربته فتظن إنك علمت ما لم أعلمه و إنه لا أعطي الدنية عن نفسي أبداً ولتلقين فاطمة أباها شاكية ما لقيت ذريتها من أمته ولا يدخل الجنة أحد آذاها في ذريتها) اللهوف: ١٩ – ٢٠.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وما قاله الحسين لابن عباس في آخر الحوار، شبيه بما قاله لأخيه محمد بن الحنفية: "وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون عيناً لي"؛ لأنه عرف عدم رغبته بالخروج معه بما ذكره له من آراء و اقتراحات تهدف إلى صرفه عن المسير والقتل الذي يلوح - بوضوح تام - في النهاية. ولأن الحسين - كما قلت - لا يجبر أحداً على الخروج معه وبنفس الوقت يرجو أن ينال أتباعه ومحبّيه أعلى درجات الارتقاء أو لا أقل تقليل خسارتهم نتيجة التقصير، عرض عليه أن يستغل فترة بقائه بالمدينة ليكون عيناً له فيها ولا يكون بقاءً لأجل طلب السلامة فقط فتعظم الخسارة (فقدان الارتقاء) بنحو آكد وأشد.

أنصرك! والله الذي لا إله إلا هو أن لو ضربت بين يديك سيفي هذا حتى انخلع جميعا من كفي لما كنت ممن أوفي من حقك عشر العشر! وها أنا بين يديك مرني بأمرك. فقال ابن عمر: مهلاً ذرنا من هذا يا بن عباس.

قال: ثم أقبل ابن عمر على الحسين فقال: أبا عبد الله! مهلاً عما قد عزمت عليه وارجع من هنا إلى المدينة وادخل في صلح القوم ولا تغب عن وطنك وحرم جدك رسول الله، ولا تجعل لهؤلاء الذين لا خلاق لهم على نفسك حجة وسبيلا، وإن أحببت أن لا تبايع فأنت متروك حتى ترى بر أيك فإن يزيد بن معاوية عسى أن لا يعيش إلا قليلا فيكفيك الله أمره. فقال الحسين: أفٍّ لهذا الكلام أبدا ما دامت السماوات والأرض! أسألك بالله يا عبد الله أنا عندك على خطأ من أمري هذا؟ فإن كنت عندك على خطأ فردني فإني أخضع وأسمع وأطيع، فقال ابن عمر: اللهم لا ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على خطأ، وليس مثلك من طهارته وصفوته من الرسول على مثل يزيد بن معاوية باسم الخلافة، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف وترى من هذه الأمة ما لا تحب، فارجع معنا إلى المدينة وإن لم تحب أن تبايع فلا تبايع أبدا و اقعد في منزلك. فقال الحسين: هيهات يا بن عمر! إن القوم لا يتركوني وإن أصابوني وإن لم يصيبوني فلا يزالون حتى أبايع و أنا كاره أو يقتلوني، أما تعلم يا عبد الله! أن من هوان هذه الدنيا على الله تعالى أنه أتي برأس يحيى بن زكريا عليه السلام إلى بغية من بغايا بني إسر ائيل والرأس ينطق بالحجة عليهم؟ أما تعلم أبا عبد الرحمن! أن بني إسر ائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيا ثم يجلسون في أسو اقهم يبيعون ويشترون كلهم كأنهم لم يصنعوا شيئا، فلم يعجل الله عليهم، ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر، اتق الله أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي واذكرني في صلاتك، فوالذي بعث جدي محمدا بشيرا ونذيرا لو أن أباك عمر بن الخطاب أدرك زماني لنصرني كنصرته جدي و أقام من دوني قيامه بين يدي جدي، يا بن عمر! فإن كان الخروج معي مما يصعب عليك ويثقل فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تتركن لي الدعاء في دبر كل صلاة، واجلس عن القوم ولا تعجل بالبيعة لهم حتى تعلم إلى ما تؤول الأمور.

قال: ثم أقبل الحسين على عبد الله بن عباس رحمه الله فقال: يا بن عباس! إنك ابن عم والدي، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنت مع والدي تشير عليه بما فيه الرشاد، وقد كان يستنصحك ويستشيرك فتشير عليه بالصواب، فامض إلى المدينة في حفظ الله وكلائه ولا يخفى علي شيء من أخبارك فإني مستوطن هذا الحرم ومقيم فيه أبدا ما رأيت أهله يحبوني وينصروني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم الخليل يوم ألقي في النار "حسبي الله ونعم الوكيل" فكانت النار عليه برداً وسلاماً. قال: فبكى ابن عباس و ابن عمر في ذلك الوقت بكاء شديدا والحسين يبكي معهما ساعة ثم ودعهما، وصار ابن عمر و ابن عباس إلى المدينة).

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

- الإمام الباقر عليه السلام: "قال: كتب الحسين بن علي من مكة إلى محمد بن علي: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد فإنّ من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام" [١].
- عن حمزة بن حمران، عن الإمام الصادق عليه السلام: "قال: ذكرت خروج الحسين بن علي عليه السلام وتخلف ابن الحنفية عنه فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمزة إني سأحدثك في هذا الحديث لا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا إنّ الحسين بن علي عليه السلام لما مثل متوجهاً دعا بقرطاس فكتب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى بني هاشم أما بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يدرك الفتح، والسلام" [٢].

واضح جداً أنّ كلام الحسين يشمل الجميع دون استثناء، والفتح بأي معنى تصوّرناه الآن - وسيتضح معناه بعد قليل - هو جائزة إلهية ودرجة رفيعة خصّها الله سبحانه بالحسين ومن لحق به، وبالتالي فمن لم يلتحق لم ينل هذه الدرجة والجائزة الربّانية، تماماً كما لو أنّ جامعة علمية خصّصت درجة علمية أو مكافئة متميزة لمن حضر قاعة البحوث فيها و أنجز أمراً ما كإلقاء بحث معيّن مثلاً، ولو افترضنا أنّ أستاذاً أو طالباً تخلّف عن الحضور وأداء المهمة لسببٍ ما كالمرض أو عدم توفر وسيلة نقل أو حصل معه حادث بالطريق أو طارئ أدّى إلى سجنه وغير ذلك من أسباب كثيرة جداً عاقته عن الحضور في الوقت المحدد، وبصرف النظر الآن عن كون الأسباب والأعذار شرعية أو غير شرعية فهو بالنتيجة لم يصل ولم ينل الدرجة العلمية أو المكافئة المتميزة التي خصصتها الجامعة لمن حضر و أنجز المهمة، وليبقى يعتذر لنفسه أو يعتذر له الآخرون إلى أبد الدهور فإنّ ذلك لا ينفعه شيئاً - بخصوص نيل تلك الدرجة - على الرغم من بقائه أستاذاً أو طالباً.

تنبيه: كل ما تقدم أعلاه تُخاطَب به المرأة كما الرجل تماماً، فما وضعه الإسلام عنها حمْلُ السلاح ليس إلا، وهو يحتل جزءاً من دائرة النصرة الواسعة وليس كل مساحتها، ولا زالت النصرة بالموقف والكلمة والمال وبذل النفس على حالها ومتاحة بأجمعها لها

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٧.

٢- مختصر بصائر الدرجات، ابن سليمان الحلي: ٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

فإذا كانت أمينة عند الرسول و ائتمنها الرسول فمن المؤكد ستكون أمينة عند الحسين ويأتمنها الحسين؛ خصوصاً أنها كانت من شيعة أهل البيت عليهم السلام ومحبة لهم ومضحية في سبيلهم.

- المفيد: "عن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من عندنا ذات ليلة فغاب عنا طويلاً، ثم جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة، فقلت: يا رسول الله، ما لي أراك شعثاً مغبراً؟! فقال: "أسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلاء، فأريت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط دماءهم فها هي في يدي" وبسطها إلي فقال: "خذيها واحتفظي بها" فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وسددت رأسها واحتفظت به، فلما خرج الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً نحو العراق، كنت أخرج تلك القارورة في كل يوم وليلة فأشمها و أنظر إليها ثم أبكي لمصابه، فلما كان في اليوم العاشر من المحرم - وهو اليوم الذي قتل فيه عليه السلام - أخرجتها في أول النهار وهي بحالها، ثم عدت إليها آخر النهار فإذا هي دم عبيط، فصحت في بيتي وبكيت وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت حتى جاء الناعي ينعاه فحقق ما رأيت" الإرشاد: ٢ / ١٣٠.

- الطوسي: "عن عبد الله بن عباس، قال: بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، فخرجت يتوجه بي قائدي إلى منزلها، و أقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء، فلما انتهيت إليها قلت: يا أم المؤمنين، ما بالك تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبني، و أقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب اسعدني و ابكين معي، فقد والله قتل سيدكن وسيد شباب أهل الجنة، قد والله قتل سبط رسول الله وريحانته الحسين. فقيل: يا أم المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام الساعة شعثاً مذعوراً، فسألته عن شأنه ذلك، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم، قالت: فقمت حتى دخلت البيت و أنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلاء، فقال: إذا صارت هذه التربة دماً فقد قتل ابنك، وأعطانيها النبي صلى الله عليه وآله، فقال: اجعلي هذه التربة في زجاجة - أو قال: في قارورة - ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قتل الحسين، فر أيت القارورة الان وقد صارت دماً عبيطاً تفور. قال: وأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام، فجاءت الركبان بخبره، و أنه قتل في ذلك اليوم" الأمالي: ٣١٥.

- المجلسي: "عن عائشة قالت: دخل الحسين على النبي وهو غلام يدرج فقال: أي عائشة ألا أعجبك لقد دخل عليّ آنفاً ملك ما دخل عليّ قط فقال: إن ابنك هذا مقتول، وإن شئت أريتك من تربته التي يقتل بها فتناول تر اباً أحمر فأخذته أم سلمة فخزنته في قارورة فأخرجته يوم قتل وهو دم" بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٤٧.

- الطبر اني: "عن أم سلمة قالت كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك فأومأ بيده إلى الحسين فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمه إلى صدره ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة عندك هذه التربة فشمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ويح كرب وبلاء قالت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن مشهورقد قتل قال فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول إن يوماً تحولين دماً ليوم عظيم" المعجم الكبير: ٣ / ١٠٨.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

لماذا اصطحب الحسين(ع) أسرته معه؟

خرج الحسين عليه السلام من المدينة برحله وعياله سالكاً الطريق الأعظم "الرئيس" الرابط بين المدينة ومكة، ولم يموّه بسلوك درب فرعي كما فعل ابن الزبير عند خروجه منها، حتى إنّ بعض أهل بيته سألوه أن يتنكّب الطريق مخافة أن يلحق به الظلمة، فقال لهم: "لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ" [١].

أسرة الحسين أو عائلته: أقصد بهم عموم من خرج معه من النساء والأطفال؛ سواء أخواته أو بناته أو زوجاته وأطفالهن، أو نساء وأطفال إخوته وبني عمومته من الرجال الذين عرفنا أسماءهم في البحث السابق. وبالرغم من أنه لا توجد إحصائية دقيقة للعدد، لكن إنصافاً لنساء الركب الحسيني سأذكر بعض من ورد اسمها في الروايات:

أخوات الحسين: زينب بنت علي، أم كلثوم بنت علي، فاطمة بنت علي (زوجة عبد الله بن عقيل)، خديجة بنت علي (زوجة عبد الرحمن بن عقيل)، رقية بنت علي (زوجة مسلم بن عقيل)، وبنات الحسين: سكينة ورقية، وزوجته: الرباب بنت امرئ القيس (أم سكينة وعبد الله الرضيع)، وأم عبد الله أو عبيد الله بن الحسن السبط، وفاطمة بنت الحسن (زوجة علي بن الحسين)، وحميدة بنت مسلم بن عقيل. وأكيد أنّ هناك نساء وأطفال غير من ذكرت كانوا ضمن ركب الحسين عليه السلام.

ومهما يكن الحال، فإنّ الأمر المسلّم والثابت قطعاً هو اصطحاب الحسين لعائلته (النساء والأطفال) في مسيره إلى العراق، والسؤال: لماذا اصطحبهم معه وهو يعلم أنه مقتول لا محال: "ما أراني إلا مقتولاً" [٢]؟

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٥. وفي بعض الروايات أنّ مسلم بن عقيل هو من سأله، فقال له الحسين عليه السلام: "لا والله يا ابن عمي، لا فارقت هذا الطريق أبداً أو أنظر إلى أبيات مكة أو يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى" انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٢٢.

٢- انظر: كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٧، والروايات في علم الحسين عليه السلام بمقتله كثيرة، وقد استعرضت فيما تقدم ما فيه الكفاية، وهذه إحداها.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

خصوصاً في المجتمع الشرقي - تتفاعل مع المتحدث إذا كان امرأة أكثر من الرجل وإن كانت امرأة عادية فما بالك إذا كانت هي زينب بنت علي وفاطمة، وقد سبقتها أمها فاطمة عليها السلام لأداء مثل هذا الدور لنصرة أمير المؤمنين والمطالبة بحقه الشرعي المغتصب.

ثورة الكلمة وتفعيل الجانب الإعلامي لنصرة الحق وفضح الباطل وبيان عظم الجريمة التي ارتكبت بحق الحسين، هو عنوان الفصل الثاني من ثورة الحسين، إذ كان مقدّر لقتل الحسين وإراقة دمه الطاهر أن يكون سبباً لإحياء دين الله وتنبيه الناس إلى عمق الانحراف الذي أوقعوا أنفسهم فيه بخضوعهم للباطل، والأمة كانت بحاجة إلى صعقة تنبهها من غفلتها وتبعث في رجالها ونسائها روح المقاومة والنهوض ونفض غبار الذل والخوف، وهذا يتطلب دوراً إعلامياً جبّاراً لا يخشى القائم به جبروت السلطة، وبهذا تؤتي ثورة الحسين ثمارها المرجوة والمقدر لها إلهياً، وقد أدّت زينب عليها السلام هذه المهمة بجدارة فائقة.

٢- الحسين يعرف حال الأمة جيداً ويعرف بأنه بالنهاية مخذول من عموم الناس بما فيهم أتباعه ومحبيه (عدا الثلة التي اختارت اللحوق به) وأنّ وعد الله متحقق لا محال، وقدر كربلاء الحسين وفق المخطط الإلهي أن تكون مشعل هدى ونور للأجيال كلها أبد الدهور وليس لأهل زمانه أو القريب عهداً به فقط؛ الأمر الذي يقتضي وجود "جهة" على درجة عالية من الأمانة تتحمل المسؤولية الكاملة وتوضح عطاء الثورة الحقيقي وتبيّنه للناس وفي نفس الوقت تبيّن إجرام وباطل من سفك دم الحسين الطاهر حتى لا يذهب سدى! بدون ذلك ستعمد السلطة - كعادة كل الطغاة - إلى التعتيم على الجريمة وتحريف الحقائق وتضليل الناس وتمرير الحادثة ولا كأنّ شيئاً قد حصل؛ لا سيما وأنّ حال الأمة يسعف السلطة كثيراً في بلوغ هذه النتيجة، ولك أن تتصور الحال لو أنّ الحسين خرج برجاله فقط إلى أرض الطف وتم القضاء عليه مع رجاله في عملية إبادة جماعية خلال وقت قصير ثم أخفت السلطة معالم الجريمة والناس لاهين بين بائعٍ وشارٍ في الأسواق، ووعاظ السلاطين يهتفون في جوامعهم ونواديهم ليل نهار بحفظ خليفة المسلمين وأميرهم المخمور في مجالس الرقص والطرب حتى الصباح، وأما من يدعي اتباع الحسين ومحبته فهو في أحسن الأحوال تدمع عينه لذكره عندما تعرض له حاجة ويرجو قضاءها، أو ربما يقيم على روحه مأدبة لما يسمع بخبر مقتله لاحقاً، وينتهي كل شيء؟!!

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

٣- حتى تنجح خطة الحسين وتؤدي زينب العقيلة ما أنيط بها من دور، كان اصطحاب بقية العيال في الركب الإلهي مهماً أيضاً لضمان سلامة زينب نفسها و إتمام ما اصطفيت لأجله؛ إذ لو كانت وحدها مع الحسين بالطف لما تورّع الأمويون عن قتلها مع أخيها بلا تردد، ولكن أن تكون محاطة بهذا الركب المقدس بما فيه من نساء وأطفال هو أقصى خيار متاح ومتوفر بيد الحسين المظلوم المخذول لإنجاح خطته بالحفاظ عليها ومن ثمَّ الحفاظ على حياة الامام زين العابدين وأداء بقية المهام المناطة بها، وصولاً إلى ضمان بقاء دين الله واستمرار مبدأ حاكمية الله؛ أسّ الدين الإلهي وركنه الركين، ولهذا ربط الحسين عليه السلام خروج النساء معه بمشيئة الله، والله سبحانه بالغ أمره لا محال.

توضيح بخصوص الحفاظ على حياة وصي الحسين (ع):

من طالع روايات التمهيد بداية البحث يعرف أنّ الحسين كان استثنائياً بكل شيء تقريباً، حتى في ولادته، فالناس عادة لما يلد لها مولود تفرح وتُسر بمقدمه وتستعد لاستقبال التهاني من المحبّين، إلا الحسين، فمنذ ساعة ولادته ودموع الرسول وعلي وفاطمة لا تكاد تفارقهم حزناً على ما سيجري عليه، بل حتى قبل مولده، فقد مر بنا حديث هبوط جبرئيل على الرسول يبشّره بولادة ولد لفاطمة تقتله أمته، وبمجرد أن علم الرسول وفاطمة أنّ ولدهم القتيل له علاقة بدين الله ودوام حاكمية الله "جاعل الوصية في عقبه" قبلا وسلّما لمراد الله [١].

"جاعل الوصية في عقبه": يعني أنّ الإمامة والوصاية الإلهية تكون في ولد الحسين، وهو يعلم أنه مقتول في كربلاء لا محال، ويعرف أنّ الوصي من بعده ولده علي، وهذا الولد مطلوب من الحسين الحفاظ عليه بكل ما أوتي من قوة؛ لأن أمره لله وليس للحسين [٢] طالما أنه حامل أمر الإمامة والوصاية الإلهية، وقتله - لا قدّر الله - يعني خلو الأرض من حجة إلهي بعد الحسين، وهذا الفرض يُبطل دين الله من الأساس ويجعل الله تعالى (وحاشاه) محجوجاً بخلقه وبإمكانهم الاعتذار لضلالهم و انحرافهم يوم القيامة بعدم

١- انظر تمام الرواية في التمهيد، موضوع: الحسين الثائر المصمم على ملاقاة الوعد.

٢- قال الإمام الصادق عليه السلام: "أترون الموصي منا يوصي إلى من يريد؟! لا والله ولكن عهد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله لرجل فرجل حتى ينتهي الامر إلى صاحبه" الكافي، الكليني: ١ / ٢٧٨.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

روى ابن الجوزي ما جرى على الحسين بعد قتله: (... وجاء سنان حتى وقف على فسطاط عمر بن سعد، ثم نادى:

أوقر ركابي فضّة وذهبـــا فقد قتلت السيد المحجّبا
قتلت خير الناس أمّا و أبا وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فقال له عمر: يا مجنون، تتكلم بهذا الكلام؟ ثم قال عمر: من يوطئ فرسه الحسين؟ فانتدب أقوام بخيولهم حتى رضّوا ظهره، وأمر بقتل علي بن الحسين، فوقعت عليه زينب وقالت: والله لا يقتل حتى أقتل. فرقّ لها وكفَّ عنه) [١].

ما تقدم يكشف بوضوح وجلاء أنّ كل أغراض ومقاصد الحسين في جميع أفعاله وتصرفاته هدفها نصرة دين الله و إنفاذ مراده وإعلاء ذكره وحاكميته بأي ثمن كان، هذا هو المهم بنظره ولا يهمه بعد هذا أن يقدّم نفسه وأهل بيته للقتل أو يعرّض عياله للسبي طالما أنه السبيل لإنجاز و إنفاذ المراد الإلهي في حفظ دينه و إتمام حجته وتبليغ رسالته.

أعتقد أنّ هذا كافٍ لرد بعض الشبهات، التي تضيف ظلماً إلى سجل الظلم والخذلان الذي عانى منه الحسين حيّاً وقتيلاً، التي يزعم أصحابها أنّ اصطحاب الحسين لأسرته وعياله ما كان يصح منه؛ لأنه تعريض لهم للقتل أو انتحاربهم وما يكان ينبغي له الإقدام على ذلك! و أكيد أنّ أهل الدنيا ومن لا يفقه غير البطن والفرج فيها لا عتب عليه لما يفكر بهذه الطريقة؛ إذ لا شيء في خانة إدراكه اسمه العطاء لله وفداء دين الله و إنفاذ مراد الله ولو من خلال الجود بالنفس والأهل والعيال؛ قتلاً وسبياً، فضلاً عن أن يدرك ويستوعب: أنّ الحسين - وهو في ذروة العطاء لله بكل ما يملك من نفس وأهل وعيال وصحب - يعتبر نفسه غير موفٍ لحق الله وأنّ الله سبحانه متفضل عليه أن اصطفاه لمهمة إنقاذ دينه ورسالته وما قدّمه في هذا السبيل شيء قليل بنظره!

ويضيف المجيبون على هذه الشبهة وأمثالها ظلماً آخر للحسين بقولهم إنه إنما أخرجهم معه لظنّه بالسلامة بعد ورود المؤشرات بنصرته من قبل آلاف الناس، وليس

١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٥ / ٣٤١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

- الشهادة: الأصل في معناها الإخبار عن الحقيقة بالقول أو الفعل، ومنه سمي المقتول في سبيل الله شهيد؛ لأنه شهد بدمه لإعلاء كلمة الله. وكل من له موقف يشهد فيه يوم القيامة على أمة أو جماعة فهو من الشهداء كالأئمة والأنبياء والمرسلين والزهراء وزينب ومريم وغيرهم، وكلٌّ بحسبه.
- الفتح: إزالة المانع عند الولوج في الشيء أو النظر إليه أو فيه سواء من خلال رؤيته بالعين (البصر) أو انكشافه للقلب (البصيرة).

٢- ماذا أراد الحسين بكلمته؟

- "لحق بي": أي سار على نهج ومبدأ الحسين، ولأن لكل زمان حسين (وصي من ذرية الحسين يمثلّه ويقوم مقامه)، فمن لحق بحسين زمانه لحق بالحسين عليه السلام ومن تخلّف عنه تخلّف عن الحسين عليه السلام.
- "استشهد": أي قتل في سبيل الله؛ سواء بقتل البدن أو قتل الشخصية (التسقيط الذي يتعرّض له من يقف مع الحق)، وهو أعظم من قتل البدن.
- "الفتح": معرفة الحقائق في العوالم العلوية وأعلاها الفتح المبين ومعرفة الله؛ كلٌّ بحسبه.

٣- النتيجة:

- من لم يلحق الحسين وينهج نهجه ويتبع حسين زمانه لا يستشهد، أي: لا يقتل في سبيل الله ولا يكون شاهداً بالحق، و أيضاً: لا يدرك الفتح أي: لا يعرف الفتح ولا يحصّل شيئاً من معرفة الحقائق العلوية.
- ومن لحق الحسين استشهد قطعاً؛ سواء بقتل بدنه أو قتل شخصيته، وبالتالي سيشهد لله إما بدمه أو بموقفه. و أيضاً: أدرك شيئاً من الفتح و انكشاف الحقائق العلوية بحسب مقامه ولزومه للحسين.
- الحسين باقٍ ما بقيت السماوات والأرض؛ لأنه حق وكلمة ومبدأ، فكل من خالف الحق الذي دعا له الحسين ولم يبنِ أفكاره وموا قفه على مبدأ الحسين فقد خذل الحسين وإن أظهر البكاء على الحسين أو ادّعى محبته، فقد قاتل الحسين

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

ارتقاء وفتح، ومن لم يهتم للالتحاق بالحسين فلن يصل ولن يرتقي ولن يدرك الفتح وإن سعى بكل جهده، بل لن يزيده السعي إلا بعداً. والحسين مستمر بمن يخلفونه وهم حرّاس ثورته والعارفون بحدودها، ومن يدعي أنه قيّم على ثورة الحسين أو قائم بها أو ممثل لها من غيرهم فهو مجرد قاطع طريق الله ولو مات بسيف ظالم طاغٍ ملعون) انتهى [١].

وهذا يعني أنّ اللحوق بالحسين عليه السلام متاح لكل أحد في كل زمان من خلال الإيمان بإمام زمانه (حسين زمانه) ونصرته ومسايرته، وبالتالي ينال ثمرة ونتيجة تلك المسايرة وهي: الشهادة والفتح الذي يناسب دقة مسايرته.

الحسين(ع) في مكة وشهادة مسلم في الكوفة:

الزمان: (٣ شعبان – ٨ ذي الحجة سنة ٦٠ هـ)

خرج الحسين عليه السلام من المدينة آخر شهر رجب بأهل بيته وعياله، ووصل مكة يوم الجمعة في الثالث من شعبان سنة ٦٠ هـ، فدخلها وهو يقرأ قوله تعالى: "وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ" القصص:٢٢. وقيل: إنه لما قدم مكة قال: "اللهم خّر لي وأهدني سواء السبيل" [٢]، ونزل في شعب علي [٣]. وفور وصوله أقبل المسلمون في مكة عليه يزورونه ويقصدون مجلسه ويسألونه [٤]، وبالتأكيد فإنّ الحفاوة التي حظي بها الإمام الحسين عليه السلام لم تكن برغبة من السلطة الأموية الحاكمة في مكة وعموم الحجاز آنذاك.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٢٦.

٣- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٩. وصرح بعض المؤرخين أنه نزل في دار العباس، انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي: ٥ / ٧، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ١٨٢.

٤- ذكر استقبال أهل مكة للحسين عليه السلام والحفاوة به كثير من المؤرخين، منهم: المفيد في: الإرشاد: ٢ / ٣٦، و ابن أعثم في: الفتوح: ٥ / ٢٦، و ابن كثير في: البداية والنهاية: ٨ / ١٥٣، لكن يبعد أن تكون الحفاوة حصلت من قبل عموم المكيين؛ للسبب الآتي ذكره بعد قليل.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

لم يكن يخطر في باله أن يتخذ مكة مقرّاً دائمياً له، و إنما أرادها محطة مؤقتة قبل إكمال مسيره إلى العراق، و أكيد أنّ هناك أسباباً دعته لذلك، منها:

١- إنّ مكة حرم آمن ولها مكانة وقدسية خاصة في نفوس جميع المسلمين مهما كان توجههم والتزامهم الديني، وبعد صدور القرار الأموي بقتل الحسين عليه السلام واضطراره لمغادرة المدينة ليس هناك مأوى آمن - نوعاً ما - ومناسب لظرفه يأويه مؤقتاً ومنه ينطلق لإتمام ثورته ورسالته أفضل من مكة.

٢- انطلاق الحسين عليه السلام بثورته على يزيد التي بدأت أولى خطواتها برفض البيعة تتطلب - بطبيعة الحال - نصرة وتأييد ليتمكن من مواصلة ثورته، وهذا يحتاج إلى تبليغ وعمل إعلامي كبير لاطلاع الناس وشرح أسباب الثورة وأهدافها لهم، ولا شك أنّ مكة هي أفضل مكان لإنجاح هذه المهمة بأفضل حدود ممكنة في ذلك الوقت؛ باعتبار أنّ الناس يقصدونها من مختلف الآفاق للحج والاعتمار، وبالتالي فما يحصل فيها يجري تناقله وتداوله في مختلف أمصار المسلمين.

٣- الحسين عليه السلام يعرف بالنتيجة أنّ الأمويين سوف لن يبقوا ساكتين عليه، وأنّ قرار القتل الصادر بحقه في المدينة سيتكرر معه في مكة أيضاً؛ لأنهم قوم لا يعيرون لتعاليم الإسلام أدنى حرمة، لكن لن يكون ذلك قبل حلول موسم حج عام ٦٠ هـ؛ باعتبار أنّ السلطة الأموية كانت تعمد سنوياً إلى تنصيب أمير خاص يمثلها في موسم الحج، أموي بطبيعة الحال سواء نسباً أو نهجاً أو الإثنين معاً، وبالتالي ففي ظل زحمة الحجيج ووجود الأمير وقواته يكون بالإمكان القضاء على الحسين وإزهاق دمه، ومثل هذا القرار صدر بالفعل كما سيتضح. ما أريد قوله الآن: إنّ الحسين الذي وصل مكة مطلع شعبان يعلم بخطة الأمويين هذه وأنّ الوقت المتاح أمامه هو أربعة أشهر (شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة)، وهي أكبر فترة زمنية متاحة أمامه - ما كانت لتتوفر له في أي مدينة أخرى - لإسماع أكبر قدر ممكن من الناس بمشروعه الإلهي ليلتحقوا به ويفوزوا أو يقطع عذر المتخلّفين أمام الله ولا يترك لهم حجة كحد أدنى.

وهذا ما تحقق فعلاً بفضل حكمة الحسين؛ إذ تمكّن من إبلاغ عدد كبير من الناس سواء في مكة أو خارجها حتى ذاع صيت ثورته وتداولت أمصار المسلمين خبره بكثرة. و أيضاً:

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

هؤلاء الزعماء لم تكن ميولهم واحدة ولا متسقة باتجاه واحد، وهذا يؤكد إرادة إقامة الحجة على الجميع.

كتب أهل العراق إلى الحسين(ع):

أما بالنسبة إلى البصرة: فقد كتب الحسين عليه السلام أيام تواجده في مكة إلى جماعة من أشراف أهلها ووجوهها كتاباً واحداً، أرسله بيد مولاه سليمان (أبا رزين)، يدعوهم فيه إلى نصرته، منهم: مسعود النهشلي والمنذر بن الجارود العبدي وقيس بن الهيثم والأحنف بن قيس ومالك بن مسمع البكري وغيرهم، جاء فيه: "أما بعد ... وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب و أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإنّ السنة قد أميتت وإنّ البدعة قد أحييت وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله" [١].

فجمع ابن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد وخطب فيهم، وبعد أن ذكر لهم موت معاوية واستخلاف يزيد المعروف بالفجور وشرب الخمور المنصّب بغير رضا المسلمين، أخبرهم بكتاب الحسين وحثهم على نصرته مذكّراً إياهم بحسبه وشرفه وفضله وعلمه وقرابته وكرام خصاله. فأجابوه إلى طلبه، فكتب إلى الحسين عليه السلام: (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد وصل إليّ كتابك وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له، من الاخذ بحظي من طاعتك والفوزبنصيبي من نصرتك، وإن الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير أو دليل على سبيل نجاة، و أنتم حجة الله عليه خلقه ووديعته في أرضه، تفرعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها، و أنتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذللت لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشد تتابعا في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها [وكضها]، وقد ذللت لك رقاب بني سعد وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حين استهل برقها فلمع).

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٥ – ٢٦٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد البجلي، وحبيب بن مظاهر وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد:

فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعدا له كما بعدت ثمود، إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الامارة، لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه، حتى نلحقه بالشام إن شاء الله) [١].

و أيضاً: بعث شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن حجاج الزبيدي ومحمد بن عمرو التيمي كتاباً للحسين جاء فيه: (أما بعد: فقد اخضر الجناب، و أينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فإذا شئت فأقبل على جند لك مجندة والسلام عليك وعلى أبيك من قبلك ورحمة الله وبركاته) [٢].

ولم يلبثوا كثيراً، أرسلوا له هانئ بن هانئ وسعيد بن عبد الله الحنفي بكتاب جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم إلى الحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين. أما بعد فحيهلا فإنّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثم العجل العجل، والسلام) [٣]. وهكذا استمرت الكتب والرسائل بالتوارد على الحسين عليه السلام، حتى بلغت العشرات وأكثر وبعضها صحف موقعة من الرجل والاثنين والأربعة، حملها قيس بن مسهر الصيداوي وجماعة آخرين.

وقد بدأت كتب أهل الكوفة بالتوارد على الإمام الحسين في العشر الأُول من شهر رمضان سنة ٦٠ هـ، وزاد عدد الكتب والرسائل بمرور الأيام، لكن الحسين عليه السلام لم يتعجّل بالرد على كتبهم أو يجيب طلبهم ويذهب لهم مباشرة، بل فضّل التريث والتأني ربما

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦١ – ٢٦٢.

٢- نفس المصدر: ٤ / ٢٦٢.

٣- نفس المصدر.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

انفتل من صلاته وسأل ربه الخير فيما كتب إليه أهل الكوفة، ثم جمع الرسل فقال لهم: إني رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي وقد أمرني بأمر و أنا ماض لأمره، فعزم الله لي بالخير، إنه ولي ذلك والقادر على إن شاء الله تعالى" [١].

إرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة:

بعد أن قام الحسين عليه السلام بقراءة كتب أهل الكوفة واستعلام حال أهلها قرّر إرسال ابن عمّه وثقته مسلم بن عقيل، فدعاه وأوصاه بتقوى الله وكتمان أمره [٢] واللطف وأن يكتب إليه إذا رأى اجتماع الناس عليه وكان حالهم كما بلغه في كتبهم، فتوجّه مسلم إلى الكوفة برفقة قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبد الله السلولي وعبد الله وعبد الرحمن ابني شداد الأرحبي [٣]، كان ذلك في منتصف شهر رمضان سنة ٦٠ هـ.

وروي أنّ الحسين عليه السلام قال له: "إني موجّهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، و أنا أرجو أن أكون أنا و أنت في درجة الشهداء، فامضِ على بركة الله حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها وادع الناس إلى طاعتي وأخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي فعجّل لي بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى" [٤].

واضح من الرواية أنّ الإمام الحسين أشعر رسوله مسلم بن عقيل بعاقبة أمره التي تلتقي بالتأكيد مع عاقبة ومآل الحسين نفسه [٥]، وهو جزء من الإعداد الذي مارسه

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٣٠.

٢- لعل المقصود بالكتمان هنا هو كتمان بعض الأمور المهمة والحساسة في عمله ومكان إقامته ونحو ذلك، وليس كتمان أمره بالمطلق؛ لأنه غير ممكن بعد أن كان مبعوثاً لأخذ البيعة من عموم الموالين في الكوفة وهو أمر لا يمكن إخفاؤه أو كتمانه حتماً.

٣- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٩.

٤- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٣١.

٥- أخبر الرسول صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بما يجري على مسلم: روى الصدوق: "قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلاً؟ قال: إي والله إني لأحبه حبّين: حباً له، وحباً لحب

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

في جواب كتابه: "أما بعد، فقد خشيت ألا يكون حملك على الكتاب إليّ في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك له والسلام" [١].

أقول: هذا الأمر - بالصورة التي ينقلها بعض المؤرخين - غير صحيح؛ وينقضه كلام الحسين عليه السلام في وصف مسلم بن عقيل في كتابه لأهل الكوفة، وكذلك ينقضه سيرة مسلم وشجاعته المعهودة [٢]، وكذلك: علمه بمصيره الذي أبلغه به الحسين قبل مسيره إلى الكوفة - كما رأينا - بدون أن ينطق مسلم بكلمة كتعقيب على ما أخبره به الحسين عليه السلام، فالقصة مختلقة أو محرّفة بكل تأكيد؛ لأجل الطعن برجالات الثورة الحسينية المباركة.

وقد سألت السيد أحمد الحسن عن مسألة التطيّر التي ينسبها بعض المؤرخين إلى مسلم بن عقيل وطلبه من الحسين عليه السلام أن يعفيه من المهمة ثم كتاب الحسين (المتقدم) لمسلم الذي ذكر فيه "الجبن"؟

فقال: "التطيّر بمعنى أنّ هناك أمراً سيئاً يحدث يستدل عليه الناس من حركة الطائر وما شابه، ثم تأثير هذا على عمل الإنسان بمعنى أنه يترك العمل أو ما شابه. أما التوسّم في الأحداث ورؤية ما سيحدث من خلال آيات وعلامات فليس تطيّراً، فعلي عليه السلام رأى في صياح الأوز بوجهه علامة على قرب شهادته، ورأى أنّ انحلال مئزره بعد أن شدّه علامة على قرب شهادته. هناك أمور كثيرة ممكن أن يقرأ منها أولياء الله ما سيحدث، فهي علامات من الله وكلام الله معهم بالموجودات.

أما مسألة مسلم بن عقيل بالخصوص: فلا إشكال أن يسأل الحسين عليه السلام بعد أن رأى ما حدث على أنه علامة على ما سيحصل مستقبلاً. أما أنه طلب أن يعفيه الحسين من مهمة الإرسال إلى الكوفة فلا. أما الكتاب المنسوب إلى الحسين "فقد خشيت

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٣ – ٢٦٤؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٤٠.

٢- يقول الدينوري: (وخرج ولد عقيل مع الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فقتل منهم تسعة نفر. وكان مسلم بن عقيل أشجعهم. وكان على مقدّمة الحسين فقتله عبيد الله بن زياد صبراً) المعارف: ٢٠٤. وذكر ابن أعثم الكوفي أنّ ابن زياد أرسل إلى مسلم ثلاثمائة رجل بقيادة محمد بن الأشعث فسمع مسلم حو افر الخيل فتبسّم وقال: "يا نفس أخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا عنه محيد" الفتوح: ٥ / ٥٣.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وشيطنته، وبخصوص الحسين فقد كان معاوية لا يفضّل اللجوء إلى المواجهة العلنية معه بعكس السياسة المتهورة التي انتهجها ولده يزيد وعامله ابن زياد.

بالتأكيد عدم شدة النعمان لم ترُق لبعض شيعة الأمويين في الكوفة، فاعتبروه ضعفاً من الوالي ولیناً لا ينسجم مع المتغير الخطير الذي يحصل في الكوفة، فكتبوا بأجمعهم إلى يزيد يخبروه بقدوم مسلم بن عقيل وأخذه البيعة من الناس للحسين وينذروه بزوال الكوفة عن ملكه وأنّ الوالي فيه ضعف أو تضاعف [١]!

ولما بلغ يزيد الخبر استشار سرجون الرومي (مستشار معاوية ومستودع أسراره) فأشار عليه بتعيين عبيد الله بن زياد والياً على الكوفة [٢] والسير إليها فوراً من البصرة (التي كان ابن زياد والياً عليها منذ أيام معاوية)، فقبل يزيد مشورة سرجون على مضض [٣] ودعا مسلم بن عمرو الباهلي [٤] وأرسل بيده قرار تعيين عبيد الله بن زياد وكتاباً جاء فيه: (أما بعد: فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة ويخبرونني أنّ ابن عقيل فيها يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين، فسرحين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة، فتطلب ابن عقيل طلب

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٥، في رواية الطبري أن من كتب إلى يزيد هم: عبد الله بن مسلم الحضرمي (أحد الشهود على حجر بن عدي وتسبّب بمقتله) وعمارة بن عقبة (أخو الوليد بن عقبة بن أبي معيط) وعمر بن سعد بن أبي وقاص. أما البلاذري فقد ذكر في روايته: عمر بن سعد ومحمد بن الأشعث الكندي، انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٢ / ٧٧ – ٧٨.

٢- زعم سرجون أنّ هذا كان رأي معاوية قبل موته، إذ قال ليزيد: "أرأيت معاوية لو نشر لك حياً أما كنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم. قال: فأخرج سرجون عهد عبيد الله بن زياد على الكوفة وقال: هذا رأي معاوية، مات وقد أمر بهذا الكتاب" تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٥؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٤٢. وهذا - إن صح من سرجون - يعني أنّ معاوية كان يتوقع حصول التمرد الكوفي واستبق بوضع المعالجات والحلول له.

٣- إذ كان يزيد ناقماً على ابن زياد بسبب موقف أبيه زياد الرافض لإمارة يزيد وتعيينه ولياً للعهد في أيام معاوية كما تقدم، ولقد همّ يزيد بعزله عن البصرة لولا أحداث ثورة الحسين، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٥٢.

٤- أحد وجهاء قبيلة باهلة في البصرة، وكان مع زياد بن أبيه أيام ولايته عليها لمعاوية، معروف بولائه للأمويين وبغضه لعلي و أبنائه عليهم السلام، أحد عيون الأمويين بالكوفة وهو الذي امتنع أن يسقي مسلم بن عقيل شربة من الماء لما أتي به أسيراً إلى ابن زياد.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

خذلان في البصرة والكوفة:

أما البصرة: استلم ابن زياد كتاب تعيينه والياً على الكوفة إضافة إلى البصرة، وقبل أن يسير إلى الكوفة علم بتحرّك الإمام الحسين من المدينة إلى مكة كما علم بوجود مراسلات بينه وبين بعض وجوه أهل العراق في البصرة والكوفة، فعمد إلى وضع الحرس والعيون على الطرق داخل المدينة وخارجها، وكان أتباع آل محمد وشيعتهم يجتمعون في بعض البيوت في البصرة لتدارس مسألة نصرة الحسين عليه السلام والالتحاق به، لكن الخوف من بطش عبيد الله بن زياد حال بينهم وبين نصرة الإمام، ولم يلتحق به منهم سوى نفر قليل جداً [١]، والمؤسف أنّ يزيد بن مسعود النهشلي - الذي كتب إلى الإمام الحسين بالنصرة ومعه جمع كبير من المحبين والأتباع كما رأينا سابقاً - تأخّر هو ومن معه في الخروج للحسين عليه السلام أيضاً؛ إذ بلغه خبر مقتله أثناء تجهّزه وقبل المسير إليه!

والسؤال المهم هنا: ما هو سبب تأخر ابن مسعود كل هذه الفترة عن الالتحاق بركب الحسين مع أنّ الفاصل الزمني بين مكاتبة الحسين له وبين شهادته تبلغ ثلاثة شهور تقريباً، وهي فترة أكثر من كافية للوصول إلى كربلاء أو حتى ملاقاة الحسين في أحد منازل الطريق (مكة - كربلاء) الذي سلكه قبل بلوغه كربلاء؟ وسؤال آخر مهم أيضاً: أين اختفت جموع المحبّين المؤيدين لابن مسعود الذين قرأنا تأييدهم وولائهم الواضح في الكتاب المرسل إلى الحسين عليه السلام؟!

ربما معرفة ما فعله المنذر بن الجارود يكفي في إجابة هذه الأسئلة، فإنه سلّم كتاب الإمام الحسين ورسوله (أبا رزين) إلى عبيد الله بن زياد [٢]، فصار فعله سبباً في قتله؛ إذ أمر ابن زياد اللعين بصلبه أو ضرب عنقه، ثم اعتلى منبر البصرة فهدّد وتوعد أهلها وحذّرهم من أي فعل أو حركة تصبّ في صالح نصرة الحسين، ومما قال لهم: (يا أهل

١- سيأتي ذكر أسماء من التحق به في البحوث اللاحقة.

٢- أوضح المؤرخون أكثر من سبب لتصرّف المنذر بن الجارود؛ منها: إنّه زعم بأنّ فعله كان بسبب ظنّه أنّ الأمر دسيسة من ابن زياد لاختبار ولائه وميوله، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٦، الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٣٧. ومنها: إنّ ابنته (بحرية أو هند) كانت زوجة لابن زياد، وبالتالي فما فعله جزء من تملّقه للحاكم، انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٣١، وقد يكون الأمر خيانة أصلاً، لذلك وجدنا أنّ ابن زياد كافئه وولّاه السند سنة ٦١ هـ ومات فيها، انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥ / ٥٦١؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٦٠ / ٢٨٥.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

لهم أنه ابن زياد بعد أن دخل موكبه قصر الإمارة وغُلق باب القصر بوجوههم، فانفضوا وقد علموا أنه والي الكوفة الجديد [١].

جمع ابن زياد الناس في صبيحة يومه الأول بالكوفة، و أبلغ الجموع المحتشدة أنّ يزيد نصّبه والياً عليهم ومنّى المطيعين والراضين به وبسياسة دولته بالأماني العريضة، كما توعّد المعارضين والمخالفين بالقتل، إذ ختم كلامه معهم بقوله: (سوطي وسيفي على من ترك أمري وخالف عهدي، فليتق امرؤ على نفسه، الصدق ينبي عنك لا الوعيد) [٢]. هذا، (والناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقولون: ما لنا وامتناع السلطان، فنقضوا بيعة الحسين وبايعوا ابن زياد) [٣].

ولأن طابع المجتمع الكوفي عموماً قبلي، تحتل العر افة فيه قيمة كبيرة؛ باعتبار أنّ العريف هو القيّم على أمر القبيلة والر ابط بينها وبين الوالي، و أيضاً: من خلاله يتم وصول العطاء الذي تخصصه السلطة للناس. لذلك كان الاجراء الأول الذي اتخذه ابن زياد في الكوفة هو تهديد عرفاء القبائل، إذ قال: (اكتبوا إليّ العرفاء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين - يعني يزيد -، ومن فيكم من أهل الحرورية، وأهل الريب الذين شأنهم الخلاف والنفاق والشقاق، فمن يجئ لنا بهم فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا من في عر افته أن لا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلال لنا دمه وماله، و أيما عريف وجد في عر افته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألغيت تلك العر افة من العطاء) [٤].

وقد أثبت هذا الإجراء فعّاليته، وكان من أهم أسباب القضاء على ثورة مسلم بن عقيل في الكوفة هو قيام العرفاء بتخذيل الناس عنه، وكذلك كان لهم دور في تحشيد

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٦.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٦.

٣- ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ٥٦.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٧.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

سماعه بالإجراءات المتخذة من قبل ابن زياد، فتحوّل إلى دار هانئ بن عروة ليلاً، وصارت بعض وجوه الشيعة تختلف إليه بالسر لمعرفة الأمور ومستجدات الأحداث.

وكان شريك بن الأعور الهمداني (الذي جاء به ابن زياد من البصرة) نزل في بيت هانئ بن عروة أيضاً؛ وكان يحث هانئ على القيام بأمر مسلم [١]، وجلس في نفس الحجرة التي كان مسلم فيها، فقال له شريك: (إنّ هذا الفاجر عائدي العشية فإذا جلس فاقتله ثم اقعد في القصر وليس أحد يحول بينك وبينه فإن أنا برأت من وجعي من أيامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها فلما كان العشي اقبل ابن زياد لعيادة شريك بن الأعور فقال لمسلم: لا يفوتنك الرجل إذا جلس فقام إليه هانئ فقال: إني لا أحب أن يقتل في داري كأنه استقبح ذلك، فجاءه عبيد الله بن زياد فدخل وجلس وسأل شريكاً: ما الذي تجد ومتى اشتكيت؟ فلما طال سؤاله إياه ورأى أنّ أحداً لا يخرج خشي أن يفوته فأقبل يقول:

ما الانتظار بسلمى أن تحييها حيوا سليمى وحيوا من يحييها

كأس المنية بالتعجيل فاسقوها

لله أبوك! إسقنيها وإن كانت فيها نفسي. قال ذلك مرتين أو ثلاثة، فقال عبيد الله - وهو لا يفطن -: ما شأنه أترونه يهجر؟ فقال له هانئ: نعم - أصلحك الله - ما زال هكذا قبل غيابت الشمس إلى ساعتك هذه. ثم قام و انصرف. فخرج مسلم فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ فقال: خصلتان، اما إحداهما فكراهية هانئ ان يقتل في داره واما الأخرى فحديث حدثنيه الناس عن النبي صلى الله عليه وآله: "إن الايمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن" فقال له شريك: اما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً) [٢].

واضح أنّ هانئاً لم يكن يرغب في قتل ابن زياد في داره، وبالتأكيد فإنّ أخلاق مسلم بن عقيل لا تسمح له بتجاوز حدود أدب الضيافة، أو يكون سبباً في إدخال الحرج أو الأذى على صاحب الدار الذي يراه متفضلاً عليه. وقبل هذا كله ذلك فإنّ مسلماً لم يكن يمثّل نفسه - بالرغم من سمو شخصه وخلقه - و إنما يسعى أن يتصرف بوصفه رسولاً للحسين

١- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٣٣.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٦٥؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٢٧٠ – ٢٧١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

مقتل مسلم بن عقيل:

هذه قصة مقتل مسلم باختصار مشفوعة بتسلسل أهم الأحداث وفق رواية الطبري وابن الأثير متممة برواية الدينوري وابن أعثم والمسعودي وغيرهم أحياناً.

الكشف عن مكان مسلم:

سعى ابن زياد جاهداً للعثور على مكان مسلم بن عقيل ومعرفة من يتردد عليه وما يجري فيه من لقاءات وتعليمات، وفي محاولة منه لاختراق صف المبايعين دعا مولاه "معقل" وأعطاه مبلغاً من المال لينتحل صفة الشامي الغريب المحب لآل محمد وأنه يريد البيعة واتباع داعية الحسين ومعه مال يريد تسليمه إلى مسلم ليستعين به على أمره، وفعلاً تمكّن خلال بضعة أيام من الوصول إلى مسلم بن عوسجة لما عرف أنه من الوجوه التي بايعت الحسين وربما يتمكن بواسطته من بلوغ مراده، وبعد كثرة تردده على دار ابن عوسجة واطمئنان الأخير إليه استحصل له الإذن بالوصول إلى مسلم بن عقيل والدخول عليه وهو في بيت هانئ بن عروة، وكثر تردده على بيت هانئ، وهو في نفس الوقت يقوم بنقل كل ما يراه ويسمعه من الأخبار لمولاه ابن زياد أولاً بأول [١]، وبذلك اطلع ابن زياد على أسرار خطيرة تخص حركة مسلم، منها: موضع استقراره، ومنها: معرفة العناصر الفعّالة في حركته، وعلى رأسهم هانئ بن عروة المرادي زعيم مذحج.

إلقاء القبض على هانئ وخذلان مذحج لزعيمها:

لم يكن من السهل على ابن زياد إلقاء القبض على هانئ، لذلك قرّر دعوته إلى القصر فأرسل له جماعة من وجوه الكوفة منهم: محمد بن الأشعث زعيم كندة، وأسماء بن خارجة زعيم فزارة، وعمرو بن الحجاج (أبو زوجة هانئ) [٢]، فجاء هانئ معهم؛ لأنه وثق بهم

١- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٣٥؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٢٧٠.

٢- من يراجع الروايات التاريخية في هذا الأمر يلاحظ أنّ عمرو بن الحجاج لم يبقَ في المجلس ولم ينتظر ليشاهد ما فعله ابن زياد بهانئ، ربما لدفع الحرج عن نفسه، وأيضاً ليقود جموع مذحج التي ستفزع لإنقاذ أميرها بالتأكيد، ويتدخل بالسيطرة على ردود أفعالهم وصرفهم عن تطويق القصر بخطة وتنسيق مع ابن زياد كما يبدو.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

في قلب الجيش، فتحصن ابن زياد في القصروأغلق أبو ابه ومعه جمع من أعو انه وشرطه الذين كانوا يحاولون منع جيش مسلم من الاقتراب نحو القصر، وكان ابن زياد قد دعا بعض وجوه أهل الكوفة عنده منهم: كثيربن شهاب وشبث بن ربعي وحجاربن أبجروشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وآخرين، فطلب من بعضهم أن يشرفوا من القصر على أبناء عشائرهم ومعارفهم الذين كانوا مع مسلم ويكلّمونهم ويردونهم ويخوفونهم ففعلوا وتنادوا: "يا أهل الكوفة، اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة ولا تشقوا عصا هذه الأمة، ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم وجربتم شوكتهم"! فجعل بعضهم يقول لبعض: "ما نصنع بتعجيل الفتنة وغداً تأتينا جموع أهل الشام، ينبغي لنا أن نقيم في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم" [١].

وفعلاً، بدأ كثير من أنصار مسلم ينسحبون منه، وكان الرجل يأتي ابنه وأخاه و ابن عمه ويطلب منه أن ينصرف، وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلق به حتى يرجع معها، فصلى مسلم العشاء في المسجد وما معه إلا زهاء ثلاثين رجلاً، فلما انصرف وسار ماشياً نحوكندة لم يرَ معه أحداً، وقد فرّ الجميع عنه بما فيهم قادة جيشه [٢]! وقد طلب ابن زياد ممن كان معه أن يتأكدوا من خلو المسجد من الثوارفأشرفوا على ظلال المسجد وأشعلوا النار في القصب وألقوه في صحن المسجد فلم يروا أحداً، فتأكدوا من انهزام جيش مسلم.

١- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٨٧.

٢- ذكربعض الكتّاب، تعليقاً على رو ايات المؤرخين التي صوّرت تناقص جيش مسلم بن عقيل حتى بلغ ثلاثين رجلاً ثم عشرة وهكذا حتى لم يجد معه أحداً، أنّ قادة الألوية الأربعة في جيشه وهم: (مسلم بن عوسجة، أبو ثمامة الصائدي، عبد الله بن عزيز الكندي، عباس بن جعدة الجدلي) وأمثالهم الذين بقوا مع مسلم حتى آخر المطاف، إنما تفرّقوا عنه بطلب من مسلم نفسه ليتمكنوا من الاختفاء بعد أن يكونوا فرادى ثم يتسللوا لاحقاً ويلتحقوا بالحسين عليه السلام؛ إذ لا يعقل أنهم انسحبوا عنه أيضاً، مع أنّ الصائدي و ابن عوسجة استشهدا مع الحسين في كربلاء، والآخرين قتلهما ابن زياد بعد حبسهما. انظر: مع الركب الحسيني: ٣ / ١٤٠ – ١٤٣.

أقول: ما ذكر مجرد احتمال ليس عليه دليل، و أيضاً: كيف يطلب مسلم من الجميع الانصراف عنه ويبقى هو وحيداً لا يجد من يدله الطريق في ظلمة الليل، ولا أقل كان أبقى معه شخصاً أوشخصين من أهل الكوفة ليستعين بهم. نعم، ممكن أن يكون قد حصل معهم - أو بعضهم - حدث حال دون بقائهم مع مسلم لكن النتيجة القطعية أنّ مسلماً لم يبقَ معه أحد كما أجمع المؤرخون على ذلك.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً، ومن أتاني بمسلم بن عقيل فله عشرة آلاف درهم والمنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية وله في كل يوم حاجة مقضية) [١].

مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة:

بالنسبة لمسلم، فإنه لما فرّ عنه أنصاره، خرج من المسجد ليلاً باتجاه كندة، ولأنه غريب ولا يعرف طرق الكوفة وأزقتها جاء فوقف على باب امرأة "طوعة" فاستسقاها ماء فسقته ثم دخلت وبعد مدة خرجت فوجدته على الباب وأخبرها بحاله وشخصه فآوته وكان لديها ابن "بلال" من أتباع محمد بن الاشعث الكندي فأوشى به إلى ابن زياد، فأرسل عمرو بن حريث (صاحب شرطته) ومحمد بن الأشعث ومعهم عشرات الرجال [٢] وأحاطوا بدار طوعة التي يتواجد فيها مسلم و اقتحموها عليه، فقاتلهم مسلم وحيداً وأخرجهم من الدار واشتد القتال في الطريق فأشرفوا عليه من فوق البيوت يرمونه بالحجارة والقصب الملتهب ناراً إضافة إلى الجمع الذي كان يقاتله وجهاً لوجه، فتضاربا هو وبكير بن حمران فضربه على شفته العليا و أثخنته الجراح [٣] وأعطاه محمد بن الأشعث الكندي الأمان فتمكنوا منه، ولما آيس من نفسه دمعت عيناه وقال: "هذا أول الغدر"، فقال له أحدهم: "إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبكِ قال إني والله ما لنفسي أبكي ولا لها من القتل أرثي ولكن أبكي لأهلي المقبلين إلي أبكي لحسين وآل حسين".

وجيء بمسلم أسيراً إلى قصر الإمارة تحفّ به الشرطة، فرأى ماء فقال: "اسقوني من هذا الماء"، فقال اللئيم مسلم بن عمرو الباهلي: "أتراها ما أبردها؟ والله لا تذوق منها قطرة

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٥٢. برئت الذمة: يعني إصدار حكم إعدام بحق من عثر على مسلم في داره.

وفي رواية المفيد: (يا حصين بن نمير، ثكلتك أمك إن ضاع باب سكة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصد على أهل السكك، وأصبح غدا فأستبر الدور وجس خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل. وكان الحصين بن نمير على شرطه وهو من بني تميم) الإرشاد: ٢ / ٥٧؛ وقريب منها رواية الدينوري، انظر: الأخبار الطوال: ٢٤٠.

٢- في رواية الدينوري: (أن عبيد الله بن زياد أمر ابن حريث أن يبعث معه مائة رجل من قريش، وكره أن يبعث غير قريش خوفاً من العصبية أن تقع) الأخبار الطوال: ٢٤٠.

٣- روى ابن أعثم: (فطعن من ورائه طعنة فسقط إلى الأرض فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه، وتقدم رجل من بني سليمان يقال له عبيد الله بن العباس فأخذ عمامته) الفتوح: ٥ / ٥٤ – ٥٥.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

ولكنه اليقين، قال: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام، قال: أما إنك أحق من أحدث في الاسلام ما لم يكن فيه أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة ولا أحد من الناس أحق بها منك، و أقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً". ثم صعدوا بمسلم أعلى القصر وهو يذكر الله ويسبّحه ويقول: "اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا" [١]، وأمر ابن زياد بضرب عنقه وإلقاء جثته من أعلى القصر وأمر بهانئ فسحب إلى السوق وضربت عنقه، وبعث برأسيهما إلى يزيد، فكتب إليه يزيد: "أما بعد فإنك لم تعد أن كنت كما أحب عملت عمل الحازم ... و إنه قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجّه نحو العراق فضع المناظر والمسالح واحترس على الظن وخذ على التهمة". وكان مقتل مسلم بن عقيل في الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠ هـ [٢].

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٠٣.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٧٢ – ٢٨٦؛ الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٣٧ – ٢٤٢؛ الكامل في التاريخ: ٣ / ٢٧١.

وهذه رواية ابن طاووس: "فلما أدخل على عبيد الله لم يسلم عليه فقال له الحرس: سلم على الأمير فقال له: أسكت ويحك والله ما هو لي بأمير فقال ابن زياد: لا عليك، سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول فقال له مسلم: إن قتلتني فلقد قتل من هو شر منك من هو خير مني وبعد فإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولوم الغلبة لا أحد أولى بها منك، فقال ابن زياد: يا عاق يا شاق خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألحقت الفتنة، فقال مسلم: كذبت يا بن زياد! إنما شق عصا المسلمين معاوية و ابنه يزيد وأما الفتنة فإنما ألحقها أنت و أبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف و أنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شر بريته فقال ابن زياد: منتك نفسك أمرا حال الله دونه وجعله لأهله، فقال له مسلم: ومن يا ابن مرجانة؟ فقال أهله يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله رضينا بالله حكما بيننا وبينكم. فقال له ابن زياد: أتظن ان لك في الأمر شيئا. فقال له مسلم: والله ما هو الظن ولكنه اليقين. فقال ابن زياد: أخبرني يا مسلم بماذا أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم فشتت أمرهم بينهم وفرقت كلمتهم، فقال مسلم: ما لهذا أتيت ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف وتآمرتم على الناس بغير رضى منهم وحملتموهم على غير ما أمركم الله به وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر فأتينا هم لنأمر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر وندعو هم إلى حكم الكتاب والسنة وكنا أهل ذلك فجعل زياد يشتمه ويشتم عليا والحسن والحسين عليه السلام. فقال له مسلم: أنت و أبوك أحق بالشتيمة، فاقض ما أنت و أبوك أحق بالشتيمة، فاقض ما أنت قاض يا عدو الله فأمر ابن زياد بكير بن حمران أن يصعد به إلى أعلى القصر فيقتله فصعد به وهو يسبح الله تعالى ويستغفره ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضرب عنقه ... ثم أمر بهاني بن عروة فجعل يقول وا مذحجاه و أين مني مذحج وا عشيرتاه و أين مني عشيرتي، فقال له: مد عنقك، فقال لهم: والله ما أنا بها سخي، وما كنت لأعينك على نفسي، فضربه غلام لعبيد الله بن زياد يقال له رشيد فقتله" اللهوف في قتلى الطفوف: ٣٥ – ٣٧.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

- عمرو بن حريث المخزومي [١].
- الحصين بن تميم الحميري [٢].
- أسماء بن خارجة الفزاري [٣].
- شبث بن ربعي التميمي [٤].
- حجار بن أبجر العجلي [٥].
- عمرو بن الحجاج المذحجي الزبيدي [٦].

والملفت أنّ بعض هؤلاء كانوا محسوبين على أتباع علي عليه السلام، وبعضهم (الثلاثة الأخيرين بالذات) كانوا ممّن كاتب الحسين بالقدوم إلى الكوفة، وبالتأكيد فإنّ فيهم أيضاً رجال غير كوفيين مثل مسلم بن عمرو الباهلي؛ باعتبار أنّ الكوفة - كما ذكرنا

١- نزيل الكوفة، كان زياد بن أبيه إذا خرج إلى البصرة استخلفه عليها، مات سنة ٨٥ هـ أيام عبد الملك بن مروان، انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦ / ٢٣. قال العلامة الحلي و ابن داود عنه: "من أصحاب علي عليه السلام عدو الله ملعون" خلاصة الأقوال: ٣٧٧؛ رجال ابن داود: ٣٠٣.

٢- كوفي، ذكره نصر بن مزاحم في جملة من أصيب في صفين في أتباع علي عليه السلام، انظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٦ / ١٩٢.

٣- قال ابن نما: (وكان أسماء بن خارجة الفزاري ممن سعى في قتل مسلم بن عقيل رحمه الله، فقال المختار: أما ورب السماء ورب الضياء والظلماء، لتنزلن نار من السماء، دهماء، حمراء، سحماء، تحرق دار أسماء. فبلغ كلامه إليه، فقال: سجع أبو إسحاق، وليس هاهنا مقام بعد هذا، وخرج من داره هارباً إلى البادية، فهدم داره ودور بني عمه) ذوب النضار: ١٢٤.

٤- كوفي، كان تابعاً لعلي عليه السلام وشهد معه صفين، ثم صار من الخوارج وخرج عليه بحروراء، بايع مع جرير بن عبد الله والأشعث وعمرو بن حريث وغيرهم الضب، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: "ليبعثنكم الله يوم القيامة مع إمامكم الضب الذي بايعتم"، كان ممّن كاتب الحسين عليه السلام من أهل الكوفة ثم خرج مع ابن سعد لحربه، كان مع ابن سعد ممن أحاط بدار المختار لإخراجه وحبسه، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ١٩٦ – ١٩٨.

٥- كوفي، ممّن كاتب الحسين، ثم خرج مع ابن سعد لحربه. ثم لما قام المختار انضم إلى مصعب بن الزبير ضد المختار الثقفي، ثم في قتاله ضد عبد الملك بن مروان مقابل منحه ولاية أصفهان، انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٢٩؛ الفتوح، ابن أعثم: ٦ / ٢٣٥؛ تاريخ الطبري: ٦ / ١٥٦.

٦- كوفي، زوج أخت هانئ بن عروة، قال النمازي: "من رؤساء جند بني أمية. كان على ميمنة جند عمر بن سعد، وممّن كتب إلى مولانا الحسين عليه السلام من أهل الكوفة، أرسله ابن زياد مع محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة للإتيان بهاني بن عروة إليه، وكان في كربلاء من قبل عمر بن سعد موكلا على شريعة فرات" مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٦ / ٣١ – ٣٢.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

عليه السلام [١] الجرأة والقوة كالتفكير بالقيام بثورة - مثلاً - على والي الكوفة و انتزاعها من يد الأمويين وهم ألوف كثيرة، ولا بعد وصول مسلم بن عقيل إليهم، بل لم نلحظ منهم مساندة حقيقة له عند قيامه وخروجه على ابن زياد بعد اعتقال هانئ فقد تركوه وحيداً يلاقي مصيره كما رأينا في قصة مقتله صلوات الله عليه، مع أنّ مسألة التمهيد للحسين من خلال السيطرة على مقاليد الكوفة قبل قدومه لها ليست بالأمر الذي يصعب إدراكه، وكان في الكوفة رجال ذووا فطنة وتجربة يبعد معها أن لا يكونوا قد فكّروا بذلك، علماً أنّ هذا الأمر كان قد طرحه على الحسين بعض الرافضين لمسيره إلى العراق، مثل: ابن عباس وعمر بن عبد الرحمن المخزومي وعمرو بن لوذان والإمام لم يُخطِّئ قولهم [٢]. ولا سبب منطقي ومعقول منعهم عن الإقدام على ذلك غير الخوف والتردد والتشتت والفرقة التي كانوا عليها. وكانت تعبئتهم وإعدادهم يحتاج إلى وقت، وهي إحدى مهام مسلم بن عقيل الرئيسية بطبيعة الحال، لذلك لم يكن يرغب بمواجهة السلطة الأموية قبل إتمام مسألة الإعداد والتعبئة الصحيحة، لكنه اضطر لها بعد وصول ابن زياد إلى الكوفة.

و أيضاً: روي أنّ مسلم بن عقيل لما خرج على ابن زياد كان قد أرسل إلى قواته الموجودة في أطراف الكوفة يدعوها للمجيء على وجه السرعة؛ حتى يتمكّن - بعد وصولها له - من اقتحام القصر على ابن زياد و إنقاذ هانئ بل والإطاحة به والسيطرة على الكوفة؛ لأنه لم تكن معه قوات كبيرة داخل القصر كما عرفنا، والقوات التي استدعاها مسلم كانت عبارة عن لواءين؛ أحدهما: بقيادة المختار الثقفي، وثانيهما: بقيادة عبد الله بن الحارث، لكنهما تأخرا في الوصول إليه، إذ وصلا داخل الكوفة بعد تفرّق الناس عن مسلم

١- بل نفس عدد الكتب والرسائل التي بعث بها الكوفيون إلى الحسين عليه السلام يكشف عن حالة التشتت والتشرذم الذي كان يعيشه المجتمع الكوفي (أتباع ومحبو آل محمد)، وإلا لاكتفوا بكتاب كبيرهم أو عميدهم أو بضعة كتب قليلة كحد أقصى وليس مئات أو آلاف الكتب كما روى المؤرخون!

٢- مثل: قول ابن عباس: "فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم" تاريخ الطبري: ٣ / ٢٩٥. وقول عمر بن عبد الرحمن المخزومي: "إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، و إنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره" تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٤. أو قول عمرو بن لوذان: "إنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً" الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

لا شك أنّ موقف وجوه الكوفة وزعاماتها - المعروفين بالولاء والاتّباع - مع الإمام الحسين عليه السلام الذي يحكيه موقفهم مع رسوله إليهم (مسلم بن عقيل) كان فيه تقصيرواضح لا يستطيع أحد رفضه والتنكّر له.

سألت السيد أحمد الحسن عن صحة ما قيل عن شهادة ميثم التمار رضوان الله عليه؛ هل كانت فعلاً قبل قدوم الحسين إلى كربلاء بعشرة أيام؟ وكذلك عن موقف بقية وجوه الشيعة في الكوفة مع الإمام الحسين الذي يعكسه موقفهم مع مسلم؟

فأجاب: (استشهد ميثم التمار قبل العاشر من المحرم، ولكنه كغيره في مسألة التباطؤ في نصرة الحسين عليه السلام. يعني ممكن تسميها تباطؤ، تردد، سمّها ما تشاء.

ثورة الحسين عليه السلام لم تكن فقط يوم العاشر من المحرم، هي بدأت عندما قال "لا" لبيعة يزيد، على الأقل هذه بداية قطعية وحجّة على كل مسلم، فعدم النهوض المباشر وعدم الالتصاق المباشر وعدم اللحوق المباشر كلها تعدُّ تقصيراً بقدر ما. ولم يكن ميثم

قال صدق الله ورسوله وأمير المؤمنين والله إنه لاسمي قال فارجع إلى اسمك الذي سماك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع سالماً فرجع ميثم واكتنى بأبي سالم فقال علي ذات يوم إنك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة فإذا جاء اليوم الثالث ابتدر منخراك وفوك دماً فتخضب لحيتك وتصلب على باب عمرو بن حريث عاشر عشرة و أنت أقصرهم خشبة و أقربهم من المطهرة وامضِ حتى أريك النخلة التي تصلب على جذعها فأراه إياها وكان ميثم يأتيها فيصلي عندها ويقول بوركت من نخلة لك خلقت ولي غُذيت فلم يزل يتعاهدها حتى قطعت ثم كان يلقى عمرو بن حريث فيقول له إني مجاورك فأحسن جواري فيقول له عمرو أتريد أن تشتري دار بن مسعود أو دار بن حكيم وهو لا يعلم ما يريد.ثم حج في السنة التي قتل فيها .... فقدم الكوفة فأخذه عبيد الله بن زياد فأدخل عليه فقال له هذا كان أثر الناس عند علي قال ويحكم هذا الأعجمي فقيل له نعم فقال له أين ربك قال بالمرصاد للظلمة و أنت منهم قال إنك على أعجميتك لتبلغ الذي تريد أخبرني ما الذي أخبرك صاحبك أني فاعل بك قال أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة و أنا أقصرهم خشبة و أقربهم من المطهرة قال لنخالفنه قال كيف تخالفه والله ما أخبرني إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبر ائيل عن الله ولقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه و أني أول خلق الله ألجم في الاسلام فحبسه وحبس معه المختار بن عبيد فقال ميثم للمختار إنك ستفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يريد أن يقتلك فلما أراد عبيد الله أن يقتل المختار وصل بريد من يزيد يأمره بتخلية سبيله فخلّاه وأمر بميثم أن يصلب فلما رفع على الخشبة عند باب عمرو بن حريث قال عمرو قد كان والله يقول لي إني مجاورك فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم فقيل لابن زياد قد فضحكم هذا العبد قال ألجموه فكان أول من ألجم في الاسلام فلما كان اليوم الثالث من صلبه طعن بالحربة فكبّر ثم انبعث في آخر النهار فمه و أنفه دماً وكان ذلك قبل مقدم الحسين العراق بعشرة أيام) الإصابة، ابن حجر: ٦ / ٢٤٩ – ٢٥٠.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الحسين(ع) يغادر مكة إلى العراق:

خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً نحو العراق في اليوم الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠ هـ بعد أن بقي فيها أربعة أشهر تقريباً. وكان قد أحرم للحج فجعله عمرة مفردة ثم حلَّ إحرامه وترك مكة مسرعاً نحو العراق.

أثار موضوع حل الإمام الحسين إحرامه جدلاً بين من اعتبره إحراماً لعمرة التمتع للحج [١]، وبين من اعتبره إحراماً للعمرة المفردة من البداية [٢]؛ بحجة عدم جواز العدول من عمرة التمتع؛ لأنها مرتبطة بالحج والتحلل منها عند الاضطرار لا يكون بالعدول و إنما بالهدي. وحسماً لهذا الجدل، سألت السيد أحمد الحسن عن ذلك، فقال:

"عمرة الحسين عليه السلام كانت عمرة التمتع للحج، وعدل بها إلى مفردة عندما علم أنّ الأمويين يريدون قتله في الحج ثم خرج يوم التروية، ويجوز العدول طالما أنه فيها وخصوصاً للمضطر. و أيضاً: الامام الحسين إمام ومشرع وفعله تشريع. أيضاً: حجّه مستحب وليس واجباً وعمرته مستحبة وليست واجبة" انتهى [٣].

الحسين(ع) يقرر المغادرة ومحاولات فاشلة لثنيه عن قراره:

بعد وصول الإمام الحسين إلى مكة، قام يزيد بعزل واليه على المدينة الوليد بن عتبة بسبب تأخره في تنفيذ أمره بقتل الحسين وعيّن مكانه عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) المعروف ببغضه لآل محمد، وجعله أميراً لموسم الحج [٤]، وأوصاه بالقبض على

١- وهو المروي تاريخياً، انظر مثلاً: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٦٧.

٢- تبنّى هذا القول مجموعة من الفقهاء، منهم: السيد محسن الحكيم في مستمسك العروة الوثقى: ١١ / ١٩٢؛ والسيد الخوئي في معتمد العروة الوثقى: ٢ / ٢٣٦؛ والسيد السبزواري في مهذب الأحكام: ١٢ / ٣٤٩، وغيرهم.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

هذا البيت، ..." [١]. وفي رواية أنه قال له: "يا أخي لو كنت في بطن صخرة لاستخرجوني منها فيقتلوني" [٢].

وأجاب ابن الزبير لما قال له: "يا أبا عبد الله قد حضر الحج وتدعه وتأتي العراق؟ فقال: يا بن الزبير لأن أدفن بشاطئ الفرات أحب إليّ من أن أدفن بفناء الكعبة" [٣].

وأجاب الفرزدق لما سأله: "يا بن رسول الله ما الذي أعجلك عن الحجّ؟ فقال عليه السّلام: يا عبد الله لو لمْ أعجل لأخذت" [٤]. أي: لقتلت.

وأجاب عمرو بن لوذان، إذ قال له: "والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذل فرق الأمم" [٥].

و أيضاً: ما كان الحسين يرغب بأن يتم الإجهاز على شخصه - وثورته تبعاً له بالطبع - داخل مكة وبطريقة تفقد فيها الثورة الأهداف والنتائج المرجوّة منها في حفظ دين الله واستمرار حاكميته وفضح باطل الأمويين وزيفهم وتعريتهم أمام الناس جميعاً؛ خصوصاً وأنّ الحزب الأموي ماهر في استخدام الحيل والخداع والتمويه على الناس، وليس يبعد أنهم لو تسنّى لهم الظفر بالحسين عليه السلام واغتياله في مكة يعمدون إلى إخفاء معالم الجريمة أو اتهام جهة مجهولة بقتله أو حتى مطالبتهم بدمه إن تطلب ديمومة ملكهم ذلك!

وقبل هذا كله، فإنّ العراق - وكربلاء تحديداً - هي الموعد والمنتهى الذي أُبلغ به الحسين عليه السلام من قبل جده و أبيه صلوات الله عليهما، وإرادة الله سبحانه نافذة وماضية، لكنه بالرغم من علمه بمآله ومصيره يسعى إلى العمل بالأسباب قدر المستطاع ويحدد سلوكه في المنعطفات التي تمر بها ثورته المباركة على ضوء تلك الأسباب بقدر قربها من إنفاذ مراد الله وعدم بعدها عن تحقيق الغاية والهدف الإلهي المأمول من الثورة،

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٤٠.

٢- ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ٦٠.

٣- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٢.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٠؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٦٧.

٥- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٦؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٦، وفيه: "حتى يكونوا أذل من فرم الأمة".

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

عن بشر بن غالب قال: لقي عبد الله بن الزبير الحسين بن علي رضوان الله عليه [حين كان] يتوجه إلى العراق فقال: أين تريد؟ قال: العراق. قال: إنك تأتي قوماً قتلوا أباك وطعنوا أخاك ولا أراهم إلا قاتليك. قال [الحسين]: و أنا أرى ذلك" [١].

وروى ابن الأثير: (قيل: لما أراد الحسين المسير إلى الكوفة بكتب أهل العراق إليه أتاه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهو بمكة فقال له: ... قد بلغني أنك تريد العراق و إني مشفق عليك إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال و إنما الناس عبيد الدينار والدرهم فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه فقال له الحسين: جزاك الله خيراً يا بن عم فقد علمت أنك مشيت بنصح وتكلمت بعقل ومهما يقض من أمر يكن أخذت بر أيك أو تركته فأنت عندي أحمد مشير و أنصح ناصح.

قال: و أتاه عبد الله بن عباس فقال له: قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق فبيّن لي ما أنت صانع فقال له: قد أجمعت السير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى فقال له ابن عباس: فإني أعيذك بالله من ذلك خبرني رحمك الله أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبي بلادهم فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك فقال الحسين: فإني استخير الله و أنظر ما يكون. فخرج ابن عباس و أتاه ابن الزبير فحدثه ساعة ثم قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وقد كففنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم خبرني ما تريد أن تصنع فقال الحسين: لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة ولقد كتبت إلى شيعتي بها وأشراف الناس وأستخير بالله فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك لما عدلت عنها ثم خشي أن يتهمه فقال له: أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا لما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك فقال له الحسين: إن أبي حدثني أنّ لها كبشاً به تستحل حرمتها فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش قال: فأقم إن شئت وتوليني أنا الأمر فتطاع ولا تعصى قال: ولا أريد هذا أيضا ثم إنهما أخفيا كلامهما [دوننا]، فالتفت الحسين إلى من هناك وقال: أتدرون ما يقول قالوا: لا ندري جعلنا الله

١- مناقب الإمام أمير المؤمنين، الكوفي: ٢ / ٢٦٢.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

أوزاعي، جئت تنهاني عن المسير، و أبى الله عزوجل إلا ذلك، إنّ من ها هنا إلى يوم الاثنين منيتي فجهدت في عد الأيام، فكان كما قال" [١].

أقول: لو أنّ الأوزاعي كلّف نفسه بالتفكير في نصرة الإمام الحسين بدل إجهادها في عد الأيام لكان خيراً له، وكذلك الحال بالنسبة إلى الآخرين الذين أجهدوا أنفسهم بطرح الاقتراحات فلو أنهم نصروا ريحانة رسول الله بدل عرض الاقتراحات وطرح الحلول التي هي بالضد من إرادة الله لكانوا قد سجّلوا اسمهم في سجل الحياة الأبدية مع الحسين صلوات الله عليه ونالوا الشهادة والفتح معه كما نالها أصحابه الحقيقيون.

و أيضاً: لما بلغ أهل المدينة خبر عزم الحسين عليه السلام على المسير إلى العراق كتب عبد الله بن جعفر إلى الحسين كتاباً يطلب منه عدم المسير و أنه بصدد أخذ الأمان له من يزيد وبني أمية [٢]، وفعلاً جاء عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق (والي يزيد على المدينة) وطلب منه أن يكتب كتاباً إلى الحسين يجعل فيه الأمان ليتمكن من العودة إلى المدينة بعياله، وأن يبعثه بيد أخيه يحيى بن سعيد، ولما وصل الحسين "ذات عرق" [٣] و افاه عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد وطلبا منه الرجوع إلى المدينة وعرضا عليه كتاب الوالي، فامتنع وقال لهما: "إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ له" [٤].

١- دلائل الإمامة، الطبري: ١٨٤.

٢- كتب عبد الله بن جعفر: "أما بعد! أنشدك الله أن لا تخرج عن مكة، فإني خائف عليك من هذا الأمر الذي قد أزمعت عليه أن يكون فيه هلاكك وأهل بيتك، فإنك إن قتلت أخاف أن يطفئ نور الأرض، و أنت روح الهدى وأمير المؤمنين، فلا تعجل بالمسير إلى العراق فإني آخذ لك الأمان من يزيد وجميع بني أمية على نفسك ومالك وولدك وأهل بيتك، والسلام". فكتب إليه الحسين بن علي: "أما بعد! فإن كتابك ورد علي فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأعلمك أني رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي فخبرني بأمر و أنا ماض له، لي كان أو علي، والله يا بن عمي لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني [و] يقتلوني، والله يا بن عمي ليعدين علي كما عدت اليهود على السبت، والسلام" الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٦٧.

٣- منزل على طريق الحج يبعد عن مكة ١١٠ كم تقريباً.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩١ – ٢٩٢.

جاء في كتاب عمرو بن سعيد: (أما بعد فاني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك وأن يهديك لما يرشدك بلغني أنك قد توجهت إلى العراق و إني أعيذك بالله من الشقاق فإني أخاف عليك فيه الهلاك وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

بن مسهر الصيداوي، إذ جاء في خاتمتها: "وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية" [١].

وروي: أنّ قوات عمرو بن سعيد بن العاص (والي المدينة وأمير موسم الحج) بقيادة أخيه يحيى بن سعيد اعترضت موكب الحسين عليه السلام عند خروجه من مكة، لكنه أبى وامتنع ومضى بعد أن تدافع الفريقان وتضاربوا بالسياط، فنادوه: يا حسين، ألا تتقي الله، تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة، فقال: "لي عملي ولكم عملكم أنتم بريؤون مما أعمل و أنا بريء مما تعملون" [٢].

وهذا يعني أنّ خروج الإمام الحسين من مكة كان علنياً وأمام أنظار السلطة الأموية ولم يكن سرّاً. و أيضاً: بحسب بعض المؤرخين، فإنّ عدد من كان في ركب الحسين عليه السلام عند خروجه من مكة هو نيف وثمانين من أهل بيته وشيعته [٣]، أو ستين شيخاً من أهل الكوفة عدا أهل بيته [٤].

أقول: لا شك أنّ العددين المذكورين متقاربان؛ إذ إضافة أهل بيت الحسين إلى الستين يجعل المجموع ثمانين أو يزيد عليه بقليل، لكن الإشكال في حصر الملتحقين بالحسين بأهل الكوفة فقط؛ إذ سيتضح أنّ من التحق بالحسين أيام تواجده في مكة مجموعة من أنصاره المخلصين الذين لازموه واستشهدوا معه في كربلاء وقد وردوا عليه من الكوفة والبصرة والمدينة وإن كان حصة الكوفة هي الأكثر قياساً بغيرها.

و أيضاً: كان قد انضم إلى الحسين في مكة جمع كبير من الناس قبل أن يغربلهم ويتساقط أكثرهم خلال منازل الطريق بين مكة والعراق ولم يبقَ منهم سوى الأنصار الحقيقيين والصفوة التي انتجبها الله وفضّلت أن تواسيه بالنفس.

١- تاريخ الطبري: ٣ / ٣٠١.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٩؛ الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٤٤، وفيه: أن المعترض لموكب الحسين هو قائد شرطة عمرو بن سعيد وجماعة من جنده؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٢ / ٥٤٧.

٣- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٠؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ١ / ٢٢٠.

٤- انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢١٢.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

علمت أنّ منيتي من هناك وأنّ مصارع أصحابي هناك؟! فقلت له: فأنّى لك ذلك؟ قال: بسرٍّ سُرَّلي وعلم أُعطيته" [١].

وثانياً: كمحاولة لفهم أحد وجوه تلك المشيئة الإلهية، أقول: إنّ العراق بالرغم من أنّ تكلفة خذلان أهله للحسين ستكون كبيرة جداً، فبعد الرسائل الكثيرة التي كاتب أهل الكوفة فيها إمامهم وطلبوا منه القدوم تركوه (بالعموم) في نهاية الأمر ولم ينهضوا معه وخذلوه عدا أفراد قليلين كما ذكرت، لكن - على أي حال - يبقى العراق الحاضنة الأكبر لفكر ونهج آل محمد عليهم السلام، وإذا كان أهله كاتبوا الإمام ولم يفِ منهم سوى قلة فغيرهم لم يكاتب ولا يرى نفسه معنيّاً بأمر الحسين أصلاً، بل ومن يطالع قائمة أنصار الحسين الذين حضروا معه كربلاء ونال شرف الشهادة معه - وسيأتي بيانها - يجد أنّ غالبيتهم من أهل العراق. وبالتالي، فإن كان مقدّر لثورة الحسين أن تكون سبباً في إنقاذ دين الله وعباد الله وتصحيح الانحراف الذي سبّبه تسلط الأمويين وزعزعة عروشهم من الأساس، وهي كذلك حتماً، فالعراق بكل تأكيد أنسب بيئة لإنجاح هذا المخطط الإلهي وتحقيق أهداف القيام الحسيني المقدس. وفعلاً، بالرغم من الخذلان سرعان ما هز مقتل الحسين وجدان أتباع ومحبي آل محمد خصوصاً في الكوفة وقرّعوا أنفسهم على تقصيرهم وخذلانهم له فكانت ثورة التوّابين بقيادة سليمان صرد الخزاعي، وهي وإن لم تكن قد حققت هدفها بالكامل ولم تقتص من قتلة الحسين الكبار لكنها آذت الحكم الأموي كثيراً، ثم أعقبتها ثورة المختار الثقفي التي كانت تهدف إلى الثأر لدم الحسين وقتل كل من ساهم بقتله من رجال وأعوان السلطة الأموية الظالمة، وقد حقّقت هدفها بوضوح، بل واستمر الدم المراق في الطف يشعل في نفوس أهل العراق (أتباع ومحبو أهل البيت) الثورة بوجه طغاة بني أمية حتى زوال الحكم الأموي من الوجود تماماً.

وثالثاً: لا شك أنّ ثورة الإمام الحسين حتى تؤتي أكلها وتحقق ثمارها المرجوّة لابد من دور إعلامي كبير يتناسب وحجم الثورة نفسها بقائدها ورجالها وأهدافها، كما هو شأن كل الأحداث الهامة والكبرى الواقعة في عالمنا قديماً وحديثاً، وبدون ذلك سيكون الحدث حبيس البقعة المحصورة أو المجتمع الضيق الذي وقع ضمن حدوده، وهكذا حالة لا تصب بصالح ثورة الحسين بالتأكيد. ما أريد قوله بإيجاز: إنّ بيئة الحجاز - سواء في المدينة أو

١- دلائل الإمامة، الطبري: ٧٤.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

لعلّ هذه الوجوه التي ذكرتها كافية لفهم إصرار الإمام الحسين على المسير إلى العراق ونيل الشهادة في كربلاء، لهذا كان يقول: "لابد من العراق" [١] أو "العراق وشيعتي" [٢].

والخلاصة: إنّ ثقل التشيّع المتمثل بفكر ونهج آل محمد عليهم السلام موجود في العراق ومتأصّل فيه، وبالرغم من تقلّب حال أهله صعوداً ونزولاً على الدوام لكن المعوّل بالنهاية في نصرة مشروع آل محمد على رجال منهم، وكما فيهم الأشرار الذين لا يدانيهم في الشر أحد ففيهم الأخيار الذين لا يوزنون بثمن، وينتهي الزمان ولا تكاد قصة العراق (أرض الرسالات) تنتهي!

الحسين(ع) يكلّم الناس بحسب حالهم:

قلت سابقاً: إنّ الإمام الحسين مصمّم على ملاقاة الوعد الإلهي وإنجاز تكليفه المطلوب منه لنصرة دين الله وضمان استمرار حاكميته سبحانه، وكان يعلم بمصيره وأنه مقتول لا محال، وقد تقدم استعراض العديد من الروايات والحقائق التي تؤكد ذلك. أما الحوارات التي جرت بينه وبين بعض المسلمين (مثل: ابن الحنفية وابن عباس وابن الزبير وابن مطيع وابن مخرمة وغيرهم) الذين طلبوا منه عدم التوجّه إلى العراق وحذّروه من انقلاب أهل الكوفة عليه كما فعلوا مع أبيه وأخيه فواضح أنه عليه السلام كان يأخذ ويعطي معهم بالحديث؛ رأفة بهم - أو ببعضهم - وكان يكلمهم بحسب حالهم ولم يحملهم على ما عنده من حق. نعم، ربما كان يذكّر بعضهم بما هو موعود به من قبل جده الرسول صلى الله عليه وآله.

وهذه بعض أقواله في المدينة ومكة:

- قوله لعبد الله بن مطيع عندما سأله: جعلت فداك أين تريد؟ قال: "أما الآن فإني أريد مكة وأما بعدها فإني أستخير الله" [٣].

١- قال ذلك لابن الحنفية، انظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٠٦.

٢- قال ذلك لابن عباس، انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢٠٨؛ تاريخ الإسلام، الذهبي: ٥ / ٨.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

واضح أنّ الرجل مشغول بماء بئره أكثر من التفكير بنصرة الحسين وقضايا الإسلام، ولذا لم يبيّن الإمام له شيئاً من أهداف ثورته أو يذكر له أيّ تفاصيل ربما ذكرها لغيره [١].

و أيضاً: كلام الإمام الحسين الذي يؤكد أنه مخذول من قبل الأمة ومقتول لا محال وأنّ مشيئة الله اقتضت ذلك ونحوها، لا يعني أنه مسلوب الاختيار ومجبور على السير إلى كربلاء ونيل الشهادة؛ إذ من المعلوم أنّ الله سبحانه لم يرد أن يطاع جبراً وقهراً في دنيا الامتحان "لا إكراه في الدين"، بل أراد من الإنسان أن يطيعه باختياره، والحسين كان مختاراً: "خيّر لي مصرع أنا لاقيه"، لكنه كان يعلم - بإعلام من الله ورسوله - أنّ مآله وخاتمته ستكون الشهادة وأنّ نصرة دين الله تتم من خلال الفداء بدمه الشريف.

وهذه بعض كلماته مع من عرض عليه اللجوء إلى أماكن أو خيارات أخرى غير الذهاب إلى العراق ومواجهة الأمويين:

- "يا عبد الله إنه ليس يخفى عليّ الرأي ما رأيت ولكن الله لا يغلب على أمره" [٢].
- "فلابد لي إذن من مصرعي" [٣].
- "كل الذي هو مقدّر فهو كائن" [٤].
- "يأبى الله إلا ذلك" [٥].

فتحصل مما تقدم: إننا حتى نفهم موقف الإمام الحسين وتتضح لنا حقيقة ومعنى بعض كلامه ينبغي أن يؤخذ كل كلامه بعين الاعتبار بمعيّة الظروف المحيطة به، بما في ذلك حال السائل أو المتحدث مع الإمام، وكذلك ينبغي أن يُفهم كلامه في سياق العقيدة

١- الملفت: أنّ عبد الله هذا انضم إلى ابن الزبير لاحقاً وصار عاملاً له على الكوفة: "وجعل يطلب الشيعة ويخيفهم" انظر: تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٥٨. وأعلن في أول خطبة له أنه يريد أن يسير بهم بسيرة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، انظر: الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٤ / ٢١٢ – ٢١٣، بل واستعان بقتلة الحسين أمثال شمر وشبث وغيرهم في مواجهة ثورة المختار الثقفي، انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢١٦ – ٢١٧.

٢- من كلامه لعمرو بن لوذان، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠١؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٦.

٣- من كلامه عليه السلام لعمرة بنت عبد الرحمن، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٢٩٦ – ٢٩٧،

٤- من كلامه عليه السلام لأخته زينب عليها السلام، انظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٣٦٠.

٥- من كلامه عليه السلام للأوزاعي، انظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٣٩٥.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

٢- إنها مجرد أقوال مرسلة وبدون إسناد أصلاً، ومضامينها لا تصح عمّن نُسبت إليه، وبالتالي فالنقاش فيها يكون من ناحية السند والدلالة على حد سواء. أما النقاش السندي لأجل الإرسال فواضح، وأما النقاش الدلالي فهذا تعقيب السيد أحمد الحسن على المضامين أعلاه:

يقول: (ما نسب إلى ابن عباس من قول: "إني لكاره ... تخرج إلى قوم قتلوا أباك ..." غير صحيح؛ فهل قتل أهل العراق علياً عليه السلام؟!! أهل العراق نصروا علياً، ومن قتله هو عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله بتحريض من الخوارج، فابن عباس لا يقول هذا الكلام عن أهل العراق.

ما نسب إلى أبي سعيد الخدري: "غلبني ..... فلا تخرج على إمامك"، غير صحيح؛ لأن أبا سعيد كان من شيعة الإمام علي عليه السلام فكيف يقول للإمام الحسين إنّ يزيد إمامك؟! هذا كذب صريح. لقد عذّب جيش يزيد لعنه الله أبا سعيد ونتفوا لحيته في واقعة الحرة، بل تعمدوا إهانته والانتقام منه بسبب نصرته لعلي والحسن والحسين عليهم السلام. نعم، ليس بالضرورة أن تكون النصرة كاملة مكتملة، وهذا الأمر ناقشناه سابقاً [١]، فقد تكون نصرة بحسب مقام وحال الشخص: بيده، بلسانه، بقلبه، وكلها نصرة فمن يشايع علياً ويؤمن به بقلبه ولكنه لا يجرؤ على نصرته بلسانه أو يده هل يستطيع أحد أن يسلبه صفة الإيمان؟ بالطبع لا، يبقى مؤمناً ولكن المؤمن القوي الذي ينصر إمامه بقلبه ولسانه خيرٌ منه.

ومنه يتضح عدم صحة ما نسب إلى جابر بن عبد الله الأنصاري أيضاً.

ما نسب إلى عبد الله بن عمر من قول: "لا تخرج ..... ولا تنالها يعني الدنيا" غير صحيح أو محرّف، فهو لا يجرأ على أن يقول مثل هذا الكلام للحسين عليه السلام، فعبد الله بن عمر وغيره - رغم كل شيء - كانوا يجلّون الحسين ويهابونه، ولا يجرأ ابن عمر - فضلاً عن الآخرين الذين هم أقل شأناً منه - على أن يقول للحسين: "إنك طالب للدنيا"! بل كلمة

١- نقلت كلام وأجوبة السيد أحمد الحسن في مواضيع ذات صلة بموضوعنا هذا فيما تقدم، فراجع.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الرعيل الأول أو من عاشوا تلك الفترة في مكة والمدينة وغيرها كانوا ثلاثة أصناف: مبغض لآل محمد، محب ومشايع بقدر ما، عامة الناس. فهل من نقل هؤلاء المؤرخون أقوالهم هم من عامة الناس الذين لا يعرفون مَنْ هو الحسين، أو لا يعلمون مقامه؟ هل هم مشهرون بغضهم للحسين عليه السلام؟ الاثنان لا، إذن الكلام مفترى عليهم لغاية واضحة هي الاحتجاج بهم على ما فعله الحسين عليه السلام وتصحيح فعل يزيد لعنه الله - لدى بعض السنة بالطبع - أو على الأقل تخفيف وطأة ما حصل وعدم تحميل معاوية ومن سبقه جريرة وتبعات ما حصل.

"تأمره بالطاعة ولزوم الجماعة": نفس تعليل وحجة بعض فقهاء السنة، لزوم الجماعة بمعنى طاعة الحاكم، لكن: مَنْ فهم أنّ طاعة الحاكم غير المعصوم واجبة؟ هل عبد الله بن الزبير فهم هذا؟ إذن لماذا خرج؟ هل الصحابة الذين كانوا في الحجاز أيام وقعة الحرة فهموا هذا؟ إذن لماذا طعنوا بالحاكم؟ من ثاروا على عثمان وبعضهم صحابة - ومنهم عائشة - هل فهموا هذا؟ وقد نقلوا كلام عائشة وطعنها بعثمان [١]؟ هل فهم كل هؤلاء هذه العقيدة (وجوب طاعة الحاكم غير المعصوم) وآمنوا بها؟! أكيد لا.

الحقيقة، إنّ محاولة تحميل الرعيل الأول لعقائد فقهاء جاءوا بعدهم بعشرات ومئات السنين مجرد محاولة لتمرير أقوال هؤلاء الفقهاء، فقيه أموي مبغض وحاقد يحاول تمرير قوله بكل غث وسمين بحجة أنّ هذا ما قاله ابن عمر للحسين، وهذا ما قاله

١-روى المؤرخون قولها: "اقتلوا نعثلاً فقد كفر" انظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٤٧٧؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٢ - هامش: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ٢٠٦. و أيضاً: هذا نص للبلاذري يوضح نقمة بعض المسلمين على عثمان وطعنهم به بما فيهم عائشة، يقول: (قال الزهري: وكان في الخز ائن سفط فيه حلي فأخذ منه عثمان فحلّى به بعض أهله فأظهروا عند ذلك الطعن عليه، وبلغه ذلك فخطب فقال: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم، ..... وأطلعت عائشة شعراً من شعر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونعله وثيابا من ثيابه، فيما يحسب وهب، ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم، ...) أنساب الأشراف: ٥ / ٥٨٠ – ٥٨١. وبخصوص الصحابة: فقد كتب مجموعة منهم كتاباً لعثمان ذكروا فيه ما خالف فيه سنّة الرسول وسنة أبي بكر وعمر؛ منها: هبته خمس أفريقيا لمروان بن الحكم وفيه حق الله ورسوله وقد بنى بها مروان القصور بالمدينة، بناء الأبنية المرتفعة لأهله وبناته، تعيينه الولاة من بني عمومته الامويين وفيهم غلمان وأحداث صغار ممن لا صحبة لهم ولا سابقة ولا دراية بالأمور، صلاة الوليد (واليه على الكوفة) بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران وقوله لهم: إن شئتم زدتكم وتعطيل إقامة الحد عليه، اختصاص خاصته بالأقطاع والاعطيات دون سائر المسلمين، ... إلى غير ذلك. انظر: الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٣٥.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

البلدان و أيامك من بين الأيام، فإن قتلته وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد فاحذر أن يفوتك) [١].

من جهته، فإنّ ابن زياد بعد أن قضى على حركة مسلم بن عقيل في الكوفة وقام بقتله مع هانئ بن عروة، وحبس العديد من وجوه الكوفة المؤيدين له، عمد - أيضاً - إلى تجميد حركة بعض الجيوش التي كان من المقرر تسييرها نحو الديلم وغيرها، وكان سبب صرفها عن مهمتها هو تهيئتها وإعدادها للزج بها في الحرب ضد الحسين عليه السلام.

روى ابن عساكر بسنده: (شهاب بن خراش عن رجل من قومه قال: كنت في الجيش الذي بعثهم عبيد الله بن زياد إلى حسين بن علي وكانوا أربعة آلاف يريدون الديلم فصرفهم عبيد الله بن زياد إلى حسين بن علي) [٢].

و أيضاً: (بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه حتى نزل القادسية، ونظم الخيل بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القطقطانة. وقال الناس: هذا الحسين يريد العراق) [٣]. (وكان عبيد الله بن زياد أمر فأخذ ما بين و اقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة، فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج) [٤].

وقال الدينوري: (ثم إن ابن زياد وجه بالحصين بن نمير - وكان على شرطه - في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة، وأمره أن يقيم بالقادسية إلى القطقطانة، فيمنع من أراد

١- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٢. قوله: "وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد" يقصد به ما أشرنا له سابقاً من أنّ زياد ولد على فراش عبيد الثقفي زوج البغية سمية، وأنّ أبا سفيان لما ذهب للطائف طلب بغية فأتي له بسمية فزنى بها، ووضعت ولدها الفاجر زياد بعد فترة تناسب لحوقه بأبي سفيان ولكنها لا زالت على ذمة زوجها عبيد، ولاحقاً قام معاوية باستلحاقه به ونسبه لأبي سفيان واعتبره أخاً له.

٢- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢١٥.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٧؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٦٩ – ٧٠. القادسية: موضع في العراق على أطراف الكوفة، انظر: معجم البلدان، الحموي: ٤ / ٢٩١. خفان: موضع في العراق قرب القادسية، انظر: معجم البلدان: ٢ / ٣٧٩. القطقطانة: موضع قرب الكوفة، كان به سجن النعمان بن المنذر، انظر: معجم البلدان: ٤ / ٣٧٤.

وهذه المواضع كلها تقع على طريق الحج بين مكة والكوفة.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٥؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٢ – ٧٠. و اقصة: هي موضع في طريق مكة إلى العراق، انظر: معجم البلدان: ٥ / ٣٥٤.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

ونحن بإحاطتنا بالمباحث المتقدمة يمكننا الحكم على مثل هذه الروايات بالكذب؛ وسبب قطعنا بكذبها هو أنّ مروان ليس فقط ما أحب الحسين يوماً، بل لأنه يرى أنّ قتله قد تأخر كثيراً؛ فقد اقترح على والي المدينة السابق (الوليد بن عتبة) أن يقتله في نفس مجلس رفضه البيعة ليزيد ولا يمهله إطلاقاً كما تقدمت الإشارة لذلك، ولا شك أنّ الهدف من هذا الاختلاق والكذب هو محاولة تلميع صورة الأمويين القذرة والتخفيف من وطأة جريمتهم التي أقدموا عليها؛ والتي لا يبقى من إسلام الراضي بها ذرة ولا من دينه قيد شعرة؛ فضلاً عمّن كان سبباً أو مشاركاً فيها!

نعم، روي أنّ الوليد بن عتبة أرسل كتاباً إلى ابن زياد جاء فيه: (أما بعد! فإن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، وهو ابن فاطمة، وفاطمة ابنة رسول الله، فاحذريا بن زياد أن تبعث إليه رسولا فتفتح على نفسك ما لا تختار من الخاص والعام، والسلام) [1].

أقول: إن ثبت هذا الأمر تاريخياً فمن الممكن تصور صدوره من الوليد بن عتبة، ليس لحبّه بالحسين واحترامه للرسول و ابنته فاطمة صلوات الله عليهم، بل من أجل الحفاظ على ملك بني أمية وعدم زواله، ولذلك رأيناه يحذر ابن زياد من تهييج الخاص والعام ولم يكن نظره منصبّاً على عذاب الله والآخرة أصلاً، وقد قلت سابقاً: إنّ تيارين كان يتجاذبان الأمويين في كيفية التعامل مع الحسين، يتبنّى الأول منهما رفض المواجهة العلنية معه؛ خشية من تأليب الأمة على بني أمية وضياع مملكتهم بالنهاية، وهو رأي معاوية وبعض ولاته مثل: ابن أخيه الوليد بن عتبة والنعمان بن بشير كما لاحظنا، لكن بعد موت معاوية رجحت كفة التيار الثاني الذي يرى ضرورة التخلّص من الحسين مهما كلّف الأمر ولو من خلال مواجهة و إبادة جماعية علنية، وهو رأي يزيد ومروان بن الحكم وسعيد بن عمرو بن العاص و ابن زياد.

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٧٠.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

فئات صادفها الحسين(ع) في المسير:

صادف الحسين عليه السلام عيّنة من الناس التي تحسب على أتباعه ومحبيه سواء كانوا ممن كاتبه أو لم يكاتبه لكنهم خذلوه ولم ينصروه، وصادف - أيضاً - عيّنة كبيرة تقدر بآلاف الناس التي بايعته ثم انصرف أغلبها عنه بعد علمهم بأنه مقتول لا محال، وصادف - ثالثاً - عيّنة من عموم الناس الآخرين الذين كانوا يعيشون في الكوفة ويعملون في سلك السلطة الأمني كالحر بن يزيد الرياحي وجيشه الذين اعترضوه وجعجعوا به وعياله و أنزلوه في كربلاء، وصادف - كذلك - أنصاره الحقيقيين الذين التحقوا به في مواطن عديدة، وسأستعرض الآن الفئتين الأوليين و أفرد الحديث لاحقاً عن الفئتين الأخريين:

فئة المحبّين الخاذلين:

هذه بعض أمثلتها:

١- الفرزدق "همام بن غالب التميمي البصري" الذي التقاه الإمام في "الصفاح".

روى الطبري عنه: (قال: حججت بأمي فأنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج وذلك في سنة ٦٠ إذ لقيت الحسين بن علي خارجاً من مكة معه أسيافه وتراسه فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن علي فأتيته فقلت: بأبي وأمي يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الحج فقال: لو لم أعجل لأخذت قال: ثم سألني ممن أنت فقلت: له امرؤ من العراق.. فقال: أخبرني عن الناس خلفك قال فقلت له: القلوب معك والسيوف مع بني أمية والقضاء بيد الله قال فقال لي: صدقت [١] ... قال: ثم مضيت فإذا بفسطاط مضروب في الحرم وهيئته حسنة فأتيته فإذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص فسألني فأخبرته بلقاء الحسين بن علي فقال لي: ويلك فهلا اتبعته فوالله ليملكن ولا يجوز السلاح

١- وفي رواية الشيخ المفيد: "فقال: صدقت، لله الأمر، وكل يوم ربنا هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يبعد من كان الحق نيته والتقوى سريرته، فقلت له: أجل، بلغك الله ما تحب وكفاك ما تحذر، وسألته عن أشياء من نذوروموناسك فأخبرني بها، وحرك راحلته وقال: السلام عليك ثم افترقنا" الإرشاد: ٢ / ٦٧ – ٦٨.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

عليهم السلام وروايته عنهم روايات عديدة في إمامتهم وحبّهم وقائمهم وغير ذلك إلا أنه لم ينصر الحسين وتركه و انصرف عنه [١].

٣- عبد الله بن مطيع العدوي، التقاه الحسين عليه السلام بـ "بطن الرمة" [٢] وهو منصرف من العراق، (فسلم على الحسين، وقال له: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله، ما أخرجك من حرم الله وحرم جدك؟ فقال: إن أهل الكوفة كتبوا إلي يسألونني أن أقدم عليهم لما رجوا من إحياء معالم الحق، وإماتة البدع. قال له ابن مطيع: أنشدك الله أن تأتي الكوفة، فوالله لئن أتيتها لتقتلن. فقال الحسين عليه السلام: "لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا". ثم ودعه ومضى) [٣].

وفي رواية المفيد والطبري و ابن الأثير أنّ ابن مطيع قال: (أذكّرك الله يا بن رسول الله وحرمة الاسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنّك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك، وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرض نفسك لبني أمية. فأبى الحسين عليه السلام إلا أن يمضي) [٤].

واضح أنّ ابن مطيع رجل قومي (بالتعبير السياسي الحديث)، لذا كان يهمّه جداً سمعة العرب وقريش وحرمة الإسلام العربي القرشي أكثر من سفك دم الحسين نفسه! مع ملاحظة أنّ ابن مطيع كان قد التقى الإمام عند خروجه من المدينة باتجاه مكة ورأينا في ذلك اللقاء أنّ همّه كان عذوبة ماء بئره ومنفعته الشخصية لا أكثر، وسيتضح حاله أكثر في البحوث القادمة؛ باعتبار أنه التحق بابن الزبير وولّاه الكوفة وواجه حركة المختار الثقفي مستيعناً بقتلة الحسين عليه السلام أمثال الشمر وشبث بن ربعي وغيرهم!

١- هذا مثال لما رواه بشر بن غالب، قال: "حدثني الحسين بن علي عليهما السلام، قال: قال لي: يا بشر بن غالب، من أحبنا لا يحبنا الا لله جئنا نحن وهو كهاتين، وقدر بين سبابتيه، ومن أحبنا لا يحبنا الا للدنيا فإنه إذا قام قائم العدل وسع عدله البر والفاجر" المحاسن، البرقي: ١ / ٦١.

٢- منزل لأهل الكوفة والبصرة إذا ساروا إلى مكة، يقع في عالية نجد.

٣- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٤٦.

٤- تاريخ الطبري: ٣ / ٣٠١؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٢؛ الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٤ / ٤١.

٤- عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديان الكوفيان، كان قد قدما إلى الحج وبعد إتمام مناسكهما أسرعا بالرجوع لكي يلحقا الحسين وينظرا ماذا يصنع، فلحقاه قرب "زرود" [١]، وكانا قد صادفا في طريقهما رجل أسدي كوفي أيضاً اسمه بكير بن المثعبة، عدل عن الطريق لما رأى الحسين حتى إنّ الإمام وقف ليسأله لكنه تركه ومضى لما رآه عدل عنه. عموماً، أوقفا الأسديان هذا الرجل وتعرفا عليه وعلما منه بمقتل مسلم وهانئ في الكوفة، ثم استمرا بمسايرة الحسين حتى نزل "الثعلبية"، فأتيا إليه وأخبراه بمقتل مسلم وهانئ، (فقال: إنا لله و إنا إليه راجعون رحمة الله عليهما فردد ذلك مراراً فقلنا: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف أن تكون عليك ..... قالا: فعلمنا أنه قد عزم له رأيه على المسير قالا فقلنا: خار الله لك فقال: رحمكما الله) [٢].

لا شك أنّ سلامة الحسين تهمهما: "ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت" "بل نتخوف أن تكون - أي: الكوفة - عليك"، ومع هذا فإنهما تركا نصرته و انصرفا؛ تماماً كانصراف الكوفي الثالث الذي عدل عن الحسين خوفاً؛ لئلا يُحسب عليه أو تجنباً عن أن يدعوه الإمام لنصرته!

٥- أبو هرة الأزدي - أو الأسدي - الكوفي، التقاه الإمام الحسين في "الثعلبية" [٣]، (فسلم عليه ثم قال يا ابن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم جدك محمد صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام: ويحك يا أبا هرة إنّ بني أمية أخذوا مالي وشتموا عرضي فصبرت وطلبوا دمي فهربت و أيم الله لتقتلني الفئة الباغية وليلبسنهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم ودمائهم) [٤].

١- موضع في الطريق بين مكة والكوفة، يقع شرق مدينة حائل السعودية.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٩ – ٣٠٠؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٣ – ٧٥.

٣- منزل يقع على طريق (مكة - كوفة)، يقع إلى الشرق من مدينة حائل السعودية.

٤- مثير الأحزان، ابن نما: ٣٣.

٦- بحير بن شداد الأسدي وأخوه، قال: (مر بنا الحسين بالثعلبية فخرجت إليه مع أخي فإذا عليه جبة خضراء لها جيب في صدرها فقال له أخي: إني أخاف عليك فضرب بالسوط على عيبة قد حقبها خلفه وقال: هذه كتب وجوه أهل المصر) [١].

٧- عن الحكم بن عتيبة قال: (لقي رجل الحسين بن علي بالثعلبية وهو يريد كربلاء فدخل عليه فسلم عليه فقال له الحسين عليه السلام: من أي البلدان أنت فقال: من أهل الكوفة قال: يا أخا أهل الكوفة أما والله لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل من دارنا ونزوله على جدي بالوحي، يا أخا أهل الكوفة مستقى العلم من عندنا أفعلموا وجهلنا هذا ما لا يكون) [٢].

٨- عمرو بن لوذان (شيخ من بني عكرمة)، التقاه الإمام الحسين بـ"بطن العقبة" [٣] فسأل الحسين: (أين تريد؟ فقال له الحسين: "الكوفة" فقال الشيخ: أنشدك الله لما انصرفت، فوالله ما تقدم إلا على الأسنّة وحد السيوف، وإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ووطؤوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكر فإني لا أرى لك أن تفعل. فقال له: يا عبد الله، ليس يخفى عليّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره، ثم قال: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذل فرق الأمم) [٤].

٩- روي أنّ رجلاً من بني عكرمة أيضاً لقي الحسين في "بطن العقيق" [٥] فسلّم عليه وأخبره بأنّ ابن زياد نشر الخيل والرجال ما بين (القادسية إلى العذيب) [٦] رصداً له. ثمّ قال له: (انصرف بنفسي أنت فوالله ما تسير إلا إلى الأسنّة والسيوف، ولا تتّكلنّ على الذين

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢١٦.

٢- بصائر الدرجات، الصفار: ٣٢.

٣- أحد المنازل الواقعة على طريق (مكة – كوفة)، يقع على مقربة من الحدود العراقية السعودية حالياً.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠١؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٦.

٥- موضع على طريق (مكة – كوفة) يقع بالقرب من "ذات عرق"؛ الموقع الذي يحرم منه أهل العراق للحج.

٦- القادسية: قرية على مقربة من الكوفة من جهة البريّة بينها وبين العذيب عدة أميال.

كتبوا لك، فإنّ أولئك أوّل الناس مبادرة إلى حربك. فقال له الحسين عليه السلام: "قد ناصحت وبالغت فجزيت خيراً". ثمّ سلّم عليه ومضى) [١].

١٠- عن يزيد الرشك قال: (حدثني من شافه الحسين قال: رأيت أبنية مضروبة للحسين، فأتيت فإذا شيخ يقرأ القرآن والدموع تسيل على خديه، فقلت: بأبي وأمي يا ابن رسول الله! ما أنزلك هذه البلاد والفلاة؟ فقال: هذه كتب أهل الكوفة إليّ، ولا أراهم إلا قاتلي، فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا الله حرمة إلا انتهكوها، فيسلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة يعني مقنعتها) [٢].

١١- عبيد الله بن الحر الجعفي، التقاه الإمام الحسين في "قصر بني مقاتل أو القطقطانة" [٣]، إذ (نظر إلى فسطاط مضروب، فقال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبيد الله بن الحر الجعفي فأرسل إليه الحسين عليه السلام فقال: أيها الرجل، إنك مذنب خاطئ [٤] وإن الله عزوجل آخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه، فتنصرني ويكون جدي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى. فقال: يا بن رسول الله، والله لو نصرتك لكنت أول مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك، فوالله ما ركبته قط و أنا أروم شيئا إلا بلغته، ولا أرادني أحد إلا نجوت عليه، فدونك فخذه. فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه، ثم قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، وما كنت متخذ المضلين عضداً، ولكن فر، فلا لنا ولا علينا، فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنا، كبه الله على وجهه في نار جهنم) [٥].

١- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٤٨.

٢- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣٠٥ – ٣٠٦.

٣- قصر بني مقاتل والقطقطانة مواضع قريبة من الكوفة تقع على طريق الحج.

٤- روي أنّ عبيد الله بن الحر كان عثماني العقيدة، ولذلك حارب علياً عليه السلام في صفين، وروى الطبري أنه كان يقطع الطرق وينهب الأموال، انظر: مقتل الحسين، المقرم: ١٨٨.

٥- الأمالي، الصدوق: ٢١٩؛ الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٧٤؛ وفيه: أنّ ابن الحر قال: "والله يا بن بنت رسول الله! لو كان لك بالكوفة أعوان يقاتلون معك لكنت أنا أشدهم على عدوك، ولكني رأيت شيعتك بالكوفة وقد لزموا منازلهم خوفاً من بني أمية ومن سيوفهم"؛ الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥١، وفيه: أن ابن الحر قال: "والله إني لأعلم أنّ من شايعك كان السعيد في الآخرة ولكن ما عسى أن أغني عنك"!

١٢- عن عمرو بن قيس المشرقي قال: (دخلت على الحسين عليه السلام أنا و ابن عم لي وهو في قصر بني مقاتل فسلّمنا عليه فقال له ابن عمي: يا أبا عبد الله هذا الذي أرى خضاب أو شعرك فقال: خضاب والشيب إلينا بني هاشم يعجل ثم أقبل علينا فقال: جئتما لنصرتي؟ فقلت: إني رجل كبير السن كثير الدين كثير العيال وفي يدي بضائع للناس ولا أدري ما يكون و أكره أن أضيع أماناتي وقال له ابن عمي مثل ذلك قال لنا: فانطلقا فلا تسمعا لي واعية ولا تريا لي سواداً فإنه من سمع واعينا أو رأى سوادنا فلم يجبنا ولم يعنّا كان حقاً على الله عزوجل أن يكبّه على منخريه في النار) [١].

١٣- عن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال: (قدمت ومالك بن النضر الأرحبي على الحسين فسلّمنا عليه ثم جلسنا إليه فردَّ علينا ورحّب بنا وسألنا عمّا جئنا له فقلنا: جئنا لنسلّم عليك وندعو الله لك بالعافية ونحدث بك عهداً ونخبرك خبر الناس و إنا نحدثك أنهم قد جمعوا على حربك فرِ رأيك فقال الحسين عليه السلام: حسبي الله ونعم الوكيل قال: فتذمّمنا وسلّمنا عليه ودعونا الله له قال: فما يمنعكما من نصرتي فقال مالك بن النضر: عليّ دين ولي عيال فقلت له: إنّ عليّ ديناً وإنّ لي لعيالاً ولكنك إن جعلتني في حل من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت عنك ما كان لك نافعاً وعنك دافعاً قال: قال فأنت في حل فأقمت معه) [٢].

أقول: هذه الحادثة وإن كانت قد حصلت بعد نزول الحسين عليه السلام في كربلاء وتحديداً في ليلة العاشر من المحرم بعد أن طلب الإمام من ابن سعد وجيشه أن يمهلوه لصباح يوم عاشوراء، لكني ألحقتها هنا؛ لأن فيها خذلان أيضاً، فأما مالك بن النضر فخذلانه واضح، وأما الضحاك بن قيس فهو اشترط على الإمام أن ينصره ما دام في نصرته فائدة وإلا انصرف عنه، والإمام قبل شرطه رحمة به، وفعلاً التحق بالإمام وقاتل معه صباح يوم عاشوراء وصلّى خلف الإمام صلاة الظهر ثم انصرف عن القتال بعد ذلك، وستأتي قصته لاحقاً.

١- ثواب الأعمال، الصدوق: ٢٦٠.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٧ – ٣١٨.

فئة العاثرين الدنيويين المنصرفين:

أعني بهم: من التحق بالحسين عليه السلام؛ سواء أيام تواجده في مكة أو أثناء مسيره منها إلى العراق، لكنه انصرف عنه ولم يبقَ معه إلى يوم عاشوراء، وهم كثيرون بلغوا ألوفاً لكنهم تفرّقوا عنه لما رأوه ينعى نفسه وعلموا بأنه مقتول ولا دنيا وراءه كانوا يتأمّلونها من خروجهم معه!

روى الطبري بسنده: (عن بكر بن مصعب المزني قال: كان الحسين لا يمر بأهل ماء إلا اتبعوه) [١].

وروى أيضاً: إنّ الإمام الحسين لما بلغ "زبالة" [٢] (أخرج للناس كتاباً فقرأ عليهم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام قال: فتفرّق الناس عنه تفرّقاً فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة، وإنما فعل ذلك لأنه ظن أنما اتبعه الاعراب لأنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون وقد علم أنهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه) [٣].

وقال الدينوري: (وقد كان صحبه قوم من منازل الطريق، فلما سمعوا خبر مسلم، وقد كانوا ظنوا أنه يقدم على أنصار وعضد تفرقوا عنه، ولم يبق معه إلا خاصته) [٤].

وروى القندوزي خطبة للإمام الحسين في "زبالة" بالنحو التالي: (ثم سار حتى أتى موضعا يقال له "زبالة" فنزل وخطب وقال: "أيها الناس فمن كان منكم يصبر على حد

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٠.

٢- موضع على طريق الحج بين مكة والكوفة، تقع بالقرب من الثعلبية ومدينة رفحاء السعودية حالياً.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٠ – ٣٠١.

٤- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٤٨.

السيف وطعن الأسنّة فليقم معنا وإلا فلينصرف عنا" فجعل القوم يتفرقون، فلم يبقَ إلا أهل بيته ومواليه، وهم نيف وسبعون رجلاً، وهم الذين خرجوا معه من مكة) [١].

واضح أنّ الإمام الحسين يغربل من التحق به حتى لا يبقى إلا من كان صادقاً وطالباً نصرة دين الله حقيقةً؛ ولأنه يعلم تماماً أنّ مقام "نصرة الحسين" لا يستحقه كل أحد، وأنّ الشهادة والفتح (ثمرتا اللحوق بالحسين كما جاء في كلامه) لا ينالهما إلا ذو حظ وتوفيق إلهي عظيم.

و أيضاً: كان الحسين عليه السلام يريد أصحاباً و أنصاراً يعلمون جيداً على ماذا يُقدِمون، ولهذا قال في خطبته في آخر ليلة في مكة: "من كان فينا باذلاً مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا" [٢]، وقال في خطبته في زبالة: " فمن كان منكم يصبر على حد السيف وطعن الأسنّة فليقم معنا وإلا فلينصرف عنا".

و أيضاً: كان الإمام الحسين ينعى نفسه في مواطن عديدة أمام جموع الملتحقين به، وهذه وسيلة أخرى للتمييز والغربلة، فمثلاً: قال في خطبته المكية الشهيرة: "كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلا، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً".

و أيضاً: عن الإمام الصادق قال: "لما صعد الحسين بن علي عليهما السلام عقبة البطن قال لأصحابه: ما أراني إلا مقتولاً، قالوا: وما ذاك يا أبا عبد الله، قال: رؤيا رأيتها في المنام، قالوا: وما هي قال: رأيت كلاباً تنهشني أشدها عليّ كلب أبقع" [٣].

عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: "خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقتله، وقال يوماً: ومن هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريا عليه السلام أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل" [٤].

١- ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ٦٢.

٢- مثير الأحزان، ابن نما: ٢٩. العوالم - الامام الحسين، عبد الله البحراني: ٢١٦ – ٢١٧.

٣- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٧.

٤- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٣٢.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

٣- العباس بن علي بن أبي طالب [١].
٤- عبد الله بن علي بن أبي طالب [٢].
٥- عثمان بن علي بن أبي طالب [٣].
٦- جعفر بن علي بن أبي طالب [٤].
٧- أبو بكر محمد بن علي بن أبي طالب [٥].
٨- أبو بكر بن الحسن بن علي [٦].
٩- القاسم بن الحسن بن علي [٧].

١- ولد سنة ٢٦ هـ، وأمه أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية التي ولدته أولاً ثم بعده عبد الله ثم جعفر ثم عثمان. يلقّب بقمر بني هاشم ويكنّى أبا الفضل، عاش مع أبيه أربع عشرة سنة وحضر معه بعض حروبه، ثم مع أخيه الحسن أربعاً وعشرين سنة، ومع أخيه الحسين أربعاً وثلاثين سنة وهي مدة عمره. كان شجاعاً فارساً وسيماً جسيماً، يقول الإمام الصادق في وصفه: "كان عمّنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله و أبلى بلاء حسناً ومضى شهيداً". وقال الإمام علي بن الحسين: "رحم الله العباس فلقد آثر و أبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله عز وجل منهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب. وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة". كان يلقّب بالسقّاء، وهو حامل لواء الحسين يوم عاشوراء. انظر: إبصار العين: ٥٦ – ٦١. ورد السلام عليه في زيارة الناحية: "السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقي الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه، لعن الله قاتليه يزيد بن الرقاد الحيتي وحكيم بن الطفيل الطائي" انظر: إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٧٤.

٢- ولد سنة ٣٤ هـ، وأمه أم البنين؛ فاطمة بنت حزام، بقي مع أبيه ست سنين ومع أخيه الحسن ست عشرة سنة ومع الحسين خمساً وعشرين سنة مدة عمره، قتله هاني بن ثبيت الحضرمي. انظر: إبصار العين: ٦٧ – ٦٨.

٣- ولد سنة ٣٦ هـ، وأمه أم البنين؛ فاطمة بنت حزام. بقي مع أبيه نحو أربع سنين ومع أخيه الحسن أربع عشرة سنة ومع الحسين ثلاث وعشرين سنة مدة عمره. روي عن علي عليه السلام: "إنما سميته عثمان بعثمان بن مظعون أخي"، رماه خولي بن يزيد الأصبحي بسهم، ثم جاءه رجل من بني أبان بن دارم فقتله. انظر: إبصار العين: ٦٨.

٤- ولد سنة ٣٨ هـ، وأمه أم البنين؛ فاطمة بنت حزام، قي مع أبيه نحو سنتين ومع أخيه الحسن نحو اثنتي عشرة سنة ومع الحسين إحدى وعشرين سنة مدة عمره، وروي أن علياً عليه السلام سمّاه باسم أخيه جعفر، قتله خولي بن يزيد الأصبحي. انظر: إبصار العين: ٦٩ – ٧٠.

٥- اسمه محمد الأصغر أو عبد الله، أمه ليلى بنت مسعود، قيل: قتله زجر بن بدر النخعي. انظر: إبصار العين: ٧٠.

٦- أمه أم ولد يقال اسمها رملة، قتله عبد الله بن عقبة الغنوي. انظر: إبصار العين: ٧١.

٧- أخو أبو بكر، أمه رملة، قتله عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي. انظر: إبصار العين: ٧٢.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

من التحق بالحسين(ع) في المدينة:

١٩- عبد الله بن يقطر الحميري [١].

٢٠- سليمان بن رزين، مولى الحسين بن علي [٢].

٢١- أسلم بن عمرو، مولى الحسين بن علي [٣].

٢٢- قارب بن عبد الله الدئلي، مولى الحسين بن علي [٤].

٢٣- منجح بن سهم، مولى الحسن بن علي [٥].

٢٤- سعد بن الحرث، مولى علي بن أبي طالب [٦].

٢٥- نصر بن أبي نيزر، مولى علي بن أبي طالب [٧].

٢٦- الحرث بن نبهان، مولى حمزة بن عبد المطلب [٨].

١- أخو الإمام الحسين بالرضاعة، التحق بالإمام وخرج معه من المدينة، أرسله الإمام إلى مسلم بن عقيل بالكوفة قبل خروجه من مكة بعد أن بلغه كتاب مسلم بالقدوم إلى الكوفة وبيعة أهلها له، فقبض عليه الحصين بن تميم وأرسله إلى ابن زياد فأمر به فرمي من أعلى القصر. انظر: إبصار العين، السماوي: ٩٣.

٢- التحق بالحسين وخرج معه من المدينة، أول شهداء الثورة الحسينية، أرسله الحسين أيام تواجده في مكة إلى أشراف أهل البصرة بكتاب يحثهم فيه على نصرته، وكان المنذر بن الجارود أحدهم، وكانت ابنته "بحرية" تحت عبيد الله بن زياد، فأخبر ابن زياد بالأمر فألقى عليه القبض وأمر بقتله وكان ذلك قبل مسير ابن زياد إلى الكوفة. انظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٢٨٠.

٣- كان أبوه تركياً، لازم الحسين من المدينة حتى كربلاء وقاتل معه ولما صرع كان به رمق فجاءه الحسين واعتنقه ووضع خده على خده فتبسم وقال: من مثلي و ابن رسول الله واضع خده على خدي ثم فاضت نفسه الطاهرة. انظر: إبصار العين: ٩٥ – ٩٦.

٤- خرج مع الحسين من المدينة إلى كربلاء واستشهد معه قبل ظهر عاشوراء. انظر: إبصار العين: ٩٦.

٥- خرج من المدينة مع ولد الحسن، واستشهد من الحسين في كربلاء. انظر: إبصار العين: ٩٦.

٦- كان مولى لأمير المؤمنين ثم انضم للحسن ثم الحسين عليهم السلام، خرج معه من المدينة إلى مكة ثم كربلاء واستشهد في الحملة الأولى. انظر: إبصار العين: ٩٦.

٧- أبوه من أولاد ملوك العجم، أهدي إلى الرسول ثم صار إلى أمير المؤمنين، ثم بعد الحسن انضم نصر إلى الحسين وخرج معه من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء واستشهد في الحملة الأولى. انظر: إبصار العين: ٩٧.

٨- كان نبهان مولى لحمزة، ثم انضم ابنه "الحرث" إلى الحسين بعد أمير المؤمنين، خرج معه من المدينة إلى كربلاء واستشهد معه في الحملة الأولى. انظر: إبصار العين: ٩٨.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

٣٤- جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاري الخزرجي [١].

٣٥- عمرو بن جنادة بن الحرث الخزرجي.

٣٦- بريربن خضير الهمداني المشرقي [٢].

٣٧- سعيد بن عبد الله الحنفي [٣].

٣٨- قيس بن مسهّر الصيداوي [٤].

٣٩- عابس بن شبيب الهمداني الشاكري [٥].

٤٠- شوذب بن عبد الله الهمداني الشاكري [٦].

٤١- الحجاج بن مسروق المذحجي الجعفي [٧].

١- صحب الحسين عليه السلام هو وعياله في مكة وجاءوا معه إلى كربلاء، واستشهد معه بالطف مع ابنه عمر بن جنادة، انظر: إبصار العين، السماوي: ١٥٨ – ١٥٩.

٢- تابعي ناسك قارئ للقرآن، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن أشراف أهل الكوفة، سار من الكوفة إلى مكة فاجتمع بالحسين عليه السلام ورافقه حتى استشهد في كربلاء. انظر: إبصار العين: ١٢١.

٣- من وجوه الشيعة بالكوفة، شجاع عابد، كان آخر من أوفده أهل الكوفة برسائلهم إلى الحسين عليه السلام في مكة برفقة هاني بن هاني، ثم عادا إلى الكوفة برسالة من الحسين إلى أهلها، نصر مسلم في الكوفة وبعث معه رسالة إلى الحسين فبقي معه وجاء معه إلى كربلاء واستشهد بالطف. انظر: إبصار العين: ٢١٦ – ٢١٨.

ورد السلام عليه في زيارة الناحية: "السلام على سعد بن عبد الله الحنفي، القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: لا والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك، والله لو أعلم أني اقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم اذرى، ويفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك، حتى القى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك و إنما هي موتة أو قتلة واحدة، ثم هي بعدها الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً، فقد لقيت حمامك، وواسيت إمامك، ولقيت من الله الكرامة في دار المقامة، حشرنا الله معكم في المستشهدين، ورزقنا مرافقتكم في أعلى عليين" إقبال الأعمال: ٣ / ٧٧.

٤- قيس بن مسهر بن خالد الأسدي الصيداوي، كان شجاعاً شريفاً مخلصاً في محبة أهل البيت عليهم السلام، رسول أهل الكوفة إلى الحسين، كما أنه الرسول بين الحسين ومسلم بين عقيل، آخر كتاب بعثه الحسين بيده لما كان في بطن الرمة فقبض عليه الحصين بن تميم (بعد مقتل مسلم) وبعثه إلى ابن زياد، فأمر به ابن زياد فأصعد القصر ورمي به من أعلاه فتقطع ومات" انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٧ – ٢٩٨؛ إبصار العين: ١١٢ – ١١٣.

٥- شجاع ناسك خطيب مخلص في ولائه لأمير المؤمنين عليه السلام و أبنائه، نصر مسلم بن عقيل بعد قدومه إلى الكوفة، وبعث بيده كتاباً إلى الحسين "الرائد لا يكذب أهله" ويطلب منه القدوم، فبقي معه حتى جاء إلى كربلاء واستشهد مع الحسين. انظر: إبصار العين: ١٢٦ – ١٣٠.

٦- من رجال الشيعة ووجوهها، كان حافظاً للحديث ومتحملاً له عن أمير المؤمنين عليه السلام، صحب مولاه عابس في الالتحاق بالحسين وهو في مكة وقدما معه إلى كربلاء واستشهدا معه. انظر: إبصار العين: ١٢٩.

٧- شيعي كوفي صحب أمير المؤمنين عليه السلام، ولما خرج الحسين إلى مكة لحقه وصحبه وجاء معه إلى كربلاء واستشهد يوم عاشوراء. انظر: إبصار العين: ١٥١ – ١٥٣.

٤٢- يزيد بن مغفل المذحجي الجعفي [١].

٤٣- عبد الرحمن بن عبد الله الهمداني الأرحبي [٢].

٤٤- الحجاج بن بدر التميمي السعدي [٣].

٤٥- قعنب بن عمر النمري [٤].

٤٦- يزيد بن ثبيط العبدي [٥].

٤٧- عبد الله بن يزيد بن ثبيط.

٤٨- عبيد الله بن يزيد بن ثبيط.

٤٩- الأدهم بن أمية العبدي [٦].

٥٠- سيف بن مالك العبدي [٧].

٥١- عامر بن مسلم العبدي [٨].

٥٢- سالم مولى عامر بن مسلم.

١- تابعي شيعي شاعر شجاع، من أصحاب أمير المؤمنين، شهد معه صفين وحرب الخوارج، لحق بالحسين في مكة وجاء معه واستشهد في كربلاء. انظر: إبصار العين، السماوي: ١٥٣.

٢- أوفده أهل الكوفة إلى الحسين مع قيس بن مسهر الصيداوي، ولما أرسل مسلماً إلى الكوفة أرسلهما معه، ثم عاد إلى الحسين فكان من جملة من استشهد معه في كربلاء. انظر: إبصار العين: ١٣١ – ١٣٢.

٣- بصري تميمي، جاء بكتاب يزيد بن مسعود إلى الحسين في مكة وبقي معه، واستشهد معه في كربلاء، انظر: إبصار العين: ٢١٣.

٤- من شيعة البصرة، جاء مع الحجاج السعدي إلى الحسين في مكة و انضما إليه، وحضرا الطف واستشهدا معه. انظر: إبصار العين: ٢١٥.

٥- كان شريفاً في قومه، عزم على المسير من البصرة إلى مكة للالتحاق بالحسين (فانتدب معه ابنان له عبد الله وعبيد الله فقال لأصحابه: إني قد أزمعت على الخروج و أنا خارج فقالوا له: انا نخاف عليك أصحاب ابن زياد فقال: إني والله لو قد استوت أخفافهما بالجدد لهان علي طلب من طلبني قال ثم خرج فقوى في الطريق حتى انتهى إلى حسين عليه السلام فدخل في رحله بالأبطح وبلغ الحسين مجيئه فجعل يطلبه وجاء الرجل إلى رحل الحسين فقيل له قد خرج إلى منزلك فأقبل في أثره ولما لم يجده الحسين جلس في رحله ينتظره وجاء البصري فوجده في رحله جالسا فقال بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال: فسلم عليه وجلس إليه فخبره الذي جاء له فدعا له بخير ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه فقتل معه هو و ابناه) تاريخ الطبري: ٣ / ٢٧٨؛ إبصار العين: ١٨٩ – ١٩٠.

٦- من شيعة البصرة، وفد على الحسين في مكة برفقة يزيد بن ثبيط واستشهد معه. انظر: إبصار العين: ١٩٢.

٧- من شيعة البصرة، وفد على الحسين في مكة برفقة يزيد بن ثبيط واستشهد معه. انظر: إبصار العين: ١٩٢.

٨- من شيعة البصرة، خرج مع مولاه سالم برفقة يزيد بن ثبيط وو افوا الحسين عليه السلام في مكة وقتلا معه في الطف. انظر: إبصار العين: ١٩١.

٥٣- زاهر بن عمرو الكندي [١].

وألحقت بهذه الفئة: من قتل مع مسلم بن عقيل بالكوفة، وهم:

٥٤- هانئ بن عروة المرادي المذحجي [٢].

٥٥- عبد الأعلى بن يزيد الكلبي [٣].

٥٦- عمارة بن صلخب الأزدي [٤].

من التحق بالحسين(ع) خلال مسيره إلى كربلاء:

كان مسير الحسين عليه السلام من مكة إلى كربلاء في الفترة الواقعة بين (٨ ذو الحجة – ٢ محرم سنة ٦١ هـ)، والملتحقون به من أنصاره في هذه الفترة، هم:

٥٧- زهير بن القين بن قيس البجلي [٥].

١- محب لآل محمد عليهم السلام، وممّن قام على زياد بن أبيه في الكوفة مع عمرو بن الحمق، حج سنة ٦٠ هـ، التقى بالحسين في مكة وصحبه وحضر معه إلى كربلاء واستشهد في الحملة الأولى، انظر: إبصار العين: ١٧٣.

٢- صحابي معمّر هو وأبوه من وجوه الشيعة، شيخ مراد وزعيمها، حضر مع أمير المؤمنين حروبه، موقفه مع مسلم بن عقيل في الكوفة معروف وقد تقدم ذكره، كان عمره يوم قتل قارب على التسعين عاماً. انظر: تنقيح المقال، المامقاني: ٣ / ٢٨٨؛ إبصار العين: ١٣٩ فما بعد.

٣- من شيعة الكوفة، خرج مع مسلم بن عقيل، فلما تخاذل الناس عن مسلم قبض عليه وسلّموه لابن زياد فحبسه، وبعد مقتل مسلم أخرجه ابن زياد إلى جبّانة السبيع فقتله، انظر: إبصار العين: ١٨٢.

٤- كوفي شيعي، ممّن بايع مسلم بن عقيل وخرج معه، فلما قتل مسلم جيء به لابن زياد فأمر بقتله. انظر: إبصار العين: ١٨٧ – ١٨٨.

٥- كوفي شجاع شريف في قومه، وافق الحسين في الطريق قرب "زرود، موضع يقع على طريق الحج يقع إلى الشرق من مدينة حائل السعودية"، والتحق به. روى ابن طاووس: إنّ زهير قال لزوجته: (وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي، ثم أعطاها مالها وسلّمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودّعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين عليه السلام) اللهوف في قتلى الطفوف: ٣١. ورد السلام عليه في زيارة الناحية: "السلام على زهير بن القين البجلي القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف: لا والله، لا يكون ذلك أبداً، أأترك ابن رسول الله أسيراً في يد الأعداء وأنجو أنا؟ لا أراني الله ذلك اليوم" إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٧٨.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

٦٧- أبو الشعثاء الكندي [١].
٦٨- جندب بن حجير الكندي الخولاني [٢].
٦٩- الحباب بن عامر بن كعب التيمي [٣].

من التحق بالحسين(ع) بعد نزوله بكربلاء:

كان نزول الحسين عليه السلام في كربلاء في الثاني من محرم سنة ٦١ هـ، ومن التحق به في الفترة الواقعة بين: (٢ – ٩ محرم) هم:

٧٠- أنس بن الحارث الأسدي الكاهلي [٤].
٧١- حبيب بن مظاهر الأسدي [٥].
٧٢- مسلم بن عوسجة الأسدي [٦].

١- يزيد بن زياد بن مهاصر الكندي الهدلي، كان شريفاً شجاعاً رامياً، خرج إلى الحسين من الكوفة ولحق به قبل أن يعترضه الحر بن يزيد الرياحي، دعا له الحسين يوم عاشوراء وقال: "اللهم سدد رميته واجعل ثوابه الجنة"، استشهد مع الحسين. انظر: إبصار العين، السماوي: ١٧١ – ١٧٢.

٢- من وجوه الشيعة وأصحاب أمير المؤمنين في الكوفة، خرج إلى الحسين ووافاه قبل اعتراض الحر الرياحي له، وجاء برفقته إلى كربلاء واستشهد معه، انظر: إبصار العين: ١٧٤.

٣- شيعي كوفي، بايع مسلماً وخرج إلى الحسين بعد التخاذل عن مسلم، والتحق به في الطريق قبل نزوله كربلاء، فلزمه واستشهد معه، انظر: إبصار العين: ١٩٥.

٤- صحابي كوفي كبير رأى النبي وسمع حديثه، روى عنه العامة والخاصة أنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول والحسين بن علي في حجره: إن ابني هذا يقتل بأرض من أرض العراق ألا فمن شهده فلينصره" انظر: اسد الغابة، ابن الاثير: ١ / ١٢٣؛ الإصابة، ابن حجر: ١ / ٦٨.

٥- صحابي كوفي رأى النبي صلى الله عليه وآله وصحب علياً عليه السلام في حروبه كلها، كان ممن كاتب الحسين ووفى له، ولما ورد مسلم بن عقيل ناصره وأخذ من الناس البيعة للحسين، وبعد دخول ابن زياد الكوفة وقتله مسلماً وفرار أنصاره حبسته عشيرته، خرج إلى كربلاء بعد وصول الحسين لها فكان يسير بالليل ويكمن في النهار. انظر: إبصار العين: ١٠١ – ١٠٢.

٦- صحابي رأى النبي وروى عنه، كان فارساً شريفاً عابداً، ممّن كاتب الحسين ووفى له، وممن أخذ البيعة له من أهل الكوفة بعد مجيء مسلم بن عقيل، اختفى مدة بعد مقتل مسلم وهانئ، ثم خرج إلى الحسين لما بلغه خبر وصوله إلى كربلاء. انظر: إبصار العين: ١٠٧ – ١٠٨.

ورد السلام عليه في زيارة الناحية: "السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي، القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: أنحن نخلي عنك، وبم نعتذر عند الله من أداء حقك، لا والله. حتى أكسر في صدورهم رمحي هذا،

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

٨٣- بشر بن عمرو بن الأحدوث الكندي [١].

٨٤- عمرو بن عبد الله الهمداني الجندعي [٢].

٨٥- سوار بن منعم بن حابس الهمداني النهدي [٣].

٨٦- الموقّع بن ثمامة الأسدي الصيداوي [٤].

٨٧- عبد الله بن عروة بن حراق الغفاري.

٨٨- عبد الرحمن بن عروة بن حراق الغفاري [٥].

٨٩- عبد الله بن عمير بن عباس الكلبي [٦].

٩٠- وهب بن وهب (ابن الحباب) الكلبي [٧].

١- لحق بالحسين بعد نزوله في كربلاء، وبلغه أنّ ابنه عمرو أسر في ثغر الري فسمع الحسين بذلك فقال له: "رحمك الله أنت في حل من بيعتي فاذهب واعمل في فكاك ابنك، فقال: أكلتني السباع حياً إن فارقتك يا أبا عبد الله"، ثم أعطاه الإمام أثواب بقيمة ألف دينار أرسلها لابنه محمد لفكاك أخيه. انظر: إبصار العين: ١٧٣ – ١٧٤.

ورد السلام عليه في زيارة الناحية: "السلام على بشر بن عمرو الحضرمي، شكر الله لك قولك للحسين وقد أذن لك في الانصراف: أكلتني إذن السباع حيّاً إن فارقتك وأسأل عنك الركبان، وأخذلك مع قلة الأعوان، لا يكون هذا أبداً" إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٧٧.

٢- جاء إلى الحسين في كربلاء وقاتل معه فجرح بضربة على رأسه، فاحتمله قومه وبقي مريضاً ومات إثر الضربة بعد سنة. انظر: إبصار العين: ١٣٦.

٣- جاء إلى الحسين في كربلاء وقاتل معه وجرح وأخذ أسيراً وأراد عمر بن سعد قتله فشفع فيه قومه وبقي عندهم جريحاً ومات بعد ستة أشهر. انظر: إبصار العين: ١٣٥ – ١٣٦.

٤- خلص إلى الحسين بالطف بعد أن خرج من الكوفة ليلاً. قاتل مع الحسين واستنقذه قومه وجاءوا به إلى الكوفة وأخفوه، وبلغ ابن زياد خبره فبعث عليه ليقتله فشفع فيه جماعة من بني أسد فلم يقتله لكن كبّله بالحديد ونفاه إلى الزارة. انظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٣٣٥؛ إبصار العين: ١١٧.

٥- الغفاريان: عبد الله وعبد الرحمن، من أشراف الكوفة وذوي الولاء لآل محمد عليهم السلام، التحقا بالحسين بعد نزوله كربلاء واستشهدا معه يوم العاشر، انظر: إبصار العين: ١٧٥.

٦- أبو وهب، شجاع شريف نزل الكوفة، رأى القوم بالنخيلة يُعرَضون ليسرّحون إلى قتال الحسين، فقرر السير إلى الحسين ونصرته وأخبر زوجته فخرجت معه، استشهد معه في كربلاء وحملت امرأته عموداً لتقاتل به الأعداء فردها الحسين مع النساء وقال: "جزيتم من أهل بيت خيراً"، انظر: إبصار العين: ١٧٩ – ١٨١.

٧- كان نصرانياً، أسلم على يد الحسين هو وأمه و أتبعوه إلى كربلاء، قاتل معه في الطف وتم أسره فأمر ابن سعد بقتله وقطع رأسه ورمي به إلى عسكر الحسين فأخذت أمه سيفه وبرزت فردها الحسين وقال: "يا أم وهب، وضع الله الجهاد عن النساء، إنك و ابنك مع جدي محمد في الجنة" انظر: الأمالي، الصدوق: ١٣٧؛ وسيلة الدارين، الزنجاني: ٢٠٢. ملاحظة: الشيخ السماوي لم يذكر وهب الكلبي ضمن أنصار الحسين في كتابه "إبصار العين"؛ ربما لأنه يرى اتحاده مع عبد الله بن عمير الكلبي السابق ذكره برقم (٨٩).

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

١٠٤- كردوس بن زهير بن الحرث التغلبي.

١٠٥- مقسط بن زهير بن الحرث التغلبي [١].

١٠٦- عبد الله بن بشر بن ربيعة الخثعمي [٢].

١٠٧- سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي [٣].

١٠٨- الحارث بن امرئ القيس الكندي [٤].

١٠٩- جوين بن مالك بن قيس التيمي [٥].

١١٠- الضرغام بن مالك التغلبي [٦].

١١١- عمر بن ضبيعة الضبعي التيمي [٧].

من التحق بالحسين(ع) يوم العاشر من محرم:

١١٢- الحر بن يزيد التميمي الرياحي [٨].

١- كان الإخوة الثلاثة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وشهدوا معه حروبه وبقوا في الكوفة، التحقوا بالحسين بعد نزوله بكربلاء، واستشهدوا معه، انظر: إبصار العين: ٢٠٠.

٢- خرج مع عسكر عمر بن سعد، ثم صار إلى الحسين قبل يوم العاشر واستشهد معه. انظر: إبصار العين: ١٧٠.

٣- شيخ شريف عابد شجاع مجرب في الحروب، لحق بالحسين في كربلاء، قاتل حتى أثخن بالجراح فأغمي عليه، ولما قتل الحسين أفاق وسمعهم يقولون: قتل الحسين، وكانوا أخذوا سيفه ومعه سكين خبأها فقاتلهم بها ثم عطفوا عليه وقتله عروة التغلبي وزيد الجهني. انظر: إبصار العين: ١٦٩ – ١٧٠.

٤- كوفي، خرج مع عسكر ابن سعد، ثم مال مع الحسين واستشهد معه. انظر: إبصار العين: ١٧٣ – ١٧٤.

٥- شيعي، خرج مع تيم إلى حرب الحسين، ثم مال إليه قبل العاشر واستشهد معه، انظر: إبصار العين: ١٩٤.

٦- شيعي كوفي، بايع مسلماً فلما خذل خرج مع ابن سعد فيمن خرج، ثم مال إلى الحسين واستشهد بين يديه يوم العاشر، انظر: إبصار العين: ١٩٩.

٧- كان فارساً مقداماً، خرج مع ابن سعد ثم دخل في أنصار الحسين فيمن دخل، استشهد في الحملة الأولى. انظر: إبصار العين: ١٩٤.

٨- كان فارساً ندبه ابن زياد لمعارضة الحسين في الطريق، كان يحدث نفسه بسبب سماعه هاتفاً يقول: "ابشر يا حر بالجنة"، وهو الذي جعجع بالحسين وعياله حتى نزلوا كربلاء، لحق بالحسين يوم عاشوراء قبل بدء القتال وقبل الإمام توبته واستشهد معه يوم عاشوراء، فوقف الحسين على مصرعه وقال: "أنت الحر كما سمتك أمك؛ حر في الدنيا وسعيد في الآخرة". انظر: إبصار العين، السماوي: ٢٠٣ فما بعد.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وخارج الطف اثنان، هما: هانئ بن عروة المرادي، عبد الله بن يقطر الحميري، فالمجموع خمسة [١]. ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أربعة وعشرون شخصاً.

٤- عدد الموالي المقتولين مع الحسين بالطف بلغ ستة عشر شخصاً [٢].

٥- ستة من أنصار الحسين قتلوا مع أبنائهم، وهم: يزيد بن ثبيط و ابناه عبد الله وعبيد الله، جنادة بن الحارث و ابنه عمرو، مجمع بن عبد الله المذحجي و ابنه عائذ، مسعود بن الحجاج و ابنه عبد الرحمن. وأما عمار بن حسان فهو قتل بالطف مع الحسين و أبوه حسان قتل في صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام.

٦- مجموعة من أنصار الحسين عليه السلام - كما رأينا في تراجمهم - خرجوا ابتداء مع عسكر ابن سعد ثم تسلّلوا من عسكره والتحقوا بالحسين قبل يوم العاشر بل بعضهم في يوم العاشر، ويبدو أنها كانت وسيلة سلكها بعض أتباع ومحبي أهل البيت للحوق بالحسين نتيجة شدة الإجراءات الأمنية المتخذة من قبل سلطة ابن زياد في الكوفة.

عدد أنصار الحسين(ع):

ورد أكثر من تحديد لأنصار الحسين، والسبب في الاختلاف ربما يعود لأمور، منها:

- إنّ الروايات الواردة في ذلك بُنيت على تقديرات شهود العيان الذين كانوا يعتمدون الرؤية البصرية والتخمين وليس الإحصاء الدقيق.

١- انظر: إبصار العين، السماوي: ٢٢١.

٢- هذه أسماؤهم مع أرقام تراجمهم المتقدمة: سليمان وأسلم وقارب موالي الحسين (٢٠، ٢١، ٢٢)، منجح مولى الحسن (٢٣)، نصر وسعد موليا علي (٢٤، ٢٥)، الحرث مولى حمزة (٢٦)، جون مولى أبي ذر (٢٧)، عقبة مولى الرباب (٢٨)، شوذب مولى شاكر (٤٠)، سالم مولى عامر العبدي (٥٢)، سعد مولى عمرو الصيداوي (٦٢)، واضح مولى الحارث السلماني (٦٤)، شبيب مولى الحرث الجابري (٧٦)، سالم مولى بني المدينة (٩٠)، رافع مولى مسلم الأزدي (٩٢).

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الأولى: رواية أبي مخنف عن الضحاك بن عبد الله المشرقي (شاهد عيان) [١]، وقد حددت عدد الأنصار بـ ٧٢ شخصاً، وهو التحديد المشهور بين المؤرخين، قال الضحاك: (فلما صلى عمر بن سعد الغداة ..... وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء، خرج فيمن معه من الناس ..... وعبأ الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً) [٢]. وقد اعتمد العدد المذكور - إضافة للطبري - مؤرخون آخرون؛ منهم: الدينوري واليعقوبي والمفيد وغيرهم [٣].

وهناك تقديرات أخرى لم تبلغ المائة أيضاً، مثل: (٧٨، ٨٢، ٨٧) [٤].

الثانية: رواية أخرى للطبري عن سعد بن عبيدة (شاهد عيان من جيش ابن سعد)، حددت العدد بما يقرب من ١٠٠ شخص، قال سعد: (وإني لأنظر إليهم وإنهم لقريب من مائة رجل فيهم لصلب علي بن أبي طالب خمسة ومن بني هاشم ستة عشر) [٥].

الثالثة: رواية المسعودي، قال: (فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمي ..... فعدل إلى كربلاء، وهو في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه، ونحو مائة راجل) [٦]. وهي مخالفة للروايات الأخرى والزيارات الواردة، والأقرب أنها ربما كانت ناظرة إلى العدد بعد خروج الحسين عليه السلام من مكة وقبل إخباره لجموع الملتحقين به بمقتل مسلم وهانئ وابن يقطر ونعيه نفسه الذي أدّى إلى انصراف الكثيرين منهم كما عرفنا في البحوث السابقة.

١- كان أحد أنصار الحسين، لكنه اشترط على الإمام أن يكون في حل من أمره إن لم يكن لنصرته فائدة.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٠. وروى أيضاً: (فقتل من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون رجلا) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٨.

٣- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٦؛ تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٣٠؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩٥.

٤- أما قول ٧٨: (١٨ من أهل بيت الحسين +٦٠ من سائر الأنصار)، فقد نقله الطبري عن زحر بن قيس؛ مبعوث ابن زياد بالرؤوس إلى الشام، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥١. وأما قول ٨٢: فقد ذكره المجلسي في البحار: ٤٥ / ٤، وأما قول ٨٧: فقد ذكره المسعودي في مروج الذهب: ٣ / ٦١.

٥- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٥.

٦- مروج الذهب، المسعودي: ٣ / ٦١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

يدعو للمفاخرة والتباهي فمن البعيد جداً أن تكون رؤوسهم قد قطعت وحملت مع رؤوس الطالبيين وبقية الأنصار، ويكون العدد الذي ذكره المؤرخون غير شامل للأطفال والموالي؛ وعددهم كما عرفنا يبلغ ٢٠ شخصاً، وإذا أضفنا لهم الشهداء التسعة من الأنصار الذين قتلوا خارج أرض كربلاء، إضافة إلى الحر بن يزيد الرياحي الذي لم يسمح قومه بقطع رأسه، يكون المجموع ثلاثين شخصاً، وعند إضافتهم إلى العدد المذكور (٧٢ أو ٧٨) يصبح المجموع مائة ونيف، وهو يؤيد رواية المائة أيضاً.

لهذا اعتمدنا الإحصاء الذي ذكره الشيخ السماوي في كتابه "إبصار العين"؛ لأنه قد يكون الأقرب إلى الواقع وطبيعة الأحداث والله أعلم، وهذا يعني أنّ الروايات التي تذكر السبعين إما إنها لا تشمل الأنصار الطالبيين، أو تشملهم لكنها لا تشمل الأطفال والموالي ومن قتل خارج الطف، كرواية حمران عن الإمام الباقر عليه السلام:

(قال: قلت له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله زعم ولد الحسن عليه السلام أنّ القائم منهم وأنهم أصحاب الأمر، ويزعم ولد ابن الحنفية مثل ذلك، فقال: رحم الله عمي الحسن عليه السلام لقد غمد الحسن عليه السلام أربعين ألف سيف حين أصيب أمير المؤمنين عليه السلام وأسلمها إلى معاوية، ومحمد بن علي سبعين ألف سيف قاتله، لو خطر عليهم خطر ما خرجوا منها حتى يموتوا جميعاً، وخرج الحسين صلوات الله عليه فعرض نفسه على الله في سبعين رجلاً من أحق بدمه منّا، نحن والله أصحاب الأمر، وفينا القائم، ومنا السفاح والمنصور، وقد قال الله: "ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا" نحن أولياء الحسين بن علي عليهما السلام وعلى دينه) [1].

٥- يطرح البعض في الفترة الأخيرة آراء تبيّن أنّ عدد أنصار الحسين عليه السلام أكثر بكثير من العدد المتداول والمعروف، وحجتهم في ذلك: إنّ الانسان العادي (وبعضهم يضرب مثلاً بنفسه) لو أراد أن يحشّم ويجمع الناس معه لأمرٍ ما لاستطاع أن يجمع معه ألفاً وربما

الأشعث، وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور، وجاءت الأزد بخمس رؤوس مع عهمة بن زهير، وجاءت ثقيف باثني عشر رأساً مع الوليد بن عمرو) الأخبار الطوال: ٢٥٩.

١- تفسير العياشي: ٢ / ٢٩١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

هل كان زهير بن القين عثمانياً؟

تقدم في ترجمة زهير بن القين رضوان الله عليه أنه التقى بالحسين في "زرود" [١] أثناء رجوعه من الحج، والتحق بالإمام بعد لقائه به وقام بإرسال زوجته إلى أهلها ليتفرّغ هو إلى نصرة الحسين. لكن بعض المؤرخين ذكروا أنّ زهيراً - ابتداءً - كان لا يرغب بلقاء الحسين أو النزول معه في منزل واحد أثناء المسير، أو أنه تلكأ في استجابة دعوة الحسين حتى حثّته زوجته على الذهاب إليه [٢].

و أيضاً: بعضهم أضاف إلى ذلك أنه كان عثماني الهوى [٣].

ولأجل بيان الحق في المسألة، هذه بعض الملاحظات:

١- بالنسبة إلى مسايرة الركبين (ركب الحسين، وركب زهير) عند الخروج من مكة فهو أمر لا يمكن تعقله؛ إذ لا شك أنّ الإمام الحسين خرج من مكة يوم التروية (قبل الحج بيوم)، وأنّ زهير ومن معه - ومنهم زوجته - رجعوا من مكة بعد أداء الحج، فكيف حدثت

١- موضع على طريق الحج بين مكة والعراق.

٢- روى الطبري: (عن رجل من بنى فزارة ... قال: كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين وإذا نزل الحسين تقدم زهير حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بدّاً من أن ننازله فيه فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب فبينا نحن جلوس نتغدى من طعام لنا إذا أقبل رسول الحسين حتى سلم ثم دخل فقال: يا زهير بن القين إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه قال: فطرح كل انسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير... فحدثتني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين قالت فقلت له: أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه سبحان الله لو أتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت قالت: فأتاه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم وحمل إلى الحسين ثم قال لامر أته: أنت طالق الحقي بأهلك فاني لا أحب أن يصيبك من سببي إلا خير ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد إني سأحدثكم حديثاً: غزونا بلنجر ففتح الله علينا وأصبنا غنائم فقال لنا سلمان الباهلي (الفارسي. انظر: الإرشاد: ٢ / ٧٣): أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم فقلنا: نعم فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم فأما أنا فإني أستودعكم الله قال: ثم والله ما زال في أول القوم حتى قتل) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٨ – ٢٩٩. وفي رو اية الدينوري: (فأبى أن يلقاه) الأخبار الطوال: ٢٤٦.

٣- قال البلاذري: "قالوا: وكان زهير بن القين البجلي بمكة، وكان عثمانياً، فانصرف من مكة متعجلاً فضمّه الطريق وحسيناً فكان يسايره ولا ينازله، ....." أنساب الأشراف: ٣ / ٣٧٨ – ٣٧٩.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

٣- هناك نصوص تاريخية أكدت أنّ الحسين عليه السلام بعث على زهير ليدعوه إلى نصرته عند اجتماع الركبين في "زرود"، ومسألة أنّ زهير كان لا يرغب بلقاء الحسين والالتحاق به أحدثت جدلاً بين المؤرخين والباحثين، بين مثبت لها اعتماداً على أقوال بعض المؤرخين كما رأيناه في نص الطبري مثلاً، وبين من يعتبر ذلك إساءة بحق زهير ومن ثمَّ ينبغي تنزيه ساحته عنها! وبالتالي فالأمر- كما نرى - غير محسوم. وكذلك: من الأمور التي تحتاج إلى بيان وحسم أيضاً:

- لماذا طلّق زوجته؟ كما ورد في نص الطبري المتقدم.
- ما هو حال زهير السابق، هل كان فعلاً عثمانياً، أم شيعياً، أم غير ذلك وأنّ لقاءه بالحسين هو الذي غيّره؟

ولأجل حسم الأمر سألت السيد أحمد الحسن عن الأسئلة المعلّقة أعلاه التي تخص زهر بن القين، فأجاب: (زهير بن القين لم يكن معروفاً عنه أنه من شيعة آل محمد عليهم السلام في الكوفة. ومسألة هل كان راغباً بلقاء الحسين أم لا فلا إشكال في أنه لم يلتحق بالحسين عليه السلام حتى دعاه الحسين إلى نصرته عند اللقاء به. أما مسألة طلاق زوجته فهي غير دقيقة. نعم، هو أرسلها لأهلها لما قرّر الالتحاق بركب الحسين عليه السلام.

و أيضاً: لا إشكال في أن يكون حال زهير سابقاً مداهناً للسلطة في أيام حكم معاوية، ثم غيّر موقفه بعد أن التقى بالحسين عليه السلام ورآه وسمع كلامه فأصبح من الشيعة المخلصين، فالحر الرياحي لم يكن من شيعة الحسين عليه السلام بل كان قائداً عسكرياً في جيش السلطة وغيّر موقفه، وبالتالي فلا إشكال أن يكون زهير قد قرّر نصرة الحسين بعد لقائه بالحسين وغيّر موقفه بعد رؤية الحسين وسماع كلامه. فليس بالضرورة أن يكون زهير عثمانياً أو أموياً أو موالياً مخلصاً للسلطة الأموية، وكذا ليس بالضرورة أن يكون موالياً لآل محمد عليهم السلام، فالحق أن نرى الأمور كما هي في الواقع، ولا إشكال - كما قلت - إن لم يكن زهير من شيعة آل محمد ومحبيهم وتغيّر موقفه بعد لقاء الحسين عليه السلام) انتهى [١].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الأصحاب. قال لراوي: وارتج الموضع بالبكاء والعويل لقتل مسلم بن عقيل وسالت الدموع كل مسيل) [١].

هل كان بنو عقيل سبباً في إتمام الحسين(ع) مسيره إلى العراق؟

لاحظنا في الرواية التاريخية المتقدمة أنّ الأسديين لما أبلغا الإمام الحسين بمقتل مسلم بن عقيل وناشداه الانصراف والرجوع، قال بنو عقيل بن أبي طالب: "لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا".

ورواها ابن قتيبة بهذا الشكل، قال: (وذكروا أنّ عبيد الله بن زياد بعث جيشاً عليهم عمرو بن سعيد وقد جاء الحسين الخبر فهمَّ أن يرجع ومعه خمسة من بني عقيل فقالوا له: أترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما نثق به، فقال لبعض أصحابه: والله ما لي عن هؤلاء من صبر) [٢].

وبعض المؤرخين روى الحادثة بالنحو التالي: (ابن سعد، عن الواقدي، وغيره، بإسنادهم، أن عمر بن سعد بن أبي وقاص أرسل رجلاً على ناقة إلى الحسين، يخبره بقتل مسلم بن عقيل، وكان قد بعثه الحسين إلى الكوفة كما مر في سنة ستين، فقال للحسين ولده علي الأكبر: يا أبه ارجع، فإنهم أهل العراق وغدرهم، وقلة وفائهم، ولا لك بشيء، فقالت بنو عقيل: ليس هذا حين رجوع، وحرضوه على المضي) [٣].

وعموماً، فإنّ هذا النقل التاريخي صار سبباً في أن يتوهم البعض بأنّ الإمام الحسين همَّ بالانصراف والرجوع بعد بلوغه خبر مقتل مسلم وتبيّن خذلان أهل الكوفة له، لكن إصرار بني عقيل على الثأر لدم مسلم كان هو السبب في أن يتم مسيره إلى العراق!

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٣٢. زبالة: موضع على طريق الحج بين مكة والكوفة تقع قرب مدينة رفحاء السعودية.

٢- الإمامة والسياسة: ٢ / ٥.

٣- تاريخ الإسلام، الذهبي: ٥ / ١١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

يكون موقفهم وطلب الثأر هو السبب في إتمام المسير إلى العراق فهذا شيء آخر لا دليل عليه بل الدليل قائم على خلافه.

وأما رواية ابن قتيبة فلا يُعلم قائلها (قال: وذكروا)، وأيضاً: متنها لا يصح؛ إذ إنّ عمرو بن سعيد والي مكة والمدينة وابن زياد والي الكوفة والبصرة ولا سلطة له على عمرو بن سعيد، ومن بعثه ابن زياد هو عمر بن سعد وكان بعثه إلى كربلاء وليس إلى الثعلبية.

رابعاً: بخصوص رواية (ابن سعد)، فإنها باطلة أو محرّفة قطعاً؛ من جهتين:

الأولى: إنّ عمر بن سعد - كما أشرنا سابقاً - لم ينفّذ شيئاً من وصايا مسلم بن عقيل الثلاث له في قصر ابن زياد، بل خانه في نفس المجلس وأخبر ابن زياد بما طلبه منه مسلم، حتى إنّ ابن زياد لامه على فعله: (فقال عمر لابن زياد: أتدري أيها الأمير ما قال لي؟ إنه ذكر كذا وكذا، فقال له ابن زياد: إنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن) [١].

الثانية: الثابت القطعي أنّ علي الأكبر قال لأبيه: "لا نبالي أن نموت محقين"، ومن كانت هذه شجاعته وهمّته في نصرة الحق لا يمكن أن يقترح على أبيه الرجوع!

روى المؤرخون أنّ الإمام الحسين لما ارتحل عن "قصر بني مقاتل" (خفق وهو على ظهر فرسه خفقة ثم انتبه، وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس فقال: مم حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بني، إني خفقت خفقة فعنَّ لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا فقال له: يا أبت لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟ قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد قال: فإننا إذاً لا نبالي أن نموت محقين، فقال له الحسين: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده) [٢].

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٢؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٦١؛ الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٤ / ٣٥.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٨؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٢؛ الكامل في التاريخ، ابن لااثير: ٤ / ٥١. وروى ابن طاووس أنّ الحادثة حصلت في "الثعلبية" وأنّ علي الأكبر قال: "يا أبه، إذن لا نبالي بالموت" اللهوف في قتلى الطفوف: ٣٠. وروى الصدوق أنها حصلت في "عذيب الهجانات"، انظر: الأمالي: ١٣١. الثعلبية وعذيب الهجانات: مواضع في الطريق.

وبهذا يتضح بطلان ما توهمه البعض من أنّ الحسين همَّ بالانصراف لما بلغه مقتل مسلم [١]. والحقيقة، ليس في فكر الحسين شيء اسمه الانصراف والعودة أصلاً، وسيأتي أنه استمر في مسيره بعد ورود نبأ مقتل رسوله قيس بن مسهّر، واستمر في مسيره بعد أن اعترضه الحر بن يزيد الرياحي وجيشه ومنعوه من الاقتراب من الكوفة، واستمر في مسيره رافضاً العرض الذي تقدم به الطرماح بن عدي للسير به إلى مكان آمن ومنيع، وهكذا فقد رفض كل العروض التي قُدّمت له ولم يقبل إلا أن ينيخ ركابه في كربلاء؛ أرض الميعاد!

ثم إنه روي: بعد بلوغ نبأ مقتل مسلم بن عقيل للحسين عليه السلام قال لحميدة بنت مسلم: "يا ابنتي! أنا أبوكِ وبناتي أَخواتكِ" [٢]. و أيضاً: روي أنّ إياس بن العثل الطائي (رسول ابن الأشعث) لقي الحسين في "زبالة" وأخبره بمقتل مسلم، فقال: "كل ما حمَّ نازل وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا" [٣].

وروى ابن طاووس: (ثم إنّ الحسين عليه السلام سار قاصداً لما دعاه الله فلقيه الفرزدق الشاعر فسلّم عليه وقال: يا ابن رسول الله كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته. قال: فاستعبر الحسين عليه السلام باكياً ثم قال: رحم الله مسلماً فلقد صار إلى روح الله وريحانه وجنته ورضوانه أما إنه قد قضى ما

وما سمعه الإمام الحسين عليه السلام شبيه بما حصل مع أخته السيدة زينب عليها السلام في "الخزيمية"؛ إذ أقبلت إليه وقصّت عليه ما رأته فقالت: خرجت في بعض الليل فسمعت هاتفاً يقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهدِ ومن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا بمقدارٍ إلى إنجاز وعدِ

فقال لها الحسين: "يا أختاه المقضيُّ هو كائن" انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٢. والخزيمية: موضع على طريق الحج، يقع قبل "زرود" وقرب "الثعلبية" في الحجاز.

١- قال السيد المرتضى: (وقد همَّ سيدنا أبو عبد الله عليه السلام لما عرف بقتل مسلم بن عقيل، وأشير عليه بالعود فوثب إليه بنو عقيل وقالوا والله لا ننصرف حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أبونا. فقال عليه السلام: لا خير في العيش بعد هؤلاء) تنزيه الأنبياء: ٢٣٠.

٢- موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٢٥.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨١؛ الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٤ / ٣٣، وفيه: "كل ما قدّر نازل عند الله نحتسب ...".

عليه وبقي ما علينا) [١]. أقول: هذا اللقاء إن صح فهو الثاني بعد لقاء الفرزدق الأول بالإمام يوم التروية عند خروجه عليه السلام بركبه من مكة كما تقدم.

عبد الله بن يقطر الحميري:

المشهور بين المؤرخين أنّ الإمام الحسين أرسل عبد الله بن يقطر إلى مسلم بن عقيل بعد خروجه من مكة، حاملاً له جواب كتابه الذي كان قد وصل للحسين ويخبره فيه باجتماع الناس على بيعته ويسأله القدوم إلى الكوفة، فقبض عليه الحصين بن تميم في القادسية (القريبة من الكوفة)، وبعثه إلى ابن زياد فطلب منه أن يصعد أعلى القصر ويلعن الحسين و أباه عليهما السلام، فصعد القصر ولما أشرف على الناس قال: "أيها الناس، أنا رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله إليكم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة و ابن سمية الدعي بن الدعي، فأمر به عبيد الله فأُلقي من فوق القصر إلى الأرض فتكسّرت عظامه وبقي به رمق، فأتاه عبد الملك بن عمير (قاضي الكوفة وفقيهها) فذبحه بمدية، فلما عيب عليه قال: أردت أن أريحه" [٢]. بناءً على هذا فإنّ شهادته تكون قبل شهادة مسلم بن عقيل. وذكر بعضهم: أنّ عبد الله قتل في اليوم الأول من وصول ابن زياد إلى الكوفة [٣].

وعموماً، فقد تقدم أنّ الإمام الحسين علم بمقتل مسلم وهانئ في منطقة "الثعلبية" عن طريق الرجلين الأسديين، ولما بلغ "زبالة" القريبة منها بلغه خبر مقتل عبد الله بن يقطر، وكان معه أنصار كثيرون التحقوا به في مكة و أثناء الطريق، فـ (أخرج للناس كتاباً فقرأ عليهم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام قال: فتفرّق الناس عنه تفرّقاً فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة، و إنما فعل ذلك لأنه ظن أنما اتبعه الاعراب

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٤٥.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٠؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٠.

٣- انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد: ٦٥، تحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

سألت السيد أحمد الحسن عن هذا الحديث، فقال:

(لا أعتقد أنّ الحديث مناسباً. إذا كنت تريد الكلام مع الناس عموماً فهكذا أحاديث بغض النظر عن صحتها أو تحريفها أو مبالغة بعض الغلاة بها فهي غير مناسبة.

ثانياً: كيف لم يرضع الحسين من فاطمة؟ شرف للحسين أنه ابن فاطمة وأنّ فاطمة أرضعته. صيغة الحديث تنتقص من فاطمة: "لم يرضع من أنثى الخ"، وما بها الأنثى أصلاً فضلاً عن أن تكون فاطمة؟!

أما نبت لحمه من لحم رسول الله كعبارة فلا إشكال فيها. وأما شبعه من إبهام رسول الله في بعض الأحيان التي لم يكن لفاطمة حليب ترضعه فلا إشكال فيه. كلاهما يصح) انتهى [١].

قيس بن مسهّر الصيداوي:

لما وصل الإمام الحسين في مسيره إلى الحاجر من "بطن الرُمّة" [٢] أرسل قيس بن مسهّر الصيداوي إلى أهل الكوفة وبعث معه كتاباً إليهم جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألت الله أن يحسن لنا الصنع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الاجر وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجدّوا فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) [٣].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- بطن الرمة: منزل يجمع طريق البصرة والكوفة إلى المدينة المنورة، انظر: مراصد الاطلاع، صفي الدين البغدادي: ٢ / ٦٣٤. وهو عبارة عن وادي يقع في شرق السعودية.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٧.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

كما لا يخفى على المتابع [١]. وبحسب ما انتهينا إليه في تسلسل أحداث شهادة رسل الحسين عليه السلام: كانت شهادة مسلم بن عقيل في: ٨ ذو الحجة ٦٠ هـ، وشهادة عبد الله بن يقطر قبل هذا التاريخ، وأما شهادة قيس بن مسهّر فكانت بعد هذا التاريخ لكنها قبل دخول محرم ووصول الركب الحسيني إلى كربلاء في اليوم الثاني منه تحديداً.

أما متى علم الحسين عليه السلام بمقتله؟ فالظاهر - بحسب النقل التاريخي - أنه علم به لما بلغ "عذيب الهجانات" [٢] إذ التقى بمجموعة من أنصاره منهم نافع بن هلال ومجمع بن عبد الله العائذي وآخرين وسألهم عن رسوله قيس بن مسهر الصيداوي، فقالوا: (أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك فصلّى عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد و أباه ودعا إلى نصرتك وأخبرهم بقدومك فأمر به ابن زياد فألقى من طمار القصر، فبكى الحسين عليه السلام وقال: "منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ورغائب مذخور ثوابك") [٣].

رؤى الحسين(ع):

من بين الأمور التي توضّحت بشكل جيد فيما تقدم هي علم الإمام الحسين عليه السلام بمصيره، وليس وضوح الأمر عنده يعود إلى إخبار جده و أبيه صلوات الله عليهما فحسب، ولكن المسألة لها علاقة أيضاً بما كان يراه الحسين صلوت الله عليه من رؤى

١- بحسب روايات بعض المؤرخين فإنّ الإمام الحسين أرسل عبد الله بن يقطر بعد خروجه من مكة بدون تحديد اسم المكان، في حين ورد بحق قيس بن مسهّر أنه أرسله من بطن الرمة، وهناك من يرى أنّ الامام أرسل عبد الله بن يقطر مع مسلم بن عقيل إلى الكوفة ولما رأى مسلم الخذلان بعثه إلى الحسين ليخبره بالأمر فألقي القبض عليه بعد خروجه من الكوفة، انظر: إبصار العين في أنصار الحسين، السماوي: ٩٤.

٢- موضع في العراق يقع على طريق الحج بين (كوفة - مكة)، يبعد ٣٠ كم عن ناحية الرُهيمة (قرية إلى الغرب من مركز مدينة النجف وتبعد عنه ٤٠ كم)، ويبعد عذيب الهجانات عن الكوفة ٨٠ كم تقريباً.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٥ – ٣٠٦؛ تجارب الأمم، الرازي: ٢ / ٦٥.

صادقة، ولا شك أنّ الرؤيا وحي إلهي وجزء من النبوة وكلام الله عند عبده [١]؛ خصوصاً إذا كان الرائي إماماً معصوماً.

الإمام الحسين لم تكد تفارقه الرؤى خلال ثورته المباركة، فمنذ أن أطلق "لاءه" بوجه طغاة بني أمية في المدينة وعزم على تركها كان قد رأى جده الرسول صلى الله عليه وآله وأخبره في الرؤيا بما سيلاقيه:

روى ابن أعثم: (قال: وخرج الحسين بن علي من منزله ذات ليلة وأتى إلى قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله! أنا الحسين ابن فاطمة، أنا فرخك وابن فرختك وسبطك في الخلف الذي خلفت على أمتك فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني وأنهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتى ألقاك - صلى الله عليك وسلم -. ثم وثب قائماً وصف قدميه ولم يزل راكعاً وساجداً. ..... فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضا فصلى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: اللهم! إنّ هذا قبر نبيك محمد وأنا ابن بنت محمد وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم! وإني أحب المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضى.

قال: ثم جعل الحسين يبكي حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعة، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أقبل في كبكبة من الملائكة عن يمينه وعن

١- المسألة متواترة في روايات المسلمين عموماً، وهذه نماذج منها:

- روى الصدوق بسنده: "عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال ... ولقد حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني، لان الشيطان لا يتمثل في صورتي، ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة" الأمالي: ١٢١.

- روى البخاري بسنده: "عن أبي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة" صحيح البخاري: ٨ / ٦٩.

- روى أحمد بن حنبل بسنده عن: "أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي قال فشق ذلك على الناس قال قال ولكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال رؤيا الرجل وهي جزء من أجزاء النبوة" مسند أحمد: ٣ / ٢٦٧.

شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى ضم الحسين إلى صدره وقبل بين عينيه وقال: يا بني! يا حسين! كأنك عن قريب أراك مقتولا مذبوحا بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي و أنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة! فما لهم عند الله من خلاق، حبيبي يا حسين! إن أباك وأمك [وأخاك] قد قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة. قال: فجعل الحسين ينظر في منامه إلى جده صلى الله عليه وآله وسلم ويسمع كلامه وهو يقول: يا جداه! لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا أبدا فخذني إليك واجعلني معك إلى منزلك. قال: فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا حسين! إنه لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم فإنك و أباك وأخاك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة.

قال: فانتبه الحسين من نومه فزعاً مذعوراً فقص رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب، فلم يكن ذلك اليوم في شرق ولا غرب أشد غمّاً من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا أكثر منه باكياً وباكية) [١].

وفي أيام تواجده في مكة رأى الحسين عليه السلام الرسول صلى الله عليه وآله مرة أخرى وأمره بالمسير إلى العراق:

روى ابن طاووس: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة فقال يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه. فقال: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت فقال له: ابن الحنفية فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد فقال: أنظر فيما قلت. فلما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها. فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلا فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٨ – ١٩.

فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء ان يراك قتيلا، فقال له ابن الحنفية: إنا لله و إنا إليه راجعون فما معنى حملك هؤلاء النساء معك و أنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال فقال له: قد قال لي إن الله قد شاء أن يراهن سبايا وسلم عليه ومضى) [١].

وروي: (جاء عبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير فأشارا عليه بالإمساك، فقال لهما: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمرني بأمر و أنا ماضٍ فيه، قال: فخرج ابن العباس وهو يقول: وا حسيناه، ...) [٢]. والإمساك: أي عدم المسير إلى العراق.

وفي طريقه إلى العراق رأى الإمام الحسين رؤيا أوّلها بما سيجري عليه، قال الإمام الصادق عليه السلام: "لما صعد الحسين بن علي عليهما السلام عقبة البطن قال لأصحابه: ما أراني إلا مقتولاً، قالوا: وما ذاك يا أبا عبد الله؟ قال: رؤيا رأيتها في المنام، قالوا: وما هي؟ قال: رأيت كلاباً تنهشني أشدها عليّ كلباً أبقع" [٣].

وروى المؤرخون أنّ الإمام الحسين لما ارتحل عن "قصر بني مقاتل" (خفق وهو على ظهر فرسه خفقة ثم انتبه، وهو يقول: إنا لله و إنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس فقال: مم حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بني، إني خفقت خفقة فعنَّ لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا فقال له: يا أبت لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟ قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد قال: فإننا إذاً لا نبالي أن نموت محقين، فقال له الحسين: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده) [٤].

وبعد ظهر يوم التاسع من المحرم، رأى الإمام الحسين رؤيا بجده رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً، وتحديداً عندما استنفر عمر بن سعد لعنه الله جيشه للهجوم وزحف

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٣٩ – ٤٠.

٢- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٦٤.

٣- كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٥٧.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٨؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٢؛ الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٤ / ٥١. وروى ابن طاووس أنّ الحادثة حصلت في "الثعلبية" وأنّ علي الأكبر قال: "يا أبه، إذن لا نبالي بالموت" اللهوف في قتلى الطفوف: ٣٠. وروى الصدوق أنها حصلت في "عذيب الهجانات"، انظر: الأمالي: ١٣١. الثعلبية وعذيب الهجانات: مواضع في الطريق.

نحو مخيّم الحسين بعد صلاة العصر والإمام الحسين كان جالساً أمام خيمته مستنداً إلى سيفه: (إذ خفق برأسه على ركبتيه وسمعت أخته زينب الصيحة فدنت من أخيها فقالت يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت قال فرفع الحسين رأسه فقال إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي إنك تروح إلينا) [١].

و أيضاً: روى بعض المؤرخين رؤيا للحسين عليه السلام كانت في فجر يوم عاشوراء، منهم الخوارزمي قال: (فلما كان وقت السحر خفق الحسين برأسه خفقة ثم استيقظ فقال: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟ قالوا: فما رأيت يا بن رسول الله؟ فقال: رأيت كلاباً قد شدّت عليّ تناشبني لتنهشني، وفيها كلب أبقع رأيته كأشدّها عليّ، وأظن الذي يتولّى قتلي رجلاً أبرص من بين هؤلاء القوم، ثم إني رأيت بعد ذلك جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول لي: يا بني! أنت شهيد آل محمد! وقد استبشر بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجّل ولا تتأخر! فهذا ملك نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء، فهذا ما رأيت وقد أزف الأمر و اقترب الرحيل من هذه الدنيا) [٢].

كانت هذه بعض الرؤى التي رآها الإمام الحسين عليه السلام أثناء ثورته المباركة.

اعتراض الحر الرياحي للحسين(ع):

يمكننا أن نعتبر الحر بن يزيد الرياحي وجيشه (وهم كوفيون كما سيتضح) يمثّلون الفئة التي ليس لدى أفرادها موقف عقائدي معيّن، وكل همّهم العيش بصرف النظر عن هوية الحاكم من يكون، فلا هم يُحسبون (عقائدياً) على أتباع علي عليه السلام ولا يُحسبون على أتباع بني أمية. نعم، هم موظّفون في الجيش أو الشرطة ويأتمرون بأمر الوالي الأموي (ابن زياد) لكنهم - من الناحية العقائدية كما قلت - ليسوا بتابعين للأمويين،

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٣١٥؛ الإرشاد، المفيد: ٨٩ – ٩٠.

٢- مقتل الحسين، الخوارزمي: ١ / ٣٥٦؛ و انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٩٩ – ١٠٠.

ولذلك - كما سنرى - فإنهم صلّوا جماعة خلف الإمام وائتموا به، كما أنّ قائدهم الحر التحق يوم العاشر بالإمام الحسين عليه السلام واستشهد معه.

روى المؤرخون [١] أنّ الحسين عليه السلام لما اقترب بركبه من "ذو حُسَم" [٢] رأوا هوادي الخيل، فسأل الإمام الرجلين الأسديين اللذين كانا يسايرانه (عبد الله بن سليم، والمذري بن المشمعل): "أما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد"، فأشارا عليه بالذهاب إلى "ذو حسم" إذ كان قريباً منهم، فعدلوا عن الطريق واتجهوا إليه، فأمر الحسين عليه السلام بنصب الخيام فيه.

وفي حر الظهيرة اقترب الحر ومعه ألف فارس من خيام الحسين عليه السلام، إذ كانوا قد ساروا لاعتراضه من القادسية (قرية تقع على أطراف الكوفة) بأمر من الحصين بن تميم (قائد شرطة ابن زياد)، فسألهم الإمام عن حالهم واسم قائدهم فأجابوه أنهم أصحاب عبيد الله بن زياد، فنادى على الحر وقال له: "ويحك يا ابن يزيد، ألنا أم علينا"؟ فقال الحر: بل عليك يا أبا عبد الله! فطلب الحسين من فتيانه أن يسقوهم مع خيولهم الماء. ثم حضرت صلاة الظهر فأمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق أن يؤذن، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وقال: "أيها الناس، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم: أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام، لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم" فسكتوا عنه ولم يتكلم أحد منهم بكلمة. فقال للمؤذن: "أقم" فأقام الصلاة فقال للحر: "أتريد أن تصلي بأصحابك؟" قال: لا، بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك. فصلى بهم الحسين بن علي".

ولما حانت صلاة العصر، صلى بالقوم ثم سلّم وانصرف إليهم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد: أيها الناس فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله عنكم، ونحن أهل بيت محمد، وأولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين

١- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٧٦ – ٧٩؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٧٦ – ٨٣؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٢ – ٣٠٥.

٢- موضع في العراق يقع على طريق الحج بين (كوفة - مكة)، يبعد بمقدار ٦٤ كم عن ناحية الرُهيمة (قرية إلى الغرب من مركز مدينة النجف وتبعد عنه ٤٠ كم)، ويبعد ذو حسم عن الكوفة ١١٥ كم تقريباً.

ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجوروالعدوان، وإن أبيتم إلا كراهية لنا والجهل بحقنا، فكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم وقدمت به علي رسلكم، انصرفت عنكم". فقال له الحر: أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر، ولما نثرت بين يديه قال الحر: إنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أُمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله. فقال له الحسين: "الموت أدنى إليك من ذلك".

وها هنا ملاحظتان:

الأولى: قوله "انصرفت عنكم": لا يعني أنّ الإمام كان بصدد بيان السبب الأساسي لثورته وقدومه إلى العراق وهو كتب أهل الكوفة إليه [1]، والآن يريد الانصراف عنهم بعد أن تبيّن خذلانهم، أبداً ليس هذا هو مقصود الإمام؛ بدليل أنه كان يعلم بخذلانهم له من قبل، وقد صرّح بذلك مراراً في المدينة ومكة وفي الطريق أيضاً، ومع ذلك أصرّ على المسير إلى العراق وما ذاك إلا لإنفاذ مراد الله ونصرة دينه كما بيّنا أكثر من مرة. نعم، الإمام قال "انصرفت عنكم" أمام الحروجيشه؛ لأنه كان بصدد المحاججة وقطع عذر المخالفين له، والمحاججة لها أسلوبها الخاص بالتأكيد، فبيّن لهم أنه قدم الكوفة لأن أهلها خاطبوه وكتبوا إليه، وإذا تبيّن أنهم لا يرغبون بقدومه فهو ينصرف عنهم أي عن الكوفة وأهلها، لا أن ينصرف عن أصل ثورته الإلهية بوجه الانحراف الأموي.

الثانية: كلام الإمام الحسين مع الحروجيشه يؤكد أنّ القوم كانوا كوفيين، ولذلك ذكر لهم الكتب المرسلة إليه من قبل أهل الكوفة، ويؤكد - كذلك - أنهم لم تكن عقيدتهم أموية مثل ابن سعد و ابن الأشعث وشمروالحصين بن تميم وأمثالهم، و إنما كانوا مجرد موظفين أمنيين (جيش وشرطة) في دولة بني أمية ويأتمرون بأمروالي الكوفة عبيد الله بن زياد وقائد شرطه الحصين بن تميم الذي بعثهم لاعتراض الحسين وركبه.

ثم إنّ الحسين أراد أن يسير برحله، فحال القوم (الحروجيشه) بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين للحر: "ما تريد؟" فقال له الحر: أريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد، قال: "إذاً والله لا أتبعك" قال: إذاً والله لا أدعك. فترادا القول ثلاث مرات. فلما كثر

١- وإن كانت كتبهم أحد الأسباب الظاهرية التي تقع في طول السبب الحقيقي.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

بدلوا تبديلاً، اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ورغائب مذخور ثوابك" [١].

وروى الطبري: إنّ الإمام الحسين لما بلغ "البيضة" [٢] خطب بأصحابه وأصحاب الحر، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: "أيها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله إن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله و أنا أحق من غيّر، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم فأنا الحسين بن علي و ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم فلكم فيّ أسوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي و ابن عمي مسلم والمغرور من اغتربكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيّعتم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" [٣].

إنّ خطاب الإمام الحسين هذا يعدُّ واحداً من أوضح خطاباته صلوات الله عليه في طريقه إلى العراق، فقد كشف فيه انحراف الأمويين بشكل صريح وبيّن وجوب الثورة عليهم، و أنه أحق من يقوم بهذه المهمة المكلفة بالتأكيد، وعرّف نفسه ومسؤوليته الخطيرة باعتباره ابن بنت رسول الله المنصوص عليه وحثّهم بالثبات على بيعته فإنّ الرشد فيها، وحذّرهم من نكث البيعة والغدر الموجب للخسارة التي لا تجبر أبداً.

١- انظر: إبصار العين في أنصار الحسين، السماوي: ١٤٦ – ١٤٧؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٥ – ٣٠٦؛ تجارب الأمم، الرازي: ٢ / ٦٥، وفيهما ذكر أربعة مع الطرماح.

٢- موضع على طريق الحج بين مكة والكوفة، يبعد ٥٤ كم تقريباً عن ناحية الرُهيمة (قرية إلى الغرب من مركز مدينة النجف وتبعد عنه ٤٠ كم)، والفاصلة بين البيضة والكوفة ١٠٠ كم تقريباً.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٤ – ٣٠٥.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وعموماً، إذا صح إرسال الكتاب إلى الشخصيات المذكورة فممكن أن يكون الحامل للكتاب شخصاً آخر غير الصيداوي، كما أنّ الخطاب نفسه لا مانع من أن يكون الحسين عليه السلام ألقاه شفاهياً في "البيضة" أمام أصحابه وأصحاب الحر، ثم أعاد إرساله مكتوباً إلى سليمان بن صرد وأصحابه في الكوفة.

الحسين(ع) يغربل أصحابه ويرفض عرض الطرماح:

غربل الإمام الحسين أنصاره والملتحقين به في مو اقف عديدة عبر الكلمات التي كان يقولها ويذكر فيها مصيره ومآله، وقد رأينا فيما سبق أنّ جموعاً غفيرة كانت قد التحقت به ثم تفرّقت عنه في مكة و أثناء مسيره منها باتجاه العراق، و أيضاً لما دخل أرض العراق قام بغربلة الملتحقين به مرة أخرى، فمثلاً: في "ذو حُسَم" [١]: (قام الحسين عليه السلام خطيباً في أصحابه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: "إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها ولم يبقَ منها إلا صبابة كصبابة الاناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقاً حقاً فاني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً".

فقام زهير بن القين فقال: قد سمعنا - هداك الله يا ابن رسول الله - مقالتك ولو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين، لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها.

قال: ووثب هلال بن نافع البجلي فقال: والله ما كرهنا لقاء ربنا، و إنا على نيّاتنا وبصائرنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك.

قال: وقام بريربن خضير فقال: والله يا ابن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، فيقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة) [٢].

١- موضع في العراق يقع على طريق الحج بين (كوفة - مكة)، يبعد بمقدار ٦٤ كم عن ناحية الرُهيمة (قرية إلى الغرب من مركز مدينة النجف وتبعد عنه ٤٠ كم)، ويبعد ذو حسم عن الكوفة ١١٥ كم تقريباً.

٢- مثير الأحزان، ابن نما: ٣١ – ٣٢؛ اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٣٤ – ٣٥؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٨١؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٥؛ تاريخ الإسلام، الذهبي: ٥ / ١٢.

واضح أنّ الأصحاب عرفوا مقصد إمامهم المظلوم وهو ينعى نفسه وقرب أيامه ويشكو قلة الناصر وخذلان القريب وقسوة العدو وإدبار الدنيا، ولذلك عقّبوا على كلامه بمواقف نبيلة خالدة ومفعمة بالولاء والثبات والمواساة والنصرة الصادقة يتقدمهم زهير وهلال وبريرر ضوان الله عليهم.

وفي رواية: (فوثب إلى الحسين عليه السلام رجل من شيعته يقال له هلال بن نافع البجلي فقال: يا ابن رسول الله أنت تعلم أن جدك رسول الله لم يقدر أن يشرب الناس محبته ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب، وقد كان منهم منافقون يعدون بالنصر، ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل، ويخلفونه بأمر من الحنظل، حتى قبضه الله إليه، وإن أباك علياً رحمة الله عليه قد كان في مثل ذلك، فقوم قد أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين حتى أتاه أجله فمضى إلى رحمة الله ورضوانه، و أنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده وخلع بيعته، فلن يضر إلا نفسه والله مغن عنه، فسر بنا راشداً معافاً مشرقاً إن شئت، وإن شئت مغرباً، فوالله ما أشفقنا من قدر الله ولا كرهنا لقاء ربنا، و إنّا على نيّاتنا وبصائرنا، نوالي من والاك ونعادي من عاداك.

ثم وثب إليه بريربن خضير الهمداني فقال: والله يا بن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيه أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة بين أيدينا، لا أفلح قوم ضيّعوا ابن بنت نبيهم، أفٍّ لهم غداً ماذا يلاقون؟ ينادون بالويل والثبور في نار جهنم) [١].

وروى الخوارزمي: (أنّه لمّا كان الحسين بعذيب الهجانات قام إليه أصحابه وتكلّموا وأجمعوا لنصرته، فجزاهم الحسين خيراً، وخرج ولد الحسين وإخوته وأهل بيته حين سمعوا الكلام فنظر إليهم وجمعهم عنده فبكى ثم قال: اللهم إنا عترة نبيك محمد صلواتك عليه، قد أخرجنا وأزعجنا وطردنا عن حرم جدنا وتعدّت بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا و انصرنا على القوم الظالمين. ثم نادى بأعلى صوته في أصحابه: الرحيل) [٢].

١- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٨٢ – ٣٨٣.

٢- مقتل الحسين، الخوارزمي: ١ / ٢٣٦.

أما الطرماح بن عدي الذي التقى بالحسين عليه السلام في "عذيب الهجانات" كما عرفنا، فإنه لما رأى قلة عدد أنصار الحسين ورأى في نفس الوقت تعبئة السلطة في الكوفة آلاف الكوفيين وتهيئتهم لبعثهم إلى حرب الحسين، اقترح على الإمام أن يسير به ومن معه إلى جبل "أجأ" الذي لا يبعد كثيراً عن الموضع الذي كانوا فيه، وهو موضع منيع وآمن كان الطرماح وقومه يحتمون به عند النوازل:

روى الطبري أنّ الطرماح بن عدي دنا من الإمام الحسين وقال له: (والله إني لأنظر فما أرى معك أحداً ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم ترعيناي في صعيد واحد جمعاً أكثر منه فسألت عنهم فقيل اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون إلى الحسين فأنشدك الله إن قدرت على ألا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعى أجأ امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر ومن الأسود والأحمر والله إن دخل علينا ذل قط فأسير معك حتى أنزلك القرية ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجأ وسلمى من طيئ فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيء رجالاً وركباناً ثم أقم فينا ما بدا لك فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف فقال له: جزاك الله وقومك خيراً إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبه) [١].

لا شك أنّ الإمام أجاب الطرماح بما يناسب حاله، فبيّن له أنه يريد الوفاء بالوعد والعهد الذي كان بينه وبين أهل الكوفة: "قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف"؛ وهو خلق إلهي رفيع، لكن الإمام في نفس الوقت كان يعلم بأنهم خاذلوه وقد بانت علائم الخذلان بعد مقتل رسوله، بل وها هي طلائع الجيش تعترض ركبه وتهدده، وهو عليه السلام مع هذا يذكر للطرماح أنّ بينه وبينهم عهداً، وهذا إمعان بالغ في إتمام الحجة عليهم وقطع عذرهم والرحمة بهم ومنحهم الفرصة لتدارك حالهم. كما أنّ تتمة الجواب أعني قوله: "ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبه" تناسب حال

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

يكمل الطبري رو اية الطرماح بن عدي، فيقول: (قال: فودّعته وقلت له دفع الله عنك شر الجن والإنس إني قد امترت لأهلي من الكوفة ميرة ومعي نفقة لهم فآتيهم فأضع ذلك فيهم ثم أقبل إليك إن شاء الله فإن ألحقك فوالله لأكونن من أنصارك قال: فإن كنت فاعلاً فعجّل رحمك الله قال: فعلمت أنه مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التعجيل قال: فلما بلغت أهلي وضعت عندهم ما يصلحهم وأوصيت فأخذ أهلي يقولون إنك لتصنع مرتك هذه شيئا ما كنت تصنعه قبل اليوم فأخبرتهم بما أريد و أقبلت في طريق بني ثعل حتى إذا دنوت من عذيب الهجانات استقبلني سماعة بن بدر فنعاه إليّ فرجعت) [١].

الحقيقة - يا طرماح - إنّ الامام ليس مستوحشاً لقلة الرجال، فالحسين هو الحسين ولو خرج إلى الموت وحده، وهو الذي شهد أعداؤه - بعد مقتل ولده وإخوته وصحبه يوم عاشوراء - أنهم ما رأوا وحيداً موتوراً قط أشرق وجهاً وأشد بأساً منه، وكانت الجموع تنكشف بين يديه إذا شدَّ بها ليث علي؛ أسد الله، انكشاف ربائض الأغنام إذا شدّ بها السبع الضاري، مع أنّ بعض المصائب التي نزلت عليه لو نزلت على جبل لهدّته وفتّته وخارت قواه، لكن الحسين الآن يطلب التعجيل منك واللحوق به؛ لأنه كريم ويحب الخير للجميع، فأراد لك الفوز ونوال سعادة الآخرة التي لا يعدلها شيء أبداً، فالخير بالنتيجة يعود عليك أنت لا على الحسين الذي يعلم بأنه مقتول لا محال وأنّ المطلوب منه تقديم دمه قرباناً لنصرة دين الله، والحقيقة التي رأيناها بوضوح أنّ اللاحقين بالحسين لم يدفعوا القتل عنه لكنهم فازوا وسعدوا وحظوا بالشهادة والفتح الإلهي العظيم، وهذا ما كان يطمح إليه الحسين لا غير.

هل عرض الحسين(ع) العودة أو المسير الى الشام؟

بعض العلماء - للأسف - ولأجل دفع شبهة إلقاء النفس في التهلكة [٢] قَبِل ما رواه بعض المؤرخين [٣] من أنّ الحسين عليه السلام (وحاشاه) عرض على الحر أو عمر بن سعد

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٦ – ٣٠٧.

٢- شبهة الانتحار وإلقاء النفس بالتهلكة التي يثيرها بعض النواصب الأمويين على ثورة الحسين عليه السلام منذ القدم وإلى يومنا هذا، تقدمت الإجابة في التمهيد فراجع.

٣- انظر على سبيل المثال: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٥، ٣١٢.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس) [١].

رابعاً: لم يسلك الإمام الحسين درب الشام ولم يكن في نيته ذلك إطلاقاً، أما تياسره في المسير بعد دخول أرض العراق و اقترابه من الكوفة وتحديداً في المنازل التي تقع إلى جنوب غرب وغرب وشمال غرب مدينة النجف (أعني منازل: ذو حسم والبيضة وعذيب الهجانات والرهيمة وقصر بني مقاتل والقطقطانة، ... إلخ)، فكان سببه اعتراض الحر وجيشه له فكانوا يدفعونه جاهدين عن دخول الكوفة من جهة الغرب، و أيضاً هي منازل أدّت به بالنهاية إلى كربلاء حيث مكان الشهادة الموعود به بعد الحيلولة بينه وبين دخول الكوفة. وحقيقة، لا أعرف من أين فهم هؤلاء أنّ الحسين كان يتياسر في مسيره لأجل نيته الذهاب إلى الشام والحال أنه لم يصدر منه قولاً أو فعلاً يؤكد ذلك؟!

نزول الحسين(ع) بكربلاء:

لا يزال الحر بن يزيد الرياحي بألف من أصحابه يمنع الحسين عليه السلام من الاقتراب من الكوفة ويدفعونه للتياسر في المسير حتى انتهى ركب الحسين إلى نينوى [٢]؛ المكان الذي نزل به الحسين.

ولم يمضِ كثيراً حتى جاء رسول ابن زياد إلى الحر ودفع اليه كتاباً جاء فيه: (أما بعد فجعجع بالحسين حين بلغك كتابي هذا ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلا بالعراء في غير خضر وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام). فقال الحر للحسين: (هذا كتاب الأمير عبيد الله يأمرني أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتيني كتابه، وهذا رسوله وقد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ أمره فيكم).

وحصل حوار بين رسول ابن زياد (مالك بن النسير الكندي) وبين رجل من أصحاب الحسين اسمه يزيد بن المهاجر الكندي؛ لأن كليهما كوفيان من قبيلة كندة، فسأله ابن

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٣.

٢- ناحية بسواد الكوفة في ذلك الوقت، وتعد كربلاء جزءاً منها، انظر: معجم البلدان، الحموي: ٥ / ٣٣٩.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

شئت أريتك تربة أرضه التي يقتل فيها! قال: نعم. فبسط جبرئيل جناحه على أرض كربلاء، فأراه إيّاها" [١].

و أيضاً: روي أنّ الحسين عليه السلام لما وصل إلى كربلاء (الموضع الذي قتل فيه) وقف به الفرس ولم يتحرك، فنزل وصعد أخرى فلم يسير خطوة، وهكذا حتى سبعة أفراس، فسأل عن اسم الأرض، فقيل: الغاضرية، فقال: هل لها اسم غير هذا؟ فقيل: نينوى، فقال: هل لها اسم غير هذا؟ فقيل: شاطئ الفرات، فقال: هل لها اسم غير هذا؟ فقيل: كربلاء، فعند ذلك تنفّس الصعداء، وقال: أرض كرب وبلاء، ثم قال: "انزلوا، فهاهنا والله مناخ ركابنا، وهاهنا والله سفك دمائنا، وهاهنا والله هتك حريمنا، وهاهنا والله قتل رجالنا، وهاهنا والله ذبح أطفالنا، وهاهنا والله تزار قبورنا، وبهذه التربة وعدني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا خلف لقوله" [٢].

وذكر ابن شهرآشوب قول الحسين بالنحو التالي: "هذا موضع الكرب والبلاء، هذا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا، ومقتل رجالنا، وسفك دمائنا" [٣].

فنزل الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه في كربلاء يوم الخميس الثاني من المحرم، سنة ٦١هـ، وحطّوا أثقالهم وضربت خيامهم فضربت خيمة للحسين (أهله وبنيه)، وضرب أخوته وبنو عمومته خيامهم حوله ثم خيام بقية الأنصار [٤]. وكان الحسين ومن معه نزلوا في جانب، ونزل الحر وأصحابه في جانب آخر.

تنبيه: لا قيمة علمية لما أشكل به البعض على موضع مخيّم الحسين في الموضع المعروف المجاور لحرم الإمام الحسين، بزعم أنّ هناك عرفاً عسكرياً سائداً - آنذاك - يقضي بالتباعد إلى مسافة ميلين (٣,٢ كم) كحد أدنى بين الجيشين المتقابلين؛ للسماح

١- موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٥٤.

٢- انظر: مقتل الحسين، أبو مخنف: ٧٥ – ٧٦؛ موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٥٤ – ٤٥٥.

٣- مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٤٧.

٤- انظر: الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ٥ / ٨٤.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الاستعداد لحرب الحسين(ع):

الزمان: (٢ محرم – ٩ محرم ٦١ هـ)

الفترة الزمنية كما نلاحظ أسبوع واحد فقط، لكنه أسبوع مليء بالأحداث والآلام، يكفي أن نعرف أنّ عائلة الرسول صلى الله عليه وآله عاشت فيه محاصرة مهددة بالإبادة من قبل الجيش الأموي الزاحف إلى كربلاء.

تعبئة الجيش للحرب:

النفير العام والعسكرة:

أعلن ابن زياد النفير العام في الكوفة، وجمع أهلها في جامعها الأعظم وخطب فيهم فمدح معاوية و أثنى على يزيد بسبب تحسن الوضع الاقتصادي والأمني في وقته بحسب زعم ابن زياد، قال: "يعطي العطاء في حقه، قد أمنت السبل على عهده وكذلك كان أبوه معاوية في عصره". ثم أوضح لهم أنّه وعد بزيادة مرتباتهم وعطائهم إن هم خرجوا لحرب الحسين، قال: "وقد زادكم - يعني يزيد - في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفرها عليكم وأُخرجكم إلى حرب عدوه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا". وبمجرد نزوله عن المنبر باشر فعلاً بمنح الناس العطاء والأموال والزيادة التي وعدهم بها، وأمرهم بالخروج إلى الحرب وأن يكونوا عوناً لعمر بن سعد [١].

١- انظر: بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٨٥ – ٣٨٦. وفي رواية ابن أعثم: "وكتب إليّ يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ومائتي ألف درهم أفرّقها عليكم وأُخرجكم إلى حرب الحسين بن علي، فاسمعوا وأطيعوا" الفتوح: ٥ / ٨٩.

وعمر بن سعد: هو ابن سعد بن أبي وقاص، ولد في المدينة سنة ٢٦ هـ، سكن الكوفة، خبيث ملعون، كان معروفاً عنه منذ صغره أنه قاتل الحسين عليه السلام، روى ابن عساكر بسنده: "عن عبد الله بن شريك قال أدركت أصحاب الأردية المعلمة وأصحاب البرانس من أصحاب السواري إذا مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله" تاريخ مدينة دمشق: ٤٥ / ٤٨ – ٤٩. اختير لقيادة الجيش الأموي لقتال الحسين ونفّذ تعاليم ابن زياد تماماً فقتل الحسين وأوطأ الخيل صدره وظهره، ولم ينل ما وعده به من ولاية الري وكان يقول: "ما رجع أحد إلى أهله بشر مما رجعت به! أطعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة

وكان ابن زياد قد أعدّ جيشاً بأربعة آلاف لبعثه إلى الشرق بقيادة عمر بن سعد وزوّده عهد ولاية الري، وكان الجيش معسكراً في "حمّام أعين" [١]، فلما وصل الحسين إلى كربلاء طلب ابن زياد من ابن سعد أن يسير بالجيش إلى الحسين وإذا فرغ منه توجّه إلى الري. فقال ابن سعد: "إن رأيت أن تعفيني فافعل، فقال ابن زياد: نعم على أن تردَّ لنا عهدنا فقال ابن سعد: أمهلني اليوم حتى انظر"، وفعلاً استشار بعض رفقائه فأشار عليه بعضهم بترك الخروج، لكنه قرّر بالنهاية أن يسير وصار يندب الناس في الكوفة للحرب، وطلب من ابن زياد أن يشرك معه بعض أشراف الكوفة [٢].

وروى البلاذري: (لما سرّح ابن زياد عمر بن سعد من حمّام أعين، أمر الناس فعسكروا بالنخيلة، وأمر أن لا يتخلّف أحد منهم، وصعد المنبر فقرّض معاوية وذكر إحسانه وادراره الأعطيات وعنايته بأمور الثغور، وقال: إن يزيد ... قد زادكم مائة مائة في أعطيتكم فلا يبقينّ رجل من العرفاء والمناكب [٣] والتجار والسكان إلا خرج فعسكر معي فأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلّفاً عن العسكر برئت منه الذمة. ثم خرج ابن زياد فعسكر وبعث إلى الحصين بن تميم وكان بالقادسية في أربعة آلاف، فقدم النخيلة في جميع من معه. ثم دعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي ومحمد بن الأشعث ابن قيس والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمان المنقري وأسماء بن خارجة الفزاري وقال: طوفوا في الناس فمروهم بالطاعة والاستقامة، وخوّفوهم عواقب الأمور والفتنة والمعصية، وحثوهم على العسكرة (كذا) فخرجوا فعزروا وداروا بالكوفة. ثم لحقوا به غير كثير بن شهاب فإنه كان مبالغاً يدور بالكوفة يأمر الناس بالجماعة ويحذرهم الفتنة والفرقة ويخذل عن الحسين! وسرح ابن زياد أيضاً حصين بن تميم في الأربعة الآلاف الذين كانوا معه إلى الحسين بعد شخوص عمر بن سعد بيوم أو يومين. ووجه أيضاً إلى الحسين حجار بن أبجر العجلي في ألف. وتمارض شبث بن ربعي فبعث إليه فدعاه وعزم عليه أن يشخص إلى الحسين في

الشريفة" أنساب الأشراف: ٣ / ٢١١. هجره الناس وكلما مرّ على جماعة أعرضوا عنه وكل من رآه سبّه، فبقي في داره معزولاً حتى قتله المختار الثقفي مع ابنه حفص. انظر: شرح إحقاق الحق، المرعشي: ٣٣ / ٦٤٦ – ٦٤٧.

١- موضع على أطراف الكوفة تعسكر فيه الجيوش عادة.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٩ – ٣١٠.

٣- العرفاء: جمع عريف وهو القائم بأمر القبيلة أو الجماعة من الناس، والمناكب: جمع منكب وهو رأس العرفاء، وعمل الاثنين متشابه في أنهما وسطاء بين السلطة والقبائل أو الجماعات من الناس.

ألف ففعل [١]. وكان الرجل يبعث في ألف فلا يصل إلا في ثلاث مائة وأربع مائة و أقل من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه [٢]. ووجه أيضاً يزيد بن الحرث بن يزيد بن رويم في ألف أو أقل.

ثم إنّ ابن زياد استخلف على الكوفة عمرو بن حريث، وأمر القعقاع بن سويد بن عبد الرحمان بن بجير المنقري بالتطواف بالكوفة في خيل فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة، فأتى به ابن زياد فقتله، فلم يبق بالكوفة محتلم إلا خرج إلى العسكر بالنخيلة. ثم جعل ابن زياد يرسل العشرين والثلاثين والخمسين إلى المائة، غدوة وضحوة ونصف النهار وعشية من النخيلة يمد بهم عمر بن سعد. وكان عمر يكره أن يكون هلاك الحسين على يده فلم يكن شيء أحب إليه من أن يقع الصلح. ووضع ابن زياد المناظر على الكوفة لئلا يجوز أحد من العسكر مخافة لأن يلحق الحسين مغيثاً له، ورتب المسالح حولها وجعل على حرس الكوفة زحر بن قيس الجعفي. ورتّب بينه وبين عسكر عمر بن سعد خيلاً مضمرة مقدحة فكان خبر ما قِبَله يأتيه في كل وقت) [٣].

أما ابن أعثم الكوفي فقد صرّح بوجود "جيش الشام" ضمن السائرين إلى قتال الحسين عليه السلام، و أيضاً: أوصل عدد الخارجين للحرب إلى اثنين وعشرين ألفاً؛ فبعد أن ذكر خطبة ابن زياد المتقدمة ووعده لهم بزيادة العطاء، قال: (ثم نزل عن المنبر ووضع لأهل الشام العطاء فأعطاهم ونادى فيهم بالخروج إلى عمر بن سعد ليكونوا أعواناً له على قتال الحسين. قال: فأول من خرج إلى عمر بن سعد الشمر بن ذي الجوشن السلولي

١- روى بعض المؤرخين تمارض شبث بن ربعي بالنحو التالي: (ثم أرسل - يعني: ابن زياد - إلى شبث بن ربعي أن أقبل إلينا و إنا نريد أن نوجّه بك إلى حرب الحسين، فتمارض شبث، وأراد أن يعفيه ابن زياد فأرسل إليه: أما بعد فإنّ رسولي أخبرني بتمارضك، وأخاف أن تكون من الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن، إن كنت في طاعتنا فأقبل إلينا مسرعاً. فأقبل إليه شبث بعد العشاء لئلا ينظر إلى وجهه فلا يرى عليه أثر العلة فلما دخل رحّب به وقرّب مجلسه، وقال: أحب أن تشخص إلى قتال هذا الرجل عوناً لابن سعد عليه، فقال: أفعل أيها الأمير) انظر: بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٨٦؛ العوالم - الإمام الحسين: ٢٣٧.

٢- قال الدينوري: (وكان ابن زياد إذا وجّه الرجل إلى قتال الحسين في الجمع الكثير يصلون إلى كربلاء ولم يبقَ منهم إلا القليل، كانوا يكرهون قتال الحسين، فيرتدعون ويتخلّفون، فبعث ابن زياد سويد بن عبد الرحمن المنقري في خيل إلى الكوفة وأمره أن يطوف بها فمن وجده قد تخلّف أتاه به) الأخبار الطوال: ٢٥٤.

٣- أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٧٨ – ١٧٩. خيل مضمرة مقدحة: أي نحيفة سريعة الجري.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

قدم الكوفة لحاجة، فألقت قوات ابن زياد عليه القبض في الكوفة بعد انتهاء المهلة، وأصدر حكماً بقتله وإعدامه ليكون عبرة لغيره [١]!

٢- لا شك أنّ عمل العرفاء والمناكب متشابه في أنهما وسطاء بين السلطة وقبائلهم (وهو شبيه بعمل المخاتير في زماننا الحالي)، وكانوا يسهّلون على الولاة إدارة الناس من حيث التعبئة في الحروب و إيصال أوامر السلطة وتعليماتها إلى الناس وتوزيع العطاء عليهم ونحو ذلك، وواضح أنه إجراء إداري يضمن معه الولاة طاعة الرعية لهم، فهم - والحال هذه - أيدي الوالي التي يعمل بها، ولهذا كان الولاة حريصين جداً على اختيار من يضمنون ولاءه للسلطة تماماً وتعيينه في هذا المنصب الحساس، وقد رأينا دورهم الكبير في القضاء على ثورة مسلم بن عقيل، ونرى الآن دورهم - أيضاً - في تجييش أهل الكوفة وحملهم على حرب الحسين عليه السلام. ولهذا نرى أنّ من استخلفه ابن زياد على الكوفة عند خروجه للنخيلة للعسكرة بالجيش (أي: عمرو بن حريث [٢])، وكذلك من دعاهم وقال لهم: "طوفوا في الناس فمروهم بالطاعة والاستقامة، وخوّفوهم عو اقب الأمور والفتنة والمعصية، وحثوهم على العسكرة" فجابوا الكوفة طولاً وعرضاً يفعلون ما أمرهم به، وهم: (كثير بن شهاب الحارثي المذحجي، ومحمد بن الأشعث بن قيس الكندي، والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمان المنقري، وأسماء بن خارجة الفزاري) [٣]، كل هؤلاء كانوا عرفاء قبائلهم ورؤساء أقوامهم في الكوفة وهم الواسطة بين الناس وبين السلطة، وكانوا حاشية ابن زياد المقرّبة إليه.

٣- يظهر من مطالعة النصوص التاريخية أنّ عمر بن سعد لم يكن يرغب بالخروج إلى حرب الحسين، ولما عرض عليه ابن زياد تولّي قيادة الجيش طلب منه أن يعفيه عن المهمة: "إن رأيت أن تعفيني فافعل"؛ والسبب هو أنّ عظمة شخصية الإمام الحسين - بلا شك -

---

١- شبيه بهذه الإجراءات عشناها في زمن الطاغية صدام، فصار أغلب الناس يتبع أوامر السلطة؛ خوفاً من إجرامها و انتقامها، بل بلغ الحال أنّ الجاريشي بجاره والأخ بأخيه، وبالنتيجة كان الخوف سبباً في مسايرة أغلب الناس للطاغية في أفعاله وتصرّفاته بالرغم من إقرار أغلبهم بظلمه وإجرامه.

٢- نزيل الكوفة، كان يعد من أصحاب علي عليه السلام، ثم مال إلى زياد بن أبيه فكان يستخلفه على الكوفة إذا خرج منها إلى البصرة، عدو لله ملعون، انظر: خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٣٧٧؛ رجال ابن داود: ٣٠٣.

٣- تقدم ذكرهم في بحث مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام، فراجع.

كانت تهيمن على الجميع بما فيهم المنحرفين والفسقة، بل حتى بعد قبوله بالسير بالجيش إلى كربلاء لم يكن يتمنى قتاله: "أرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله". كان ابن سعد يتوقع أن ينتهي الأمر بالصلح كما انتهى الأمر بين الإمام الحسن ومعاوية: "فلم يكن شيء أحب إليه من أن يقع الصلح"، وليس بالضرورة أن يكون تمنّيه هذا بسبب حبّه للحسين ونهجه وسيرته، و إنما لأجل طلب السلامة والعافية لا أكثر؛ إذ ليس من السهل تماماً مجرد التفكير بإيذاء من كان يمثّل في وجوده الامتداد الحقيقي للرسول؛ نسباً ووجاهة وخلقاً وديناً وسيرة، وكان الإمام الحسين ينفرد بهذه الخصوصية التي لا يشاركه فيه أحد غيره، كما أنّ شخصيته الفريدة كانت بمستوى من الهيبة والعظمة ما تدعو أي أحد إلى التفكير مراراً قبل الإقدام على إيذائه بقول أو فعل عادي، فضلاً عن التفكير بقتله!

لم يكن ابن سعد منفرداً في هذا القلق، و إنما إمام الأمويين نفسه (معاوية) كان حذراً جداً في التعامل مع الحسين عليه السلام، وبالرغم من علمه بأنّ وجوده كان يسبّب له ولملكه أرقاً وقلقاً متواصلاً لكنه أبداً لم يخطر بباله اللجوء إلى مواجهة علنية معه؛ لعلمه بأنّ الإقدام على هكذا أمر يعني خسارة كل ما بناه معاوية ومهّد له طيلة عقود من الزمن، ولهذا كان يحذّر ابنه يزيد من مواجهة الحسين علناً، كما تقدم. و أيضاً: لاحظنا موقف شبث بن ربعي؛ إذ تحايل بالتمارض لكن حيلته لم تنطلِ على ابن زياد فأرسل عليه بالاسم وطلب منه أن يخرج للحرب ويعين ابن سعد في المهمة، فلم يتمكن حينها من الإفلات فقبل نتيجة الخوف والجبن وطلب العافية.

وبالنسبة لابن سعد، فإنه اختار السير إلى كربلاء؛ لأنه - من جهة - يضمن له الإبقاء على صك ولاية الري بعد أن هدّده ابن زياد بسحبه منه في حال رفض الخروج، ومن جهة أخرى: لم يكن يتصور أنّ الأمور تؤدي بالنهاية إلى قتل الحسين عليه السلام، فكان يمنّي النفس بأنه يمكنه أن يصل معه إلى صلحٍ ما أو أنّ الحسين سيستسلم بعد أن يرى الألوف قد أحاطت به وبعياله من كل جانب ولو بعد بداية المعركة وقتل بعض أنصاره، وهكذا استدرج الأمويون (يزيد و ابن زياد بالتحديد) ابن سعد وشبث وغيرهم من وجوه وزعامات الكوفة - بل وكثير من الناس العاديين فيها - إلى حرب الحسين وامتطوهم لتحقيق غايتهم الخبيثة لعنهم الله جميعاً.

يقول السيد أحمد الحسن: (... لعظمة شخصية الحسين وعلو مقامه، نجد أنّ أغلبهم بما فيهم من قاتلوا الحسين، ومنهم عمر بن سعد، وبالرغم من سماعهم ما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله بحق الحسين ومقتله، لكنهم لم يكونوا يتصورون أن تصل الأمور إلى قتل الحسين، كانوا يتصورون أنّ الحسين سيستسلم وينتهي الأمر بالصلح، ولهذا مباشرة بعد أن قُتل الحسين تجد عمر بن سعد يبكي؛ لأنه عرف في أيّ بئر مظلم لا نهاية له قد وقع، كان ابن سعد يتصور أنّ الحسين سيقبل التفاوض معه على صلح ما ولم يجُل في مخيّلته أنه سيصل الأمر به إلى قتل الحسين، بل حتى بعد بداية المعركة كانوا يرجون قتل بعض أصحاب الحسين فينكسر جيشه ويستسلم، لكن شيئاً من هذا لم يحصل. بالنتيجة، استدرجهم الأمويون و إبليس إلى جهنم، لعنهم الله جميعاً) انتهى [١].

٤- واضح أنّ من خرجوا لحرب الحسين من أهل الكوفة لم يكن لدى غالبيتهم قناعة ورغبة بالاشتراك، و إنما دفعهم لذلك الخوف من سيف السلطة، وهذا الأمر أشرنا له سابقاً أكثر من مرة ورأيناه الآن واضحاً في كلام المؤرخين المتقدم:

- "كان ابن زياد إذا وجّه الرجل إلى قتال الحسين عليه السلام في الجمع الكثير يصلون إلى كربلاء ولم يبقَ منهم إلا القليل، كانوا يكرهون قتال الحسين فيرتدعون ويتخلّفون" [٢].
- "كان الرجل يبعث في ألف فلا يصل (إلى كربلاء) إلا في ثلاث مائة وأربع مائة و أقل من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه" [٣].

٥- بحسب بعض المؤرخين، لم يكن أهل الكوفة وحدهم من ساروا إلى قتال الحسين عليه السلام في كربلاء، و إنما كان هناك جيش الشام كما لاحظناه في كلام ابن أعثم المتقدم، وهذا الأمر طبيعي بعد أن عرفنا أنّ الكوفة بالأساس معسكر لجمع الجيوش وتدريبها، و أكيد يوجد فيها قطعات عسكرية شامية؛ لأن أهل الشام كانوا يمثّلون نخبة

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٤.

٣- أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٧٨.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

ففعلت، فأما إذ كرهوني وبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم، فأنا منصرف عنهم" [١]، فكتب إليه ابن زياد: "أما بعد: فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه، فإذا فعل هو ذلك رأينا رأينا، والسلام". ولما ورد على ابن سعد قال: "قد خشيت ألا يقبل ابن زياد العافية" [٢].

ثم ما زال ابن زياد يرسل إلى ابن سعد بالعساكر حتى اكتملت عنده آلاف كثيرة جداً ما بين فارس وراجل، ثم كتب إليه: "إني لم أجعل لك علة في قتال الحسين من كثرة الخيل والرجال، فانظر أن لا تبدأ أمراً حتى تشاورني غدواً وعشياً مع كل غادٍ ورائح، والسلام". وذكر ابن اعثم أنّ ابن زياد كان (في كل وقت يبعث إلى عمر بن سعد ويستعجله في قتال الحسين، قال: والتأمت العساكر إلى عمر بن سعد لست مضين من المحرم) [٣].

والملاحظ أنّ ابن زياد كان يقطع كل عذر عن ابن سعد ويدفع به للحرب في حال أصرَّ الحسين على رفض الاستسلام والبيعة ليزيد، وهكذا ساقه ومن معه إلى حرب الحسين على الصعب والذلول!

وبعد أن تناهى لابن زياد أنّ ابن سعد يجالس الحسين أحياناً ويناجيه، كتب كتاباً ودعا شمر بن ذي الجوشن وقال: (اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فإن فعلوا فليبعث بهم إليّ سلماً وإن هم أبوا فليقاتلهم فإن فعل فاسمع له وأطع وإن هو أبى فقاتلهم فأنت أمير الناس وثب عليه

١- حقيقة "الانصراف" المزمع وروده في كلام الإمام الحسين وبيان معناه تقدم الكلام فيه في بحث "هل عرض الحسين العودة أو المسير إلى الشام"، فراجع. وقلت في بحث "اعتراض الحر للحسين": (قوله "انصرفت عنكم": لا يعني أنّ الإمام كان بصدد بيان السبب الأساسي لثورته وقدومه إلى العراق وهو كتب أهل الكوفة إليه، والآن يريد الانصراف عنهم بعد أن تبيّن خذلانهم، أبداً ليس هذا هو مقصود الإمام؛ بدليل أنه كان يعلم بخذلانهم له من قبل، وقد صرّح بذلك مراراً في المدينة ومكة وفي الطريق أيضاً، ومع ذلك أصرّ على المسير إلى العراق وما ذاك إلا لإنفاذ مراد الله ونصرة دينه كما بيّنا أكثر من مرة. نعم، الإمام قال "انصرفت عنكم" أمام الحر وجيشه (أو أمام ابن سعد وجيشه)؛ لأنه كان بصدد المحاججة وقطع عذر المخالفين له، والمحاججة لها أسلوبها الخاص بالتأكيد، فبيّن لهم أنه قدم الكوفة لأن أهلها خاطبوه وكتبوا إليه، وإذا تبيّن أنهم لا يرغبون بقدومه فهو ينصرف عنهم أي عن الكوفة وأهلها، لا أن ينصرف عن أصل ثورته الإلهية بوجه الانحراف الأموي).

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣١١؛ إعلام الورى، الطبرسي: ١ / ٤٥٢.

٣- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٩٠.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

رفض الإمام الحسين بيعة يزيد في المدينة وأعلن ثورته صارت الخطة الأصل تتضمن إعلان الاستسلام بالضرورة، لذا وردت مفردة "الاستسلام" في كتب الأمويين نصّاً، فالآن المطلوب من الإمام الحسين أن يعلن استسلامه وبيعته ليزيد أو يقتل، هذا هو الموقف الرسمي ليزيد و ابن زياد وقادة الجيش الأموي الذين يعملون بالتوجيهات الصادرة من قياداتهم العليا.

وهذه أقوال "يزيد، ووالیه، وبعض قادة جيشه" توضح الخطة الأصل والبديل:

- قول يزيد لوالي المدينة: "أما بعد، فخذ الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه و ابعث إليّ برأسه" [١].
- قول ابن زياد لابن سعد: "انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم"، وقوله للشمر: "اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فإن فعلوا فليبعث بهم إليّ سلماً وإن هم أبوا فليقاتلهم" [٢].
- قول ابن زياد للحسين: "لا أتوسد الوثير... حتّى ألحقك باللطيف الخبير أو تنزل على حكمي وحكم يزيد" [٣].
- قول ابن سعد لشمر: "قد كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إنّ نفس أبيه لبين جنبيه" [٤].
- قول الحر الرياحي للحسين لما اعترض ركبه في الطريق: "وقد أُمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله... أريد أن أنطلق بك إلى

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٠.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٤.

٣- الفتوح، ابن اعثم: ٥ / ٨٥.

٤- تاريخ الطبري: ٤/ ٣١٤؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٩؛

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الناس تعتبره خياراً ممكناً ومتاحاً طلباً للعافية، فإنّ الموت أيسر منه بكثير بنظر الحسين بن علي، كيف! و"نفس أبيه بين جنبيه" بشهادة أعدائه، بل من يعرف شيئاً من شخصية الحسين يجزم بأنّ من يرجو منه الاستسلام وبيعة يزيد فإنّ نجوم السماء أقرب له!

لهذا كان عليه السلام يقول: "ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنين وحجور طابت وطهرت و أنوف حميّة ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا و إني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلة الناصر" [١].

- الدعي ابن الدعي: يعني ابن زياد.
- السِلّة: يعني استلال السيوف والقتل.
- الذلّة: بسبب طلبهم منه الاستسلام والنزول على حكم بني أمية (البيعة).
- حجور طابت وطهرت: أحضان عفيفة زاكية ومطهرة.
- نفوس أبيّة: مترفعة عن النقائص والرذائل.
- أنوف حميّة: لديها أنفة و إباء، لا تحتمل الضيم والذل والهوان.
- نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام: أي هيهات أن يختار الحسين البيعة وطاعة الأمويين "اللئام" ويقدم ذلك على القتل في سبيل الله، وهو مصرع الكرام.

و أيضاً: لما قال له قيس بن الأشعث: "انزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب، فقال له الحسين: لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد" [٢].

١- مثير الأحزان، ابن نما: ٤٠؛ اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٥٩. ورواها ابن عساكر بالنحو التالي: "ألا وإن البغي قد ركن بين اثنتين بين المسألة والذلة وهيهات منا الدنية أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وبطون و أنوف حمية ونفوس أبية أن تؤثر مصارع الكرام على ظئار اللئام، ألا و إني زاحف بهذه الأسرة على قل العدد وكثرة العدو وخذلة الناصر" تاريخ مدينة دمشق: ١٤ / ٢١٩.

٢- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩٨.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الله بن زياد: أما بعد فان الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى أو أن نسيره إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئنا فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم أو أن يأتي يزيد فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه وفي هذا لكم رضى وللأمة صلاح قال: فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفق على قومه نعم قد قبلت قال: فقام إليه شمر بن ذي الجوشن فقال أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك والله لئن رحل من بلدك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعزولتكونن أولى بالضعف والعجز فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه فإن عاقبت فأنت ولي العقوبة وإن غفرت كان ذلك لك والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدثان عامة الليل فقال له ابن زياد: نعم ما رأيت الرأي رأيك) [١].

أقول: هذا هو أصل الحكاية التي نسبت كذباً وزوراً إلى الحسين عليه السلام، وكل من نقلها وأخذ بها فهو بالتأكيد اعتمد على ما نقله الطبري عن أبي مخنف، مثل: المفيد و ابن عساكر و ابن الأثير والذهبي وغيرهم [٢]. والقضية - بقضها وقضيضها - باطلة جملة وتفصيلاً؛ لأسباب كثيرة:

أولاً: لا شك أنّ الرواية مكذوبة أو محرّفة؛ الهدف منها الإساءة للحسين عليه السلام بإضعاف موقفه واستقامته والانتقاص من شجاعته في الدفاع عن دين الله وشدة ثباته على الحق وإصراره على بيان انحراف الأمويين. وبالتالي فهي محاولة بائسة تكذّبها سيرة الحسين، ولا أقل فإنّ ما وصلنا من مواقفه خلال ثورته منذ انطلاقتها في المدينة حتى شهادته في كربلاء يكفي للحكم على مثل هذه الحكايات بالوضع أو التحريف قطعاً.

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٤. ومثله البلاذري في أنساب الأشراف: ٣ / ١٨٢ – ١٨٣ إذ قال: "قالوا: وتواقف الحسين وعمر بن سعد خلوين، فقال الحسين: اختاروا مني الرجوع إلى المكان الذي أقبلت منه، أو أن أضع يدي في يد يزيد فهو ابن عمي ليرى رأيه فيّ وإما أن تسيروني إلى ثغر من ثغور المسلمين فأكون رجلا من أهله لي ما له وعليّ ما عليه! ويقال انه لم يسأله إلا أن يشخص إلى المدينة فقط، ..." ثم نقل باقي القصة كما ذكر الطبري.

٢- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٧ – ٨٨؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٥ / ٥١؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٥٥؛ تاريخ الإسلام، الذهبي: ٥ / ١٩٥ – ١٩٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

صلى الله عليه وآله وسلم، فاترك هؤلاء وكن معي فإني أقربك إلى الله عزوجل! فقال له عمربن سعد: أبا عبد الله! أخاف أن تهدم داري، فقال له الحسين رضي الله عنه: أنا أبنيها لك. فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال الحسين: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز. قال: فلم يجب عمر إلى شيء من ذلك، فانصرف عنه الحسين رضي الله عنه وهو يقول: ما لك ذبحك الله من على فراشك سريعاً عاجلاً ولا غفر الله لك يوم حشرك ونشرك، فو الله إني لأرجو أن لا يأكل من بر العراق إلا يسيراً) [١].

عدد الجيش وهويّته:

كم كان عدد الجيش؟

بالنسبة إلى عدد الجيش الذي خرج لقتال الحسين صلوات الله عليه، فقد وردت روايات ونصوص تاريخية مختلفة، ولنبدأ بأقوال بعض المؤرخين والمحدثين التي ابتدأت بخمسة آلاف وانتهت بما يزيد على المئة ألف، والأرقام التي ذكرت في هذا الصدد كثيرة وهذه بعضها:

- (٥,٠٠٠) [٢].
- (١٢,٠٠٠) [٣].
- (١٦,٠٠٠) [٤].

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٩٢ – ٩٣. وفي رواية أضاف ابن سعد لمخاوفه أيضاً: (فقال: لي عيال وأخاف عليهم، ثم سكت ولم يجبه إلى شيء فانصرف عنه الحسين عليه السلام، وهو يقول: مالك ذبحك الله على فراشك عاجلاً ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيراً فقال ابن سعد: في الشعير كفاية عن البر مستهزئاً بذلك القول) انظر: بحار الانوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٨٨ – ٣٨٩.

٢- اكتفى المؤرخ الطبري بذكر الأربعة آلاف الذين سار بهم ابن سعد في اليوم الثاني من محرم، إضافة إلى الألف الذين كانوا مع الحر الرياحي وسايروه في الطريق إلى كربلاء، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٤ – ٣١٠.

٣- أضاف البلاذري لما ذكره الطبري سبعة آلاف أخرى كما لاحظنا في كلامه المتقدم فصار المجموع اثني عشر ألفاً، ثم ترك الباب مفتوحاً للزيادة إذ قال: "ثم جعل ابن زياد يرسل العشرين والثلاثين والخمسين إلى المائة، غدوة وضحوة ونصف النهار وعشية من النخيلة يمد بهم عمربن سعد" أنساب الأشراف: ٣ / ١٧٨.

٤- انظر: الدر النظيم، يوسف الشامي المشغري: ٥٥١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

سبعة آلاف نفر والعميد عليهم: زيد بن اللحم، وسعد بن جريح، وقمير بن قيس، وعلوان بن وردان بن ثابت، وبشير بن سعدان، وحماد بن عثمان، وعثمان بن فهد.

ومن أهل الشام ثلاثون ألفاً وعميدهم: ربيعة بن سوادة، وسواد بن نحرس، وقيس بن زعال، وصخر بن طعيم. ومن الخوارج اثنا عشر ألفاً وعميدهم: غسان بن ثابت، وحمل بن نافع، وحكم بن عقبة الزهري، وزياد بن حرقوس البجلي. وألفان من الموصل وتكريت والأنبار، وعشرة آلاف من الأكراد.

والأمير على كل العسكر عمر بن سعد، وابنه حفص وزيره، وأبو الحتوف ناظر العسكر، وعميد عيون الجيش أبو الأشرس السلمي وجونة بن جونة كان جاسوساً، والؤمّر على الحر اثين أبو أيوب الغنوي، ونقيب الجيش الشمر لعنه الله وتحت يديه أربعة آلاف نفر) [١].

وبصرف النظر الآن عن دقة الأرقام والنسب المذكورة في النص أعلاه، لكن الشيء المؤكد أنّ الجيش الأموي الذي قاتل الحسين في كربلاء لم تكن هوية أفراده من أهل الكوفة فقط، بل الصحيح أنّ الكوفيين كانوا أقلية فيه كما سيتضح لاحقاً.

أما بالنسبة للمروي عن آل محمد صلوات الله عليهم: فقد ذكرت الروايات أنّ عدتهم كانت ثلاثين ألفاً:

"عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام: أن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوما إلى الحسن عليه السلام، فلما نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكى لما يصنع بك. فقال له الحسن عليه السلام: إنّ الذي يؤتى إليّ سم يدس إلي فاقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدّعون أنهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله، وينتحلون دين الاسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك،

١- مصارع الشهداء ومقاتل السعداء: ١٠٣.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

بن شهاب المذحجي ومحمد بن الأشعث الكندي وأسماء بن خارجة الفزاري، بل بعضهم كان ممن كاتب الحسين مثل: عمرو بن الحجاج وشبث بن ربعي وحجار بن أبجر وغيرهم.

و أيضاً: رأينا أنّ الحر الرياحي وجيشه الألف الذين اعترضوا ركب الحسين عليه السلام وجعجعوا به و أنزلوه في كربلاء كانوا كوفيين، أو لا أقل غالبيتهم من الكوفة كما هو الواضح من خطابات الإمام الحسين معهم، وقد تقدمت الإشارة لذلك. كما أنّ المختار الثقفي - كما سيأتي - لما غلب على الكوفة تتبع من خرج إلى قتال الحسين وكانت عقوبتهم القتل أو هدم دورهم، فهدم في الكوفة دوراً كثيرة وقتل أناساً كثيرة [١].

أيضاً: في بحثنا الذين نحن فيه "تعبئة الجيش للحرب" استعرضنا الأجواء في الكوفة وما جرى فيها من نفير عام وتعبئة تر افقت مع ترغيب ابن زياد وتهديده ... إلخ، و أكيد أنّ هذه الإجراءات أدّت إلى خروج أعداد من أهل الكوفة، وقد حصل ذلك بالفعل كما لاحظناه في كلام المؤرخين بوضوح، ويدل على ذلك أيضاً: إنّ بعض الكوفيين خرج مع جيش ابن سعد إلى كربلاء ثم مال إلى معسكر الإمام الحسين ليلة عاشوراء أو قبلها وقد استعرضنا أسماءهم في بحث أنصار الحسين.

بناءً على ذلك، فليس من الصحيح تبرئة أهل الكوفة تماماً من المشاركة في قتال الحسين ولو على مستوى تكثير السواد؛ خصوصاً و أننا ذكرنا سابقاً [٢] أنّ ميول زعامات ووجوه القبائل الكوفية ليست واحدة وليس كلهم معروفين بالولاء لعلي و أبنائه عليهم السلام، بل قلنا إنّ الاختلاف لا يقف عند حدود القبيلة و إنما يتعداه ليصل إلى البيت الواحد الذي ينقسم بعض أفراده بين تابع لعلي عليه السلام وتابع لعدوه، ولا أقل فإنّ ثلاثة أصناف من الناس كانت موجودة في الكوفة: قسم يوالي أمير المؤمنين و أبنائه، وقسم يوالي أعداءهم، وقسم (ربما هم الأغلب) من أهل الدنيا يميل مع الحاكم أيّاً كان. وبالتالي، فالقول باشتراك بعض أهل الكوفة في الجيش الذي قاتل الحسين أمر مؤكد، لكن

١- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٩٢.

٢- في بحث: "حواضر المسلمين قُبيل الثورة".

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

يهددونهم؟ يهددونهم لأنه فعلاً هناك جيش شامي كبير قادم، والناس كانت تمر بطريق الشام وتنقل الأخبار لأهل الكوفة [١].

أما الآلاف التي أرسلها ابن زياد مع ابن سعد والحصين وشبث وغيرهم إلى كربلاء لحرب الحسين عليه السلام فليس جميعهم من أهل الكوفة. نعم، أهل الكوفة كانوا من ضمن الجيش) انتهى [٢].

ركون يزيد إلى أهل العراق واعتماده عليهم فقط في مواجهة أمر خطير بمستوى ثورة الحسين، أمر لا يمكن توقع حدوثه، ولا يعمل به أي حاكم مهما كان مستوى إدراكه؛ فضلاً عن أن يكون يزيد المحاط بمجموعة من المستشارين الدهاة الذين عملوا مع أبيه معاوية المعروف بدهائه ودهاء مستشاريه. ولا شك أنّ الأمويين ومستشاريهم - ومنهم يزيد - لا يأمنون جانب أهل العراق ليس فقط في أيام الحسين عليه السلام وإنما على الدوام؛ لأن المعروف عنهم - كسمة غالبة - أنّ ميلهم علوي، فكيف يركنون إليهم والحال هذه؟!

يقول السيد أحمد الحسن: (عموماً، كما قلت لك: هناك جيش شامي ومن بلاد أخرى وكانوا هم الغالبية، وأما الكوفيون فكانوا أقلية. نعم، لا إشكال أن يكون بعض الكوفيين في المقدمة ولهذا كان يخاطبهم الحسين عليه السلام وأصحابه ويذكرون

١- يتعامل بعض المؤرخين والباحثين مع هذا الأمر "جيش الشام" بحدود كونه إشاعة بثّها رجال ابن زياد بين صفوف الكوفيين لتخويفهم وتفريقهم عن مسلم بن عقيل عند قيامه على ابن زياد، ولكن الصحيح أنّ يزيد فعلاً هيّأ جيشاً جرّاراً لإرساله إلى العراق من أجل السيطرة على الأوضاع المنفلتة في العراق عموماً والكوفة تحديداً، وقد تقدم عند استعراض حركة مسلم أنّ بعض شيعة بني أمية في الكوفة كاتبوا يزيد وأطلعوه على الوضع الخطير وضعف إجراءات الوالي حينها (النعمان بن بشير) ومنهم عمر بن سعد، فالأحداث في الكوفة كانت تنذر بذهابها من يد بني أمية بالفعل لولا تدخل يزيد - بنصيحة من مستشاريه - ومباشرته بأمرين؛ الأول: تعيين عبيد الله بن زياد وإرساله إلى الكوفة فوراً، والثاني: تهيئة جيش كبير وبعثه إلى الكوفة لإعادة السيطرة عليها وعلى العراق عموماً. والجيش لم يكن قد وصل أيام حركة مسلم؛ لأن حركة جيش كبير من الشام إلى الكوفة تحتاج إلى وقت، لكنه بالتأكيد وصل قبل العاشر من محرم واشترك في الحرب على الحسين عليه السلام، وكان هو السبب في تخويف الكوفيين وخروج ألوف منهم للحرب وصولاً إلى إعادة السيطرة على الأوضاع في الكوفة من جديد.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

قابلين بضرب ضريح الحسين عليه السلام؟ بالطبع بعضهم خرج مجبراً، وبعضهم خرج بإرادته ولكنه لا يريد ولا يقبل بضرب ضريح الحسين إلا أنه بالنتيجة كان معهم وأكثر السواد، وبعضهم خرج بإرادته وقبل بضرب ضريح الحسين بحجة أنّ فيه مخرّبين ويريدون تدمير البلد! هذا يوضح لك حال كربلاء والكوفة سنة ٦١ هـ بصورة ما.

الحقيقة، إنّ أهل الكوفة كان على رقابهم سيف ابن زياد ويزيد، وهذا السيف هو جيش الشام، والأمويون في الكوفة سمّهم "الرفاق" إذا شئت. وأما أهل الكوفة فكانوا قسمين: قسم هرب وتخفّى بعضهم في بساتين الكوفة أو خرج منها، وقد مرّ عليك الهاربون من الكوفة وأنت ذكرت بعضهم ممّن التقوا بالحسين عليهم السلام [١]، والقسم الآخر التحقوا بجيش ابن زياد ويزيد. والملتحقين أيضاً أقسام وليس جميعهم كان يريد أو يقبل بأذية الحسين عليه السلام، ولكنهم علّلوا خروجهم بأنهم مجبرون وأنّ الأمور لن تصل لقتل الحسين، وبعضهم أو كثير منهم رجعوا إلى مؤخرة الجيش لما بدأ القتال، وربما ذكر المؤرخون بعض الحوادث ومنها حادثة الحر الرياحي حيث شكّوا به أنه يريد التراجع، فلماذا شكّوا به وهو قائد في الجيش الأموي؟ شكّوا به لأنها حالة متكررة وقد شاهدوها.

ثم نفس هؤلاء الفارّين من الكوفة أو المتخفّين في بساتينها شكّلوا جيوش الثورة على الأمويين فيما بعد مع سليمان بن صرد والمختار الثقفي) انتهى [٢].

وهذه مجموعة من الروايات والحقائق التي تؤكد اشتراك جيش الشام في حرب الحسين عليه السلام:

١- عن الإمام الصادق، في حديث طويل يذكر قصة مقتل الحسين صلوات الله عليه، إلى أن يقول: "ونظر الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً ولا يرى أحداً، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم إنك ترى ما يصنع بولد نبيك. وحال بنو كلاب بينه وبين الماء، ورمي بسهم فوقع في نحره، وخر عن فرسه، فأخذ السهم فرمى به، وجعل يتلقى الدم بكفه، فلما

١- ذكرنا أسماء كثيرين خرجوا من الكوفة والتقوا بالحسين عليه السلام سواء ممّن التحق به ونصره أو التقاه وانصرف عنه في بحث: "فئات صادفها الحسين في المسير"، فراجع.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته وهو يقول: ألقى الله عز وجل و أنا مظلوم متلطخ بدمي. ثم خر على خده الأيسر صريعاً، و أقبل عدو الله سنان بن أنس الأيادي، وشمر ابن ذي الجوشن العامري لعنهما الله في رجال من أهل الشام حتى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام، فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون؟ أريحوا الرجل ..." [١].

٢- عن الإمام الصادق، وقد سأله أبو غندر عن صوم عاشوراء، قال: "ذاك يوم قتل فيه الحسين عليه السلام، فإن كنت شامتاً فصم. ثم قال: إنّ آل أمية عليهم لعنة الله ومن أعانهم على قتل الحسين من أهل الشام، نذروا نذراً إن قتل الحسين عليه السلام وسلم من خرج إلى الحسين عليه السلام، وصارت الخلافة في آل أبي سفيان، أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم، وأن يصوموا فيه شكراً، ويفرحون أولادهم، فصارت في آل أبي سفيان سنة إلى اليوم في الناس، و اقتدى بهم الناس جميعاً، فلذلك يصومونه ويدخلون على عيالاتهم وأهاليهم الفرح ذلك اليوم" [٢].

٣- ذكر أبو حنيفة الدينوري أنّ المختار الثقفي لما غلب على الكوفة، بعث يزيد بن أنس الأسدي إلى الشام في عشرين ألفاً، فبلغ الخبر عبد الملك بن مروان فالتقوا في "نصيبين"، فانهزم يزيد فبعث المختار في إثره إبراهيم بن مالك الأشتر، ولما سمع عبد الملك هيّأ جيشاً شامياً كبيراً فيه الحصين بن نمير و ابن زياد وكثير من قتلة الحسين الشاميين على حد قول الدينوري، قال: (فانتخب له المختار عشرين ألف رجل، ..... وبلغ ذلك عبد الملك، فعقد للحصين بن نمير في فرسان أهل الشام، وكانوا نحواً من أربعين ألفاً، وفيهم عبيد الله بن زياد، وفيهم من قتلة الحسين: عمير بن الحباب، وفرات بن سالم، ويزيد بن الحضين، و أناس سوى هؤلاء كثير) [٣]. قوله: "... و أناس سوى هؤلاء كثير" يؤكد أنّ الشاميين كان لهم وجود كبير يوم عاشوراء.

٤- قال الفخر الرازي - وهو يعدّد أولاد الحسين -: (أما البنون، فعلي الأكبر أمه ليلى الثقفية، وأم ليلى ميمونة بنت أبي سفيان ابن حرب، ولهذا دعاه أهل الشام إلى الأمان

١- الأمالي، الصدوق: ٢٢٦.

٢- الأمالي، الطوسي: ٦٦٧.

٣- الأخبار الطوال: ٢٩٣.

وقالوا: إنّ لك رحماً بأمير المؤمنين يزيد بن معاوية، ويريدون رحم ميمونة. فقال علي بن الحسين عليه السلام: لقرابة رسول الله أحق بالرعاية من قرابة يزيد ابن معاوية، ثم شدّ عليهم و أنشأ يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي أنا وبيت الله أولى بالنبـــي
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي ضرب غلام هاشـــمي عربي

وقاتل حتى قتل، ولا عقب له بالإجماع) [١].

فتلخص بما تقدم: أنّ وجود الجيش الشامي في كربلاء واشتراكه في قتال الحسين أمر لا ريب فيه، وبالرغم من أنّ التاريخ يكتبه الحكّام الظلمة بالطريقة التي تحلو لهم بأقلام مأجورة عادة، وقد سعت تلك الأقلام إلى إخفاء الحقائق وتحريفها بل قلبها رأساً على عقب أحياناً، ومنها مسألة اشتراك أهل الشام في قتل الحسين إذ حرصت على تبرئة صفحتهم وتحميل الكوفيين وحدهم جريرة ما حصل، لكن - كما رأينا - بقي من الشواهد والأدلة ما يكفي لإثبات الحق، وبالنسبة لنا فإنّ روايات آل محمد لو كانت وحدها لكفت، فضلاً عن أن تسندها حقائق ونصوص تاريخية. إضافة إلى الحجج المنطقية البديهية التي بدت واضحة في كلام السيد أحمد الحسن المتقدم.

تنبيه: يبدو أنّ هناك خلطاً حدث عند بعض المؤرخين والباحثين عند الحديث عن أهل الكوفة وموقفهم من الإمام الحسين، فلم يفرّقوا بين الخذلان والمشاركة في القتال، فخذلان أهل الكوفة للحسين يكاد يكون صفة عامة اتصفوا بها إلا نفر قليل منهم لحقوا بالحسين ونصروه واستشهدوا معه في كربلاء، وكقاعدة عامة: كل من لم يلحق بالحسين فهو مقصّر معه وخاذل له، ولكن ليس كل مقصر شارك في الحرب عليه، بل كثير من الخاذلين كان قد فرّوا من الكوفة ولاحقاً شكّلوا الجيوش التي ثارت على الأمويين ومنها جيش التوّابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، واسمه دال عليه. فاتضح أنّ الخذلان صفة عامة لكن المشاركة في الحرب صفة لقسم من أهل الكوفة وليست لهم كلهم.

١- الشجرة المباركة في أنساب الطالبية: ٧٢ – ٧٣.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

منع الماء عن مخيّم الحسين(ع):

بعد وصول عمر بن سعد إلى كربلاء تواردت عليه كتب ابن زياد تباعاً وهي تحمل التوجيهات والأوامر، جاء في أحدها: "أن حل بين الحسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة". فبعث عمر بن سعد في الحال عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، أي في اليوم السابع [١].

والأدهى من هذا، أنّ ابن زياد بلغه أنّ الحسين حفر بئراً ليسقي منه عياله وأطفاله و أنصاره العطاشى، فأصدر الخبيث مرسوماً بعث به إلى ابن سعد جاء فيه: (أما بعد، فقد بلغني أنّ الحسين يشرب الماء هو وأولاده وقد حفروا الآبار ونصبوا الأعلام، فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت وضيّق عليهم ولا تدعهم يشربوا من ماء الفرات قطرة واحدة و افعل بهم كما فعلوا بالتقي النقي عثمان بن عفان رضي الله عنه، والسلام) [٢]. حتى إنّ رجلاً من أهل الكوفة - اسمه عبد الله بن الحصين الأزدي، وكان عداده في بجيلة [٣] - نادى الحسين بأعلى صوته فقال: "يا حسين، ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوقون منه قطرة واحدة حتى تموتوا عطشاً"، فقال الحسين: "اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً" [٤].

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣١١؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨١؛ الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٥؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٧.

٢- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٩١.

٣- تقدم أنّ قبيلة الأزد وبجيلة من القبائل اليمنية التي استوطنت الكوفة منذ بداية تمصيرها.

٤- وفعلاً: استجاب الله دعاء الإمام الحسين ومات اللعين عبد الله بن الحصين عطشاً، قال حميد بن مسلم: "والله لعدته بعد ذلك في مرضه فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب حتى بغر ثم يقئ ثم يعود فيشرب حتى يبغر فما يروى فما زال ذلك دأبه حتى لفظ غصته يعني نفسه" انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣١١؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨١؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٧. بغر: أي أكثر من شرب الماء.

فائدة: حميد بن مسلم الأزدي، كوفي حضر معركة كربلاء وشهد بعض مجرياتها ولم يشترك فيها لا مع الحسين عليه السلام ولا مع أعدائه، وكان عمله يشبه عمل المراسل الصحفي في عرفنا اليوم.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الشريعة بمن معه حتى أزالوهم عنها، و اقتحم رجالة الحسين الماء، فملأوا قربهم، ووقف العباس في أصحابه يذبون عنهم حتى أوصلوا الماء إلى عسكر الحسين) [١].

حقيقة، إنّ إقدام الأمويين على منع الماء عن مخيّم الإمام الحسين يعدّ جريمة بحق الإنسانية بلا أدنى شك؛ لا يختلف في ذلك اثنان من البشر الأسوياء بمختلف اعتقاداتهم وخلفيّاتهم و انتماءاتهم، وقد أثبت الأمويون والأمة التي أطاعتهم ورضت بأفعالهم أنهم ليسوا فقط بلا دين وأنّ تصرفهم يكشف مدى خبثهم ونصبهم العداء للرسول بعد سعيهم لإبادة عترته وذريته، ليس هذا فحسب ولكن أثبتوا - أيضاً - أنهم يتصفون بإجرام وشذوذ بهيمي مقزز يصعب معه احتسابهم على البشر أصلاً، اللهم إلا بالشكل والصورة الظاهرية ليس إلا: "الصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان" [٢]، هذا إضافة إلى أنّ فعلهم المنحط هذا جعلهم يتربّعون على قمة هرم فاقدي الشرف والضمير بامتياز؛ ولا أقل شرف الخصومة التي كان يراعي مقتضياتها كثير من العرب وغير العرب حتى وهم يرتعون في قعر جاهليتهم ويمارسون أبشع مظاهر السلوك الهمجي غير السوي.

أمان يعرضه الشمر على العباس وأخوته:

تقدم عند بيان تراجم أهل بيت الحسين عليه السلام أنّ العباس بن علي وإخوته: عبد الله وجعفر وعثمان أمهم هي أم البنين فاطمة بن حزام الكلابية، ولما كان الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله ضبابي كلابي (من بني الضباب بن كلاب) عرض على العباس وإخوته أماناً فرفضوه، قال المفيد: (وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين عليه السلام فقال: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب عليه وعليهم السلام فقالوا: ما تريد؟ فقال: أنتم يا بني أختي آمنون، فقالت له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا و ابن رسول الله لا أمان له؟!) [٣].

١- الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٥.

٢- القول لأمير المؤمنين عليه السلام وهو يحكي حال كثير من الناس المنحرفين عن الفطرة الإنسانية التي خلقهم الله عليها، انظر: نهج البلاغة: خطبة رقم ٨٧، تحقيق: د. صبحي الصالح.

٣- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٩؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨٣ – ١٨٤.

رجع الشمر لعنه الله خائباً بعد أن ردّ عليه أشبال علي بكلام واحد، ويبدو أنّ الطبري - أو الراوي الذي نقل الطبري قوله - لا يروق له رؤية هذا العنفوان العلوي في الدفاع عن الحق المتمثل بأخيهم وإمامهم الحسين، فذكر ردّ العباس وإخوته بطريقة أخرى، خلاصتها: أنّ الشمر لعنه الله أخذ الأمان مكتوباً من ابن زياد وسلّمه إلى عبد الله بن أبي المحل (راوي الحديث) وكلّفه بإيصاله إلى العباس وإخوته، فقام عبد الله ببعثه لهم مع مولىً له اسمه كزمان: (فلما قدم عليهم دعاهم فقال: هذا أمان بعث به خالكم فقال له الفتية: أقرئ خالنا السلام وقل له أن لا حاجة لنا في أمانكم أمان الله خير من أمان ابن سمية) [١]. مع أنّ الرواية نفسها نقلها ابن الأثير وابن كثير عن نفس الراوي (عبد الله بن أبي المحل) أيضاً، لكنها بدون زيادة: "اقرأ خالنا السلام" التي ذُكرت في تاريخ الطبري! أما ابن الأثير فذكر أنّ العباس وإخوته لما وردهم الكتاب قالوا: (لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من أمان ابن سمية) [٢]. وأما ابن كثير فذكر أنهم لما بلغهم الكتاب قالوا: (أما أمان ابن سمية فلا نريده، وإنا لنرجو أماناً خيراً من أمان ابن سمية) [٣].

وكان هذا الأمان عرض على العباس وإخوته يوم التاسع من محرم بعد أن انضم الشمر إلى عمر بن سعد لعنهما الله في كربلاء.

مصير من سمع واعية الحسين ولم يجبه!

روى الصدوق: (عن جرداء بنت سمين، عن زوجها هرثمة بن أبي مسلم، قال: غزونا مع علي بن أبي طالب عليه السلام صفين، فلما انصرفنا نزل كربلاء فصلى بها الغداة، ثم رفع إليه من تربتها فشمّها، ثم قال: واهاً لك أيتها التربة، ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب. فرجع هرثمة إلى زوجته، وكانت شيعة لعلي عليه السلام فقال: ألا أحدثك عن وليك أبي الحسن؟ نزل بكربلا فصلى، ثم رفع إليه من تربتها، وقال: واهاً لك أيتها التربة ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب، قالت: أيها الرجل، فإن أمير

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٤ – ٣١٥.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٥٦.

٣- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٩٠.

المؤمنين لم يقل إلا حقاً. فلما قدم الحسين قال هرثمة: كنت في البعث الذين بعثهم عبيد الله ابن زياد، فلما رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث، فجلست على بعيري، ثم صرت إلى الحسين عليه السلام، فسلمت عليه وأخبرته بما سمعت من أبيه في ذلك المنزل الذي نزل به الحسين عليه السلام فقال: معنا أنت أم علينا؟ فقلت لا معك ولا عليك، خلفت صبية أخاف عليهم عبيد الله بن زياد. قال: فامض حيث لا ترى لنا مقتلاً، ولا تسمع لنا صوتاً، فوالذي نفس الحسين بيده، لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا إلا كبّه الله لوجهه في جهنم) [١].

يوم التاسع وليلة العاشر من محرم:

يوم التاسع من محرم سنة ٦١ هـ بنهاره وليله (ليلة العاشر) كان يوماً عصيباً على عائلة الرسول صلى الله عليه وآله و أنصارهم، وحصلت فيه مجموعة من الأحداث، ونحن نشير إلى بعض منها مما ذكر في الروايات ونصوص المؤرخين:

الحسين(ع) يطلب الإمهال إلى صباح العاشر:

ذكرنا أنّ شمراً لعنه الله انضم إلى ابن سعد في كربلاء يوم التاسع من محرم، فأبلغه كتاب ابن زياد الذي خيّره فيه بين حسم قضية الحسين إما باستسلامه وبيعته أو قتله والتمثيل به، وبين اعتزال الأمر وترك قيادة الجيش لشمر، وبعد أن أبلغه قال شمر: (أخبرني ما أنت صانع، أتمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوه؟ وإلا فخل بيني وبين الجند والعسكر، قال: لا، لا والله ولا كرامة لك، ولكن أنا أتولّى ذلك، فدونك فكن أنت على الرجّالة. ونهض عمر بن سعد إلى الحسين عشية الخميس لتسع مضين من المحرم) [٢].

١- الأمالي، الصدوق: ١٩٩، وقعة صفين، ابن مزاحم: ١٤٠ – ١٤١؛ و انظر أيضاً: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢٢٢ – ٢٢٣؛ تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٢ / ٣٠١.

٢- تاريخ الطبري: ٤/ ٣١٤؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٩؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٥ / ٥٢؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٥٦.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر في هذا الأمر... وإنما أراد بذلك أن يردهم عنه تلك العشية حتى يأمر بأمره ويوصي أهله. فلما أتاهم العباس بن علي بذلك قال عمر بن سعد: ما ترى يا شمر قال: ما ترى أنت أنت الأمير والرأي رأيك قال: قد أردت ألا أكون [١] ثم أقبل على الناس فقال: ماذا ترون فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله والله لو كانوا من الديلم ثم سألوك هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها [٢] وقال قيس بن الأشعث: أجبهم إلى ما سألوك فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوة فقال والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرجتهم العشية.

قال: وكان العباس بن علي حين أتى حسيناً بما عرض عليه عمر بن سعد قال: ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عنّا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار. ..... عن علي بن الحسين قال: أتانا رسول من قبل عمر بن سعد فقام مثل حيث يسمع الصوت فقال: إنا قد أجّلناكم إلى غد فإن استسلمتم سرحنا بكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد وإن أبيتم فلسنا تاركيكم) [٣].

ملاحظات:

١- قول الحسين عليه السلام لأخيه العباس: "يا عباس اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم ... إلخ" يكشف عن عظم منزلة أخيه العباس عنده.

١- في رواية ابن أعثم: "إني أحببت أن لا أكون أميراً" الفتوح: ٥ / ٩٨.

٢- في رواية ابن أعثم: "فقال ... عمرو بن الحجاج: سبحان الله العظيم! لو كانوا من الترك والديلم وسألوا هذه المنزلة لقد كان حقا علينا [أن] نجيبهم إلى ذلك وكيف وهم آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهله! فقال عمر بن سعد: إنا قد أجلناهم في يومنا هذا" الفتوح: ٥ / ٩٨ – ٩٩.

وفي رواية ابن طاووس: "فسألهم العباس ذلك فتوقف عمر بن سعد (لع) فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي والله لو إنهم من الترك والديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم فكيف وهم من آل محمد فأجابوهم إلى ذلك" اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٤.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٤ – ٣١٧.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الجريمة التي سيرتكبها أشباه القردة والخنازير، ويلتقي المشهدان في أعظم صور العطاء لله ونصرة دينه القويم فتأتي الثورة الحسينية ثمارها وتتسبّب بزلزال وبركان كبير لم يستقر- ثورةً وتوهجاً - إلا بزوال عرش الأمويين، بل ولن يستقر طالما هناك ظلم وطغيان على هذه الأرض!

الحسين(ع) يأذن لأنصاره وأهل بيته بالانصراف وهم يأبون ذلك:

روى الطبري عن الإمام السجاد عليه السلام قال: (جمع الحسين أصحابه بعد ما رجع عمر بن سعد وذلك عند قرب المساء ... فدنوت منه لأسمع و أنا مريض فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه: أُثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلّمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً و أبصاراً و أفئدة ولم تجعلنا من المشركين أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أولى عولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً خيراً ألا و إني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً ألا و إني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً) [١].

"هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً:" الجمل معروف، و"اتخذ الليل جملاً": مثل يُضرب لمن يعمل العمل بالليل [٢]، والإمام الحسين بقوله هذا يكون قد إذن لأنصاره (أهل بيته وصحبه) بالانصراف وترك لهم حرية اتخاذ القرار، وهم رضوان الله عليهم برفضهم الانصراف عنه يكونوا قد اختاروا بأنفسهم البقاء ونيل الشهادة معه، فالله سبحانه ارتضى من الإنسان التديّن بالاختيار ولم يرتضِ التديّن بالإكراه والجبر، قال تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ" البقرة: ٢٥٦، وكما أنّ الحسين صلوات الله عليه عمل على إنفاذ مراد الله باختياره فأنصاره الكرام اختاروا أن يكونوا معه ويحظوا بعظيم المنزلة والفتح الإلهي المبين، فطوبى لهم وحسن مآب!

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٧؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩١.

٢- انظر: مجمع الأمثال، الميداني: ١ / ٣٥ رقم ٦٧١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

ورويت هذه الحادثة (القسم المتعلق منها بأهل بيت الحسين عليه السلام) بصيغة أخرى في رواية منسوبة إلى الإمام السجاد [١]، لكن الرواية تتضمن أموراً غير صحيحة، وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها واعتبارها رواية صحيحة، هذا ما عرفته من السيد أحمد الحسن [٢].

و أيضاً: بعض المحدثين روى أنّ الإمام الحسين عليه السلام بعد أن استعلم نيّات أنصاره (أهل بيته وصحبه) ورأى ثباتهم أخبرهم بمصيرهم بحسب ما أطلعه الله سبحانه عليه وكشف لهم عن مقاماتهم في الجنان:

روى الراوندي: (عن أبي حمزة الثمالي قال: [قال] علي بن الحسين عليهما السلام: كنت مع أبي الليلة التي قتل صبيحتها. فقال لأصحابه: هذا الليل فاتخذوه جملاً فإنّ القوم إنما يريدونني، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، و أنتم في حل وسعة. فقالوا: لا والله، لا

١- وهذا نص الرواية: عن أبي حمزة الثمالي: (سمعت علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، يقول: لما كان اليوم الذي استشهد فيه أبي عليه السلام، جمع أهله وأصحابه في ليلة ذلك اليوم فقال لهم: يا أهلي وشيعتي اتخذوا هذا الليل جملاً لكم، فانجوا بأنفسكم، فليس المطلوب غيري، ولو قتلوني ما فكروا فيكم، فانجوا رحمكم الله، فأنتم في حل وسعة من بيعتي وعهدي الذي عاهدتموني. فقال إخوته وأهله و أنصاره بلسان واحد: والله يا سيدنا يا أبا عبد الله، لا خذلناك أبداً، والله لا قال الناس: تركوا إمامهم، وكبيرهم وسيدهم وحده حتى قتل، ونبلو بيننا وبين الله عذرا ولا نخليك أو نقتل دونك. فقال لهم عليه السلام: يا قوم إني في غد أقتل وتقتلون كلكم معي، ولا يبقى منكم واحد. فقالوا: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك، وشرفنا بالقتل معك، أو لا نرضى أن نكون معك في درجتك يا بن رسول الله؟ فقال جزاكم الله خيراً، ودعا لهم بخيرفأصبح وقتل وقتلوا معه أجمعون. فقال له القاسم بن الحسن: و أنا فيمن يقتل، فأشفق عليه. فقال له: يا بني كيف الموت عندك؟! قال: يا عم أحلى من العسل. فقال: أي والله فداك عمك إنك لأحد من يقتل من الرجال معي، بعد أن تبلو ببلاء عظيم، و ابني عبد الله. فقال: يا عم ويصلون إلى النساء حتى يقتل عبد الله وهو رضيع؟ فقال: فداك عمك يقتل عبد الله إذا جفت روحي عطشاً، وصرت إلى خيمنا فطلبت ماء ولبناً فلا أجد قط فأقول: ناولوني ابني، لأشرب من فيه، فيأتوني به، فيضعونه على يدي، فاحمله لأدنيه من في، فيرميه فاسق لعنه الله بسهم فينحره، وهو يناغي، فيفيض دمه في كفي، فارفعه إلى السماء، و أقول: اللهم صبرا واحتسابا فيك، فتعجلني الأسنة منهم، والنارتستعرفي الخندق الذي فيه ظهر الخيم، فأكر عليهم في أمر أوقات في الدنيا، فيكون ما يريد الله فبكى وبكينا وارتفع البكاء والصراخ من ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله في الخيم، ويسأل زهير ابن القين وحبيب بن مظاهر عني فيقولون: يا سيدنا فسيدنا علي عليه السلام فيشيرون إلي ماذا يكون من حاله؟ فيقول: مستعبراً ما كان الله ليقطع نسلي من الدنيا، فكيف يصلون إليه وهو أب ثمانية أئمة) الهداية الكبرى، الخصيبي: ٢٠٤ – ٢٠٥.

٢- في حوار خاص معه.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

سألت السيد أحمد الحسن عن ذلك، فقال: "الرواية غير صحيحة" [١].

موقف بشر بن عمرو الحضرمي:

ضمن أحداث ليلة العاشر ذكر بعض المؤرخين موقفاً لأحد أنصار الحسين الذين التحقوا به بعد نزوله في كربلاء، وقد تقدم ذكره في فصل الملتحقين باسم: بشر بن عمرو الكندي الحضرمي [٢]، و ابن طاووس في "اللهوف" ذكره باسم: محمد بن بشير الحضرمي، لكن الصحيح ما أوردناه؛ لأنه الوارد في زيارة الناحية [٣]. عموماً، ملخص قصة بشر: أنه بلغه - ليلة العاشر - أنّ ابنه تم أسره في ثغور الري، وعلم الحسين بالخبر فأذن له بالانصراف للسعي في فكاك ابنه، لكنه أبى وكان معه ولده الآخر، فأعطاه الإمام أثواب ثمينة بقيمة ألف دينار ليأخذها ابنه "محمد" من أجل أن يستعين بمبلغها في فداء أخيه من الأسر، أما بشر فبقي مع الحسين واستشهد معه يوم العاشر رضوان الله عليه، وهذه - بلا شك - صورة من صور الولاء الصادق.

قال ابن طاووس: (وقيل لمحمد بن بشير الحضرمي في تلك الحال: قد أسر ابنك بثغر الري فقال: عند الله أحتسبه ونفسي ما كنت أحب أن يؤسر و أنا أبقى بعده، فسمع الحسين عليه السلام قوله فقال: رحمك الله أنت في حل من بيعتي فأعمل في فكاك ابنك فقال: أكلتني السباع حيّاً إن فارقتك. قال: فأعطِ ابنك هذه الأثواب والبرود يستعين بها في فداء أخيه فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار) [٤].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- تقدم ذكره في فصل الملتحقين بالحسين عليه السلام، برقم: ٨٣.

٣- حيث جاء فيها: "السلام على بشر بن عمرو الحضرمي، شكر الله لك قولك للحسين وقد أذن لك في الانصراف: أكلتني إذن السباع حيّاً إن فارقتك وأسأل عنك الركبان، وأخذلك مع قلة الأعوان، لا يكون هذا أبداً" إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٧٧.

٤- اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٧.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

بين بريربن وابن سعد:

روى الخوارزمي: أنّ بريربن خضير الهمداني - وكان من الزهّاد الذين يصومون النهار ويقومون الليل - جاء إلى الحسين عليه السلام: (فقال: يا بن رسول الله ائذن لي أن آتي هذا الفاسق عمربن سعد فأعظه لعلّه يتّعظ ويرتدع عمّا هو عليه، فقال الحسين: ذاك إليك يا بريربن، فذهب إليه حتّى دخل على خيمته فجلس ولم يسلّم، فغضب عمر وقال: يا أخا همدان ما منعك من السلام عليّ ألستُ مسلماً أعرف الله ورسوله وأشهد بشهادة الحق؟ فقال له بريربن: لو كنتَ عرفت الله ورسوله كما تقول لما خرجت إلى عترة رسول الله تريد قتلهم، وبعد فهذا الفرات يلوح بصفائه ويلج كأنه بطون الحيّات تشرب منه كلاب السواد وخنازيرها، وهذا الحسين بن علي وإخوته ونساؤه وأهل بيته يموتون عطشاً وقد حلت بينهم وبين ماء الفرات أن يشربوه وتزعم أنك تعرف الله ورسوله!

فأطرق عمربن سعد ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال: إن والله أعلمه يا بريربن لأعلم يقيناً أنّ كل من قاتلهم وغصبهم حقهم هو في النار لا محالة، ولكن يا بريربن أفتشير عليّ أن أترك ولاية الري فتتكون لغيري؟! فو الله ما أجد نفسي تجيبني لذلك ثم قال:

دعاني عبيد الله من دون قومه ... إلى خطّة فيها خرجت لحيني
فوالله ما أدري وإنّي لحائر ... أفكّر في أمري على خطرينِ
أأترك ملك الري والري منيتي ... أم أرجع مأثوماً بقتل حسينِ
وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرّة عيني

فرجع بريربن إلى الحسين وقال: يا ابن رسول الله إنّ عمربن سعد قد رضي لقتلك بملك الري) [1].

معهم بلى والله لنجيبن إخو اننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم قال فلما تابع التميميون أصحابي كف الآخرون قال فنجاني الله) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٩.

١- مقتل الحسين، الخوارزمي: ١ / ٣٥١ – ٣٥٢.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

أقول: استعرضنا في فصل الملتحقين بالحسين عليه السلام أسماء الأنصار الذين التحقوا به في كربلاء منذ نزوله فيها في اليوم الثاني من محرم إلى يوم العاشر وبالكاد بلغوا أربعين شخصاً أو أكثر بقليل طيلة فترة الأسبوع الذي قضاه الحسين في كربلاء قبل شهادته، فلو كان عبر لمعسكره ثلاثون شخصاً دفعة واحدة لكان هكذا فعل يعد حدثاً كبيراً تسلّط عليه الأضواء حتماً؛ باعتبار أنّ الأمة - آنذاك - عقمت أن تلد رجالاً و أبطالاً مثل أنصار الحسين، وكان مجيء الفرد الواحد منهم و انضمامه إلى معسكر الحسين محط نظر واهتمام بالغ لدى المدوّنين والمراقبين والمؤرخين؛ لأنه - أي الملتحق - بالضبط يسبح عكس التيار الجارف، فكيف بمجيء ثلاثين شخصاً دفعة واحدة؟!!

نعم، إذا كان القصد أنّ مجموع من عبر من معسكر ابن سعد إلى معسكر الحسين طيلة الأسبوع الذي قضاه الإمام في كربلاء قبل مقتله بلغ زهاء الثلاثين في ليلة العاشر فهو أمر ممكن ومقبول، وقد استعرضنا سابقاً حال بعض الملتحقين من الأنصار بعد وصول الحسين الى كربلاء ووجدنا أنّ بعضهم كان مع ابن سعد فعلاً وقسم منهم كان موالياً لأهل البيت عليهم السلام لكنه خرج مع عسكر ابن سعد ثم لما وصل إلى كربلاء مال إلى معسكر الحسين عليه السلام، وكانت هذه الطريقة إحدى وسائل اللحوق بالحسين بعد تشديد الطوق الأمني على الكوفة وكربلاء من قبل السلطات الأموية الظالمة.

وربما هذا ما يشير له كلام الشيخ المحقق محمد السماوي، قال: (... فجعل يتسلل إلى الحسين من أصحاب عمر بن سعد في ظلام الليل الواحد والاثنان حتى بلغوا في اليوم العاشر زهاء ثلاثين ممّن هداهم الله إلى السعادة ووفقهم للشهادة) [١].

لكن الإشكال في كلامه أنه صوّرهم جميعاً من أصحاب ابن سعد فهداهم الله إلى الحسين عليه السلام، مع أنّ الصحيح - كما عرفنا - أنّ بعضهم كان موالياً حقيقة و اتّخذ الخروج مع ابن سعد مجرد وسيلة توصله إلى معسكر الحسين عليه السلام.

١- إبصار العين في أنصار الحسين: ٣١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

وبعض المؤرخين روى الحادثة مختصراً، منهم ابن شهرآشوب قال: (فأوصى الحسين أن لا يشقّوا عليه جيباً ولا يخمشوا وجهاً ولا يُدعى بالويل والثبور، وباتوا قارئين راكعين ساجدين. قال علي بن الحسين: إني لجالس في تلك الليلة التي قتل أبي في صبيحتها وكان يقول: "يا دهر أف لك من خليل ....."، قالت زينب: كأنك تخبر أنك تغصب نفسك اغتصاباً، فقال: لو ترك القطا ليلاً لنام) [١].

تفقد التلاع والروابي واستعلام نيّات الأنصار:

ذكر المحققان السيد عبد الرزاق المقرّم والشيخ محمد مهدي الحائري حادثة خروج الإمام الحسين ليلة العاشر لتفقد المنطقة المحيطة بالمخيّم، التي كان يتوقع أن تكون مسرحاً للقتال صباح الغد، فرآه نافع بن هلال وجرى بينهما حوار أدى إلى ظهور موقف خالدة بلغت الغاية في النبل والبطولة والولاء الخالص كما سنرى الآن، قالا:

(كان نافع ابن هلال من أخص أصحاب الإمام الحسين عليه السلام به، وأكثرهم ملازمة له سيما في مضان الاغتيال - وقيل إنه كان حازماً بصيراً بالسياسة - فلما رأى الحسين عليه السلام خرج في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات تبعه نافع، فسأله الحسين عليه السلام عمّا أخرجه قال: يا بن رسول الله أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغي. فقال الحسين عليه السلام: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمنا لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون، ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع، ويقول: هي هي والله وعد لا خلف فيه. ثم قال له: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟ فوقع نافع على قدميه يقبلهما ويقول: ثكلتني أمي، إن سيفي بألف وفرسي مثله، فوالله الذي من بك علي لا فارقتك حتى يكلأ عن فري وجري. ثم دخل الحسين عليه السلام خيمة زينب، ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره فسمع زينب

١- مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٤٩. القطا: طائر صغير يشبه الحمام، قال الميداني: (نزل عمرو بن مامة على قوم من مراد، فطرقوه ليلاً فأثاروا القطا من أماكنها فرأتها امرأته طائرة، فنهت المرأة زوجها فقال: إنما هي القطا، فقالت: لو ترك القطا ليلاً لنام. يضرب لمن حمل على مكروه من غير ارادته، وقيل غير ذلك) مجمع الأمثال: ٢ / ١٧٤ رقم ٣٢٣١.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الحرم قال: فوثب القوم من كل ناحية وتعاونوا وحفروا خندقاً، ثم جمعوا الشوك والحطب وألقوه في الخندق وأججوا فيه النار) [١].

روى الصدوق بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (ثم إنّ الحسين عليه السلام أمر بحفيرة فحفرت حول عسكره شبه الخندق، وأمر فحشيت حطباً، وأرسل علياً ابنه عليه السلام في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ليستقوا الماء، وهم على وجل شديد، و أنشأ الحسين عليه السلام يقول: "يا دهر أف لك من خليل * ..... وكل حي سالك سبيلي". ثم قال لأصحابه: قوموا فاشربوا من الماء يكن آخر زادكم، وتوضؤوا واغتسلوا، واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم. ثم صلّى بهم الفجر وعبّأهم تعبئة الحرب، وأمر بحفيرته التي حول عسكره فأضرمت بالنار، ليقاتل القوم من وجه واحد) [٢].

رؤيا الحسين(ع) وقت السحر!

روى الخوارزمي: (فلما كان وقت السحر خفق الحسين برأسه خفقة ثم استيقظ فقال: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟ قالوا: فما رأيت يا بن رسول الله؟ فقال: رأيت كلاباً قد شدّت عليّ تناشبني لتنهشني، وفيها كلب أبقع رأيته كأشدّها عليّ، وأظن الذي يتولى قتلي رجلاً أبرص من بين هؤلاء القوم، ثم إني رأيت بعد ذلك جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول لي: يا بني! أنت شهيد آل محمد! وقد استبشر بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجّل ولا تتأخر! فهذا ملك نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء، فهذا ما رأيت وقد أزف الأمر و اقترب الرحيل من هذه الدنيا) [٣].

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٩٦.

٢- الامالي، الصدوق: ٢٢٠ – ٢٢١.

٣- مقتل الحسين، الخوارزمي: ١ / ٣٥٦؛ و انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ٩٩ – ١٠٠.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الكتابان كما نلاحظ ليسا متشابهين في الاختصار وفي كونهما رسالتي وداع؛ الأولى: "من لحق بي استشهد ..." كانت وداعاً للمسير من مكة إلى العراق والثانية وداعاً من كربلاء إلى الآخرة، ليس هذا فحسب ولكنهما أيضاً متشابهين في المضمون؛ إذ يحمل كلاهما عتباً واضحاً من الإمام الحسين على عموم الهاشميين الذين تخلّفوا عنه.

يقول السيد أحمد الحسن في بيان ذلك:

(عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كتب الحسين بن علي عليهما السلام من مكة إلى محمد بن علي: "بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم أما بعد: فإن من لحق بي استشهد ومن لم يلحق لم يدرك الفتح والسلام".

(و) ... عن أبي جعفر عليه السلام قال: كتب الحسين بن علي إلى محمد بن علي من كربلا: "بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم أما بعد فكأن الدنيا لم تكن، وكأن الآخرة لم تزل والسلام" [١].

كلام الحسين عليه السلام فيه عتب واضح على محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس وعمر بن علي وبني هاشم عموماً، فالأُولى كانت رسالة وداع أرسلها لهم الحسين عليه السلام وأكد فيها على عظم اللحوق به وهم غير ملتحقين، وفي الأخيرة أكد على أنّ الدنيا بلا قيمة وإذا كان هناك ما يستحق الطلب فهي الآخرة، وهم بلا شك ركنوا للدنيا لما تخلّفوا عن ركب الحسين عليه السلام، وكانت الرسالة مختصرة جداً وكذا هو عتب الكرام. علماً أنه عليه السلام عاتبهم ليتداركوا حالهم بعده وإلا فلا مجال للتدارك الفعلي كما هو واضح.

أيضاً: لاحظت أنّ البعض يعتذر لهم بكلام إنشائي دون دليل، مثل: إنّ الحسين طلب منهم البقاء بالمدينة وكلّفهم بمهام ..... إلخ، وهذا افتراء وكذب واضح وجلي على الإمام عليه السلام، فلا يوجد أي رواية تقول هذا ليقال إنهم توهموا مثلاً، بل الموجود أنّ الحسين دعاهم إلى نصرته ضمن من دعا وتخلّفوا عنه. نعم، لما اختاروا هم التخلّف عنه وعلم

١- انظر: العوالم – الإمام الحسين: ١٥٥.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

ومهما يكن، فهذه قائمة بأهم الأسماء:

١- محمد بن علي (ابن الحنفية) [١].
٢- عبد الله بن جعفر [٢].
٣- عبد الله بن عباس [٣].
٤- قنبر (خادم أمير المؤمنين) [٤].

١- محمد بن علي بن أبي طالب، ابن الحنفية، أمّه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية، ولد سنة ١٦ هـ. كان لديه أربع وعشرون ولداً، منهم أربعة عشر ذكراً، حضر مع أبيه حربي الجمل وصفين. لم يخرج (وكذا ولده جميعاً) مع أخيه الحسين وبقي في المدينة ثم خرج منها إلى مكة و أقام فيها مع عبد الله بن عباس بعد مقتل الحسين. كان ممن بايع يزيد، دعاه ابن الزبير إلى بيعته فامتنع ثم أخرجه المختار و أقام برضوى قرب المدينة، توفي سنة ٧٣ هـ وقيل عاش إلى سنة ثمانين أو بعد ذلك، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٧ / ٧٧ – ٧٩؛ المجدي في أنساب الطالبيين، العمري: ٢٢٣؛ الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥ / ٩٣. كانت له حوارات عديدة مع الإمام الحسين في مسألة الثورة على يزيد والمسير إلى العراق نقلنا أهمها في البحوث السابقة.

٢- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أمّه أسماء بنت عميس، ولد في الحبشة في السنة الأولى من الهجرة، التزم عمّه أمير المؤمنين عليه السلام وحضر معه حروبه وكان على ميمنته يوم صفين التي قتل فيها ولده محمد الأكبر. زوجّه أمير المؤمنين من ابنته العقيلة زينب عليها السلام و أقام معه في الكوفة. لم يخرج مع الحسين إلى كربلاء لكن له ولدان استشهدا مع خالهما الحسين، وله أولاد قتلوا في و اقعة الحرة بالمدينة. توفي سنة ٨٠ أو ٨٤ هـ في الأبواء بين مكة والمدينة. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٥٠٠ – ٥٠٢. وموقفه من ثورة الحسين ومسيره إلى كربلاء شبيه بموقف ابن الحنفية.

٣- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ولد في مكة قبل الهجرة بثلاث سنين، صحب الرسول صغيراً، ثم لازم أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام، حضر مع أمير المؤمنين حروبه وكان من أمراء الجيش يوم صفين، اقترحه حكماً عنه في مسألة التحكيم فرفضت الخوارج. ولّاه البصرة وروي أنه احتمل بيت مالها وذهب به إلى مكة فكتب له عليه السلام: "أما بعد، فإني كنت قد أشركتك في أمانتي ولم يكن أحد من أهل بيتي في نفسي أوثق منك لمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة إليّ فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو عليه قد حرب قلبت لابن عمك ظهر المجن...". كان من المنادين ببيعة الحسن بعد شهادة أبيه. لم يخرج مع الحسين إلى كربلاء وكان له حوارات تقدم أهمها. بايع يزيد وله كتاب شديد اللهجة وجهه إليه بعد قتله الحسين وسبي عياله. أقام بمكة بعد مقتل الحسين. دعاه ابن الزبير الى بيعته فلم يجب فنفاه إلى الطائف، توفي بها سنة ٦٩ هـ، انظر: اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٢٧٩؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٥ / ٤٣ – ٤٤؛ المعجم الكبير، الطبراني: ١٠ / ٢٤١ – ٢٤٣.

٤- قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام، عاش في بيته، ويعد من خواص أصحابه وأمينه وحاجبه. كان حاملاً لواء جيش علي في صفين، جاء ذكره ضمن شرطة الخميس. قتله الحجاج الثقفي لولائه. روي: أن الحجاج قال ذات يوم: أحب أن أصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب فأتقرب إلى الله بدمه! فجيء بقنبر فقال له: أنت مولى علي بن أبي طالب؟ قال: الله مولاي وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي، قال: أبرأ من دينه، قال: فإذا برئت من دينه تدلني على دين غيره أفضل منه؟ فقال: إني قاتلك فاختر أي قتلة أحب إليك، قال: قد صيرت ذلك إليك لأنك لا تقتلني قتلة إلا

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

٩- ميثم التمار[١].

١٠- رشيد الهجري[٢].

١١- مزرع مولى أمير المؤمنين[٣].

١٢- الحارث الأعور الهمداني[٤].

١٣- أبو الأسود الدؤلي[٥].

١- ميثم بن يحيى التمار: نزيل الكوفة، لقب بالتمار لأنه كان يبيع التمر. كان عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه أمير المؤمنين منها وأعتقه. كان من خواصّه وحواريه ومعروفاً بإخباره عن المغيّبات، قال له يوماً: إنك تؤخذ بعدي فتُصلب على نخلة بباب عمرو بن حريث. حج أو اعتمر في سنة ٦٠ هـ، وبعد عودته مسكه عبيد الله بن زياد وصلبه كما أخبره أمير المؤمنين، وكان ذلك قبل مقدم الحسين العراق بعشرة أيام، انظر: اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٢٩٢٣؛ الإصابة، ابن حجر: ٦ / ٢٤٩ – ٢٥٠. وهو وإن استشهد قبل مجيء الحسين عليه السلام بأيام لكن ثورة الحسين لم تكن فقط يوم عاشوراء بل سبقته بأكثر من خمسة أشهر ولم يكن لميثم خلالها أي دور لا مع الإمام ولا مع رسوله في الكوفة.

٢- رشيد بن عقبة الهجري الكوفي، صحابي. من خواص أمير المؤمنين عليه السلام وموضع سرّه، له علم بالمنايا والمغيّبات، لازم الحسنان بعد شهادة أمير المؤمنين، وكان باب الحسين وممّن أخبر بقتله. أرسل عليه اللعين ابن زياد بالكوفة أيام إمارته (بعد مقتل الحسين) فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فأبى فقال له: فبأي ميتة قال لك تموت؟ قال: أخبرني خليلي أنك تدعوني إلى البراءة منه فلا أتبرأ منه فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ولساني، فقال: والله لأكذبن قوله فيك، قدموه فاقطعوا يديه ورجليه و اتركوا لسانه فحملوه خارج القصر واجتمع الناس حوله يحدثهم فأخبروا ابن زياد بذلك فأمر بقطع لسانه فمات في ليلته رحمه الله. انظر: الاختصاص، المفيد: ٧٨؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٢٣٢؛ بحار الانوار، المجلسي: ٤١ / ٣١٣.

٣- مولى أمير المؤمنين عليه السلام وصاحبه، تابعي مقرّب إليه. كان عارفاً بالمنايا، روى عنه أبو العالية: "ليؤخذنّ رجل فليقتلنّ وليصلبنّ بين شر افتين من شرف المسجد " فقلت له: إنّك لتحدّثني بالغيب! فقال: احفظ ما أقوله لك. قال أبو العالية: فو الله! ما أتت علينا جمعة حتّى أُخذ مزرع، فقتل وصلب بين شر افتين من شرف المسجد". انظر: قاموس الرجال، التستري: ١٠ / ٤٨. أقول: قتل بعد مقتل ميثم التمار ورشيد الهجري لكونهم من أصحاب عليّ عليه السلام ومن ذوي سرّه.

٤- الحارث الأعور بن عبد الله الهمداني، تابعي كوفي، من خواص أمير المؤمنين عليه السلام، وأحد ثقاته العشرة، وهو الذي قال له: "يا حار همدان من يمت يرني"، وقال له: " و أبشرك يا حارث لتعرفني عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة". ثم لازم الإمام الحسن بعد شهادة أبيه. توفي سنة ٦٥ هـ. انظر: الكنى والألقاب، عباس القمي: ٢ / ١٠٤ – ١٠٥. توفي بعد مقتل الحسين بأربع سنين، وربما يعتذر له أحد بكبر السن، لكن يوجد بين أنصار الحسين من هم كبار بالسن أيضاً كحبيب بن مظاهر و أنس بن الحارث وهو رفيق لهم، كما أنّ العذر مهما كان لا يغيّر من الواقع شيئاً كما نبّهت لذلك.

٥- ظالم بن عمرو، بصري مشهور من سادات التابعين وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، شهد معه صفين، كان بعض جيرانه في البصرة يرجمونه ليلاً لحبه علياً عليه السلام، ويذكر ضمن أصحاب الحسن والحسين عليهما

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

١٩- عبد الله بن الحارث الهمداني [١].

٢٠- يحيى بن أم الطويل [٢].

٢١- سعيد بن المسيب [٣].

٢٢- سعيد بن جبير [٤].

وركزا رايتهما بباب عمرو بن حريث طالبين الأمان الممنوح من ابن زياد، فألقي القبض عليهما وشترابن زياد وجهه بالقضيب وأمر بحبسه، كما تقدم. ولم يزل المختار محبوساً حتى قتل الحسين عليه السلام، ثم أفرج عنه بعد ذلك، وسيأتي تفصيل حركته وثورته لاحقاً.

١- عبد الله بن الحارث بن نوفل الهمداني، بصري من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، كان ممّن أحضره ابن زياد معه من البصرة عند مسيره إلى الكوفة بعد بيعة أهلها لمسلم بن عقيل. التحق بمسلم وأخذ البيعة له، كان قائداً على أحد ألوية جيش مسلم في أطراف الكوفة مع لواء المختار، وقد تأخّرا بالقدوم عليه لما طلب حضورهما عند قيامه على ابن زياد، فوصلا في اليوم التالي لشهادة مسلم، فألقي القبض عليهما فأمر ابن زياد لعنه الله بقتل عبد الله بن الحارث رحمه الله، وقد تقدم بيان ذلك في بحث مقتل مسلم عليه السلام.

٢- يحيى بن أم الطويل المطعمي، نسبة إلى جبير بن مطعم القرشي من بني عبد مناف، أخو الإمام السجاد من الرضاعة، من أصحاب الإمام الحسين، وأحد حواريي الإمام السجاد، كان أحد الخمسة المؤمنين به ولم يكن معهم أحد، وروي عن الإمام الصادق: "ارتد الناس بعد قتل الحسين بن علي إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي ويحيى ابن أم الطويل وجبير بن مطعم"، كان يقف بالكناسة (ساحة بالكوفة) وينادي: "معشر أولياء الله أنا براء مما تسمعون. من سب علياً فعليه لعنة الله. ونحن براء من آل مروان وما يعبدون من دون الله"، طلبه الحجاج لعنه الله وأمر بقطع يديه ورجليه وقتله بواسط وقبره هناك. انظر: جامع الرواة، الاردبيلي: ٢ / ٣٢٦؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٨ / ١٩٠.

٣- سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي. تابعي ولد سنة ١٥ هـ، ربّاه أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن أوصى جده "حزن" بدفعه إليه، عُدّ ضمن حواريي الإمام السجاد عليه السلام، واعتبره الفضل بن شاذان أحد الخمسة الذين كانوا مع الإمام أول أمره، نجا من بطش الوليد بن عبد الملك؛ لأنه كان يفتي بقول العامة. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٨٠ – ٨٢؛ جامع الرواة، الاردبيلي: ١ / ٣٦٢.

٤- سعيد بن جبير بن هاشم الأسدي، تابعي ولد في الكوفة على الأرجح سنة ٣٨ هـ، أبوه حبشي الأصل مولى لبني أسد، درس عند ابن عباس تفسير القرآن، يعد في أصحاب الإمام السجاد عليه السلام وأحد الخمسة الذي كانوا معه أول أمره. قتله الحجاج عام ٩٥ هـ. صرح البعض بتشيعه وولائه لأمير المؤمنين عليه السلام. انظر: الكنى والألقاب، عباس القمي: ١ / ٦٣؛ مستدركات علم رجال الحدي، النمازي: ٤ / ٥٧ – ٥٨. أقول: إذا أخذنا برواية ولادته عام ٣٨ هـ فإنّ عمره يوم عاشوراء هو ٢٣ سنة، وعلى أي حال فهو ممن تخلّف عن نصرة الحسين عليه السلام، وقد نقل عنه: "قال سعيد بن جبير: ما مضت علي ليلتان منذ قتل الحسين إلا أقرأ فيهما القرآن إلا مسافرا أو مريضا" الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦ / ٢٥٩ – ٢٦٠.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

٢٩- عبد الله بن مسمع [١].

٣٠- عمارة بن عبد السلولي [٢].

٣١- ظبيان بن عمارة [٣].

٣٢- عبد الله بن شداد الارحبي [٤].

٣٣- عبد الرحمن بن شريح الشيباني [٥].

٣٤- السائب بن مالك [٦].

١- عبد الله بن مسمع الهمداني، شيعي كوفي حمل مع عبد الله بن وال كتب أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام في مكة. لكنه لم ينصره في كربلاء. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٥ / ١٢٤. أقول: تخلّف عن نصرة الحسين ولم أعثر على شيء بخصوصه.

٢- عمارة بن عبد - أو عبيد - السلولي، تابعي وأحد وجوه الشيعة المعروفين، ساهم بنقل المجموعة الثانية من كتب أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام بمكة برفقة قيس بن مسهر وعبد الرحمن الأرحبي، بعثه الإمام مع مسلم بن عقيل إلى الكوفة. اقترح على هانئ بن عروة قتل عبيد الله بن زياد لما قرر المجيء إليه لعيادته، وقد تقدم ذكره في بحث إرسال مسلم وحركته بالكوفة. انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٧٠؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٧ – ٣٨. أقول: انقطع ذكره بعد أحداث الكوفة.

٣- ظبيان بن عمارة التميمي الكوفي، من أصحاب أمير المؤمنين عليه المؤمنين، شهد معه صفين، بايع الحسن بعد شهادة أبيه وخرج معه في مسيره بأهل العراق لقتال معاوية، هو الذي أخذ المعول من يد سنان بن الجراح الذي طعن الإمام الحسن في فخذه أثناء مسيره وضرب به سناناً وقطع أنفه ثم قتله. كان من أصحاب المختار وهو الذي حمل رأس عمر بن سعد و ابنه حفص إلى ابن الحنفية. انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٢؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٣٠٢.

٤- كان هو وأخوه عبد الرحمن بن شداد الأرحبي رسولان من أهل الكوفة الى الإمام الحسين عليه السلام وأرسلهما مع مسلم إلى الكوفة. انظر: الارشاد، المفيد: ٢ / ٣٩؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٤٠١. أقول: بالنسبة إلى عبد الرحمن الأرحبي فقد لحق بالحسين ونصره واستشهد معه في كربلاء، انظر: إبصار العين في أنصار الحسين، السماوي: ١٣١، وقد تقدم ذكره ضمن الملتحقين برقم ٤٣. وأما عبد الله فلم ينصر الحسين عليه السلام و انقطع خبره، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٤٠١.

٥- من أصحاب المختار، ممن بايع مسلم بن عقيل بالكوفة وكان رسوله إلى محمد بن الأشعث. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٤٠١.

٦- السائب بن مالك الأشعري، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وأسلم، هاجر إلى الكوفة و أقام فيها، كان معروفاً بولائه لعلي عليه السلام وعلى خلاف مع عمه ووالد زوجته أبي موسى الأشعري بسبب ولاء علي عليه السلام، أحد رجالات ثورة المختار، كان المختار يستخلفه على الكوفة إذا خرج منها، بقي معه لما حوصر من قبل جيش مصعب بن الزبير وقتل معه سنة ٦٧ هـ. انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٦٩؛ انساب الاشراف، البلاذري: ٦ / ٤٤٠.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

٤٣- عبد الله بن كامل الشاكري [١].
٤٤- أحمر بن شميط [٢].
٤٥- سعر بن أبي سعر الحنفي [٣].
٤٦- عبد الله بن ضمرة العذري [٤].

كانت هذه بعض الشخصيات التي لم تحضر مع الحسين عليه السلام يوم عاشوراء في كربلاء، وبالتأكيد يوجد كثيرين غيرهم؛ لكني اقتصرت على أهم الأسماء المؤثرة في محيطها والمعروفة بولائها لأمير المؤمنين و أبنائه عليهم السلام سواء كانوا صحابة أو تابعين، وألحقت بهم قادة ورجالات ثورة التوابين وثورة المختار البارزين المتحمسين للثأر لدم الحسين صلوات الله عليه، وبالرغم من أنهم قاموا بعمل مرضي لله لكن يبقى عمل من لحق بالحسين عليه السلام ونصره يوم عاشوراء أفضل عند الله وأوليائه.

ملاحظات:

أولاً: لقد صدق سليمان بن صرد الخزاعي - وهو الخبير بما حدث في الكوفة - لما وصف الحال الذي جرى مع الحسين صلوات الله عليه وما لاقاه من أتباعه من ضعف ووهن وعجز وخذلان، فإنه - لما قرر الثورة على الأمويين - خطب في أصحابه قائلاً: (إنّي أخاف ألّا نكون أخّرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزيّة لما هو خير لنا، نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبيّنا، ونعدهم نصرنا، ونحثّهم على المصير إلينا فلما قدموا علينا ونينا وعجزنا وداهنّا وتربّصنا، حتى قتل ولد نبيّنا وسلالته وبضعة من لحمه، فاتّخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودريّة للرماح، فلا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله

---

١ - كوفي من التوّابين مع سليمان بن صرد، ثم التحق بالمختار وكان من رجال ثورته وشرطه، مورد اعتماد إبراهيم بن مالك الأشتر؛ إذ اعتمد شهادته على كتاب محمد بن الحنفية للمختار فقبل وبايع المختار. انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٦ / ٣٩٥؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٥ / ٧٦.

٢- صاحب المختار وأحد رجالات ثورته وحكومته، شهد مع عبد الله بن كامل ويزيد بن أنس على كتاب محمد بن الحنفية لإبراهيم بن مالك الأشتر فقبل شهادتهم وبايع المختار، قتله مصعب بن الزبير مع المختار سنة ٦٧ هـ، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ١ / ٥١٩.

٣- أحد رجالات المختار، جعله أميراً على الجند في أحد جيوشه، انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٤ / ٥٣.

٤- أحد رجالات المختار، جعله أميراً على الجند في أحد جيوشه، انظر: مستدركات علم رجال الحديث: ٥ / ٢٩.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

المصادر

القرآن الكريم

١. المتشابهات، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.
٢. إبصار العين في أنصار الحسين، الشيخ محمد بن طاهر السماوي، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي، مركز الدراسات الإسلامية لحرس الثورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩.
٣. أجوبة المسائل المهنائية، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، مطبعة الخيام - قم، ١٤٠١ هـ.
٤. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، تعليق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.
٥. الأخبار الطوال، أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى - القاهرة، ١٩٦٠ م.
٦. اختيار معرفة الرجال، محمد بن الحسن الطوسي، تصحيح وتعليق: مير داماد الاسترابادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم، ١٤٠٤ هـ.
٧. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دار المفيد - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم الشيباني ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
١٠. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.
١١. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م.
١٢. إعلام الورى بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم، ١٤١٧ هـ.

١٣. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه: حسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات - بيروت.
١٤. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي.
١٥. إقبال الأعمال، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: جواد القيومي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
١٦. الأمالي، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تحقيق: مؤسسة البعثة - قم، ط١، ١٤١٧.
١٧. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
١٨. الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.
١٩. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: د. محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩ م.
٢٠. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.
٢١. البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.
٢٢. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تحقيق: ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي - طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤ هـ.
٢٣. بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، تحقيق وتقديم: د. سهيل زكار - دمشق، مؤسسة البلاغ - بيروت، ١٩٨٨ م.
٢٤. تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.
٢٥. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٩٧١ م.
٢٦. تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، قوبلت على النسخة المطبوعة بمطبعة "بريل" بمدينة لندن سنة ١٨٧٩ م.
٢٧. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٩٩٥ م.

٢٨. تاريخ النهضة الحسينية، معهد ومؤسسة سيد الشهداء، جمعية المعارف الإسلامية - بيروت، ٢٠٠٨ م.
٢٩. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، دار صادر - بيروت، مؤسسة نشر فرهنك أهل بيت - قم.
٣٠. تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت.
٣١. ترجمة الإمام الحسين ومقتله، القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، تحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المطبعة: ستاره - قم، الطبعة الأولى، ١٤٥١ هـ.
٣٢. تنزيه الأنبياء، علي بن الحسين المرتضى، دار الأضواء - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩.
٣٣. تنقيح المقال، الشيخ عبد الله المامقاني، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف.
٣٤. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية - طهران.
٣٥. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥.
٣٦. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، منشورات الرضي - قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ ش.
٣٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تخريج: صدق جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م.
٣٨. جامع الرواة، محمد بن علي الاردبيلي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي - قم، ١٤٠٣.
٣٩. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، إشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، الطبعة الأولى، ذي الحجة ١٤٠٩.
٤٠. خطط الكوفة، ترجمة وتعليق: تقي بن محمد المصعبي.
٤١. خلاصة الأقوال، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
٤٢. جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٢ م.
٤٣. حياة الإمام الحسين، الشيخ باقر شريف القرشي، مكتبة الداوري، قم.
٤٤. الدر النظيم، يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي المشغري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٤٥. دعائم الإسلام، النعمان بن محمد بن منصور المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف - مصر، ١٩٦٣ م.
٤٦. دلائل الإمامة، محمد بن جرير بن رستم الطبري، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
٤٧. دلائل النبوة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م.
٤٨. ذوب النضار، جعفر بن محمد بن جعفر ابن نما الحلي، تحقيق: فارس حسون كريم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
٤٩. رجال ابن داود، الحسن بن علي بن داود الحلي، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية، ١٩٧٢ م.
٥٠. السنة، أبو بكر عمرو بن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، محمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣ م.
٥١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.
٥٢. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، دار الفكر - بيروت.
٥٣. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٣ م.
٥٤. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام الحميري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - مصر، ١٩٦٣ م.
٥٥. الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، الفخر الرازي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر: مكتبة المرعشي النجفي - قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
٥٦. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، النعمان بن محمد المغربي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
٥٧. شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي التستري، تعليق: شهاب الدين النجفي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي - قم.
٥٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٩٥٩ م.
٥٩. شرح نهج البلاغة، ميثم بن علي بن ميثم البحراني، نشر مركز الاعلام الإسلامي - الحوزة العلمية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٦٢ ش.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

٧٧. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران.
٧٨. كامل الزيارات، جعفربن محمد ابن قولويه القمي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، نشر الفقاهة، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
٧٩. الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، دار صادر- بيروت، ١٩٦٥ م.
٨٠. الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر - طهران.
٨١. اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفربن محمد بن طاووس، ويليه كتاب: حكاية المختارفي أخذ الثأربرو اية أبي مخنف. الناشر: أنوار الهدى - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
٨٢. مثير الأحزان، محمد بن جعفر ابن نما الحلي، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٩٥٠.
٨٣. المجدي في أنساب الطالبيين، السيد أبو الحسن علي بن محمد بن علي العلوي العمري، تحقيق: الشيخ أحمد المهدوي الدامغاني، نشر مكتبة المرعشي النجفي - قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
٨٤. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بم محمد النيسابوري الميداني، نشر المعاونية الثقافية للأستانة الرضوية المقدسة، ١٣٦٦ ش.
٨٥. مجمع الزو ائد ومنبع الفو ائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٨ م.
٨٦. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٠ هـ.
٨٧. مختصر أخبار شعراء الشيعة، أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق: د. محمد هادي الأميني، شركة الكتبي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
٨٨. مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٩٥٠ م.
٨٩. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
٩٠. مروج الذهب ومعادن الجواهر، علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، منشورات دار الهجرة - قم، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

١٠٧. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، تقديم: كاظم المظفر، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٩٦٥ م.
١٠٨. مقتل الحسين، لوط بن يحيى بن سعيد أبو مخنف الأزدي، تعليق: حسن الغفاري، المطبعة العلمية - قم.
١٠٩. مقتل الحسين، الخوارزمي، مكتبة المفيد - قم.
١١٠. مقتل الحسين، السيد عبد الرزاق المقرم، دار الكتب الإسلامية، بيروت.
١١١. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهراشوب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٩٥٦ م.
١١٢. مناقب الإمام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
١١٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
١١٤. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢، ١٤٠٤ هـ.
١١٥. مهذب الأحكام، السيد عبد الأعلى السبزواري، مؤسسة المنار، الطبعة الرابعة، ١٤١٣ هـ.
١١٦. المنمق في أخبار قريش، محمد بن حبيب البغدادي، صححه وعلق عليه: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب.
١١٧. موسوعة كربلاء، د. لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
١١٨. موسوعة كلمات الإمام الحسين، اعداد: قسم الحديث في معهد باقر العلوم، منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
١١٩. النزاع والتخاصم، تقي الدين احمد بن علي المقريزي، تحقيق: السيد علي عاشور.
١٢٠. نهج البلاغة، جمعه: الشريف الرضي، تحقيق: د. صبحي الصالح، الطبعة الأولى - بيروت، ١٩٦٧ م.
١٢١. وسيلة الدارين في أنصار الحسين، السيد إبراهيم الزنجاني، مؤسسة الاعلمي - بيروت.
١٢٢. وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، ١٣٨٢ هـ.

يوم الحسين (ع) / الجزء الأول ـــــــ

الفهرست التفصيلي

البشرية بين خطين دائماً: ٥

تمهيد: ٧

وصايا الرسول (ص) بأهل بيته وبيان فضلهم: ٧

منزلة الحسين عند الرسول(ص) وإخباره بمصيبته: ١١

علي(ع) أيضاً يخبر بما يجري على الحسين(ع): ١٣

الحسين (ع) الثائر المصمّم على ملاقاة الوعد: ١٨

مملكة آل أبي سفيان ٢٥

سياسة معاوية في أيام خلافة علي(ع): ٣٤

سياسة معاوية بعد شهادة علي(ع): ٤٩

سبّ علي(ع) سنة أموية: ٥١

تعيين الولاة المعروفين بعدائهم لعلي(ع): ٥٥

حجر بن عدي يدفع ضريبة الولاء: ٦٥

حواضر المسلمين قُبيل الثورة: ٦٩

أولاً؛ الشام: ٧٠

ثانياً؛ الحجاز: ٧١

ثالثاً؛ العراق: ٧٣

كيف تعامل الناس مع الإمام الحق: ٨٥

ما قبل عاشوراء الحسين(ع) ٩٣

بيعة يزيد وموقف الحسين(ع) منها: ٩٣

التمهيد لبيعة يزيد: ٩٣

بيعة يزيد بعد موت معاوية وموقف الحسين(ع): ١٠٠

موقف الثلاثة من بيعة يزيد: ١٠٤

الحسين(ع) الثائر الفاتح: ١٠٧

لماذا ثار الحسين؟ ١٠٧

الحسين(ع) يغادر مدينة جده ببعض الطالبيين: ١١٥
الحسين(ع) يودع عند أم سلمة ودائع الإمامة: ١٣١
لماذا اصطحب الحسين(ع) أسرته معه؟ ١٣٤
من لم يلحق بالحسين(ع) لم يدرك الفتح: ١٤١
الحسين(ع) في مكة وشهادة مسلم في الكوفة: ١٤٤
لماذا اختار الحسين (ع) مكة محطة أولى؟ ١٤٥
كتب أهل العراق إلى الحسين(ع): ١٤٨
إرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة: ١٥٢
خذلان في البصرة والكوفة: ١٥٨
مقتل مسلم بن عقيل: ١٦٤
الكشف عن مكان مسلم: ١٦٤
إلقاء القبض على هانئ وخذلان مذحج لزعيمها: ١٦٤
ثورة مسلم بن عقيل وخذلان جيشه له: ١٦٥
إرهاب وقطع رواتب واعتقالات ورفع راية الأمان: ١٦٧
ابن زياد يخصص جائزة لمن ألقى القبض على مسلم: ١٦٧
مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة: ١٦٨
تقصير واضح في موقف وجوه الكوفة: ١٧٣
الحسين(ع) يغادر مكة إلى العراق: ١٧٨
الحسين(ع) يقرر المغادرة ومحاولات فاشلة لثنيه عن قراره: ١٧٨
لماذا العراق؟ ١٨٧
الحسين(ع) يكلّم الناس بحسب حالهم: ١٩٠
أقوال مكذوبة أو محرّفة: ١٩٣
إجراءات أموية فور تحرك الحسين(ع) نحو الكوفة: ١٩٧
مسيرة الركب الحسيني من مكة إلى كربلاء: ٢٠١
فئات صادفها الحسين(ع) في المسير: ٢٠٢
فئة المحبّين الخاذلين: ٢٠٢
فئة العاثرين الدنيويين المنصرفين: ٢٠٩
اللاحقون بالحسين (أنصار الحسين): ٢١١
من التحق بالحسين(ع) من أهل بيته: ٢١١

من التحق بالحسين(ع) في المدينة: ٢١٤
من التحق بالحسين(ع) في مكة: ٢١٥
من التحق بالحسين(ع) خلال مسيره إلى كربلاء: ٢١٨
من التحق بالحسين(ع) بعد نزوله بكربلاء: ٢٢٠
من التحق بالحسين(ع) يوم العاشر من محرم: ٢٢٤
ملاحظات: ٢٢٥
عدد أنصار الحسين(ع): ٢٢٦
هل كان زهير بن القين عثمانياً؟ ٢٣٢
علم الحسين(ع) بمقتل رسله: ٢٣٥
مسلم بن عقيل: ٢٣٥
هل كان بنو عقيل سبباً في إتمام الحسين(ع) مسيره إلى العراق؟ ٢٣٦
عبد الله بن يقطر الحميري: ٢٤٠
فائدة بخصوص إخوة عبد الله بن يقطر للحسين(ع) من الرضاعة: ٢٤١
قيس بن مسهّر الصيداوي: ٢٤٢
رؤى الحسين(ع): ٢٤٤
اعتراض الحر الرياحي للحسين(ع): ٢٤٨
الحسين(ع) يغربل أصحابه ويرفض عرض الطرماح: ٢٥٤
هل عرض الحسين(ع) العودة أو المسير الى الشام؟ ٢٥٨
نزول الحسين(ع) بكربلاء: ٢٦٠
الاستعداد لحرب الحسين(ع): ٢٦٤
تعبئة الجيش للحرب: ٢٦٤
النفير العام والعسكرة: ٢٦٤
وصول ابن سعد بجيشه إلى كربلاء: ٢٧١
لماذا اختير ابن سعد لقيادة الجيش؟ ٢٧٣
هل عرض الحسين(ع) على ابن سعد العودة؟ ٢٧٧
عدد الجيش وهويّته: ٢٨٠
كم كان عدد الجيش؟ ٢٨٠
هل كان الجيش من الكوفة فقط؟ ٢٨٣
أحداث أخرى قبل الحرب: ٢٩١

محاولة خجولة للنصرة: ٢٩١
منع الماء عن مخيّم الحسين(ع): ٢٩٢
أمان يعرضه الشمر على العباس وأخوته: ٢٩٤
مصير من سمع واعية الحسين ولم يجبه! ٢٩٥
يوم التاسع وليلة العاشر من محرم: ٢٩٦
الحسين(ع) يطلب الإمهال إلى صباح العاشر: ٢٩٦
الحسين(ع) يأذن لأنصاره وأهل بيته بالانصراف وهم يأبون ذلك: ٣٠٠
موقف بشر بن عمرو الحضرمي: ٣٠٤
الضحاك المشرقي يشترط النصرة بنحو خاص: ٣٠٥
بين بريرو ابن سعد: ٣٠٦
بين بريروالشمر: ٣٠٧
هل عبرت مجموعة إلى معسكر الحسين(ع)؟ ٣٠٧
الحسين(ع) ينعى نفسه: ٣٠٩
تفقد التلاع والروابي واستعلام نيّات الأنصار: ٣١٠
حفر الخندق حول المخيم: ٣١١
رؤيا الحسين(ع) وقت السحر! ٣١٢
عتب الكرام: ٣١٣
أبرز الغائبين عن طف كربلاء: ٣١٥
المصادر **٣٢٧**
الفهرس التفصيلي **٣٣٧**